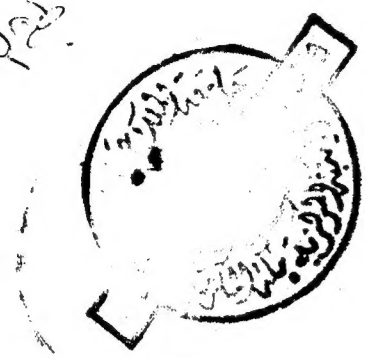


مكتبة كلية أصول الدين
 جامعة الأزهر
 رقم القيد ٢٠١٢٠٠٠٠٠٤٥
 تاريخ التسليم ١١/٩/٥٦



جامعة الأزهر
 كلية أصول الدين
 قسم الدعوة



منهج الكاف في تحرير كتاب فريخ البساري
 بشرح صحيح البخاري



١٠٠٢٠٤٧

رسالة الدكتوراة
 المقدمة من الطالب
 جميل أحمد منصور الشواربي

تحت إشراف

فضيلة الدكتور سيد أحمد مصطفى بن الهادي

١١/٩/٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بارئاً ^{لنفسه} العلم والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه و

التابعين وعلى جميع المحدثين البارعين والحفاظ المتقنين الذين جابوا البلدان والأصهار وركبوا متنون البحار ووصلوا الليل بالنهار حفاظاً على السنن وعملوا على صيانتها ورغبة في نشرها وأذاعتها ^{لنفسه} لا لقلوبه صلى الله عليه وسلم "نشر الله امر أسع منا شيئاً قبله كما سمعته فرب مبلغ أوعى من سامع" .

"محمد" فنذ ^{نفس} يحيى وحشرين عاماً كتبت طالباً بالسنة الأولى من القسم الثانوى بالأزهر الشريف

وكان من بين مواد الدراسة "مادة الحديث" وكان المنهج المقرر هو دراسة عدة أحاديث من كتاب الجامع الصحيح الصحيح لأبى عبد الله البخارى وقد لفت نظرى واسترعى انتباهى واستوقفنى ^{نفس} وقفاً أننى أثناء قرائتى للكتاب المقرر ودراستى آياه كتبت أجد المؤلف أثناء شرحه للفردات وتوضيحه للمعاني واستنباطه الأحكام الفقهية والفوائد الحديثية وغير ذلك مما تشمله الأحاديث النبوية الكريمة - أجد يقول :

ذكر الحافظ وقال الحافظ في الفتح كذا وكذا وقال الحافظ في التلخيص كذا وكذا وكنت في سن مبكرة لا تتيج لى فرصة لى فرصة البحث عن هو الحافظ وما هو الفتح وما هو التلخيص ولكن ألقى فى روى وقر فى ذهنى أنه لا مناص من معرفة هذا الحافظ والوقوف على الفتح والتلخيص ان امتد بى الحمر وهيئت لى الأسباب .

ولما هيكلاً الله الظروف والتحققت بالدراسات العليا كان شغلى الشغل . وهدى فى الأول أن أجعل

موضوع بحثى لنيل درجة الدكتوراه هو البحث عن شخصية هذا الحافظ والكشف عن هذا الفتح أحياء لرغبة ^{نفسه} تصحيح قديمه استكنت فى النفس وتلبية لأمل استقر فى القلب وأخذت أجد فى القراءة والاطلاع والبحث فتبين لى أن الحافظ هو ابن عجب المصقلانى وأن الفتح هو كتابه "فتح البارى بشرح صحيح البخارى" .

وكنت قد عزمتم على أن يكون موضوع بحثى "ابن حجر وأثره فى ثقافة عصره" ولكنى بعد دراسة غير قصيرة

وجدت أن الرجل متعدد الجوانب من حيث ^{المؤلف} العلم فقد أسهم فى الحديث والفقه والأدب والتاريخ ووجدتنى ^{نفسه} مستعجباً طال بى الزمن أن ألهمولفاته وأن أدرسها وألقى عليها أهواء تكشف عن موهوباتها ومضموناتها

(ب)

وطرق تناولها وميزاتها عما سواها فأثرت أن اختصر الموضوع وأجعله "الحافظ ابن حجر وجهوده في السنة" غير أنى وجدت أيضا أن مؤلفاته جمة في مختلف فروع السنة منها ما يتعلق بالمصطلح ومنها ما هو وثيق الفائدة شرح السنة ومنها ما يرتبط بها ^{بشرح} ومنها ما يتناول تاريخ الرجال وتراجمهم ومنها ما يشمل تشریح الأحاديث الموجودة في الكتب العلمية غير ^{بشرح} ~~منها~~ ومنسوبة إلى من أخرجها وبالجملة فإن الرجل للم يترك اتجاهها من اتجاهاته التأليف في السنة السائدة في ذلك العصر إلا وكتب فيه .

وأزاء هذا آتت من نفس عجزا عن الوفاء بما اتجهت إليه وعن استيعاب جميع ما كتبه في السنة وحولها . ومن هنا آثرت وانتهيت إلى أن يكون عنوان البحث (مع الحافظ ابن حجر وكتابة فتح الباري بشرح صحيح البخاري) وقد عدل مجلس الكلية هذا العنوان إلى " منهج الحافظ ابن حجر في كتابة فتح الباري بشرح صحيح البخاري " على هذا عقدت نيتي وأنخت مغيتي واستعنت بالله فهو نعم المولى ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد طوى بساط الخلافة وانفض سامرها من بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ وحملت مصر بعدها لواء الزعامتين الدينية والسياسية وهذا بالطبع قد أكسبها مركزاً أدبياً بين سائر الدول الإسلامية الأمر الذي ترتب عليه أن أصبحت القاهرة مركز الإشعاع ومحيط الأنظار وملتقى العلماء والأدباء والطلاب يحدوهم اليها تشجيع السلاطين لهم واتمامة المدارس ورصد الأحباس والأوقاف عليها ، ونتيجة لذلك ظهرت في مصر نهضة علمية واسعة شملت مختلف فروع الثقافة في ذلك العصر .

وقد احتلت السنة المركز الأول وتبوأت مكان الصدارة من هذه الثقافة إذ قد اتجه جل علماء العصر إلى حديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فحفظوه حفظاً حريصاً للكتاب الله تعالى وكان رائدهم إلى ذلك عقيدتهم أنه لا بقاء لهم في صدورهم ما لم يحفظوا حديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فان في ذلك شهيداً للحمة وتنبيهاً للحافظين وإيقاظاً للذاكرة ، كما أن سلاطين المماليك كانوا محبين للعلوم وبخاصة علم الحديث نقل أن تجد سلطاناً أو أميراً يشيد مدرسة إلا ويرتب فيها درساً للحديث على أنه كان يوجد مدارس خاصة به مثل " دار الحديث الكاملية " وقد أغدقوا على العلماء تشجيعاً لهم على الاستمرار في هذا المضمار وجلسوا في حلقات الدروس مع المتعلمين وتلقوا من الأئمة الحديث وتحملوا السنة بأسانيدھا الصحيحة حتى صار بعضهم يتأقن عنه الحديث ويسمع منه الصحيح فهذا هو الظاهر برقوق يتفقه على الإمام أكمل الدين البابرتي ويشارك المحدثين في رواية الصحيحين ، كذلك المؤيد شيخ يروي الصحيح عن السراج البلقيني ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانوا يطلبون العلماء ويستقدمونهم من بلدان أخرى فهذا هو الظاهر برقوق يستقدم أمثال ابن أبي المجد من الأقطار النائية رغبة منه في إعلاء الاسناد لدى المتعلمين بمصر لمداعمتهم الحديث من أصحاب الأسانيد العالية كما استقدم المؤيد شيخ إلى مصر العلامة شمس الدين الديري ، وكما كان السلاطين يتعلمون لجوادة العلماء كان منهم من جلس مجلس الأستاذ ، وهذا هو ابن حجر على علو منزلته ومكانته العلمية يسمع الجمهور من

من المؤيد شيخ مترجم له في عداد شيوخه في المعجم المشهور .

وهذه العناية التامة من السلاطين والأمراء حملت مصر لواء النهضة العلمية بمختلف فروعها طيلة عصر سلاطين المماليك وكانت أسعد بلاد الاسلام خطا بالحديث وعلومه . وحسبنا دليلا على ذلك ما حوته كتب التاريخ من تراجم الحفاظ والمحدثين أمثال الذهبي والمسيدي وابن رجب الحنبلي ومفلطاي والمراقى وابن حجر والسخاوي والسيوطي الأمر الذي دفع بعض المؤلفين الى أن يفرد لهم كتباً خاصة بهم مثل ديلي تذكرة الحفاظ لابن فهد والسيوطي ، ومؤلفات هؤلاء العلماء تشهد لمصر بالمجد التالد والشرى الرفيع في هذا الميدان وظل الأمر كذلك حتى أذنت شمس دولة المماليك بمغيب فأخذ النشاط العلمي يتضاءل ويهزل عن مصر شيئاً فشيئاً الى بلدان أخرى وكان من حسن الطالع - بعد أن غربت شمس الحديث في مصر - أن أشرقت ثانية في بلاد الهند فأفسحت صدرها للحديث وعلومه وسهرت على خدمته حتى يومنا الحاضر .^(١)

(١) محمد أبوزهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٣٩ و ٤٤٠

، محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" ج ٢ ق ١ م ٣ ص ١٤٢

، عبد الوهاب حمود "صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي" ص ٦٤ و ٦٥

الباب الأول
xxxxxxxxxxxx

عصر ابن حجر وفيه رسالة

الفصل الأول : البيئة السياسية

تمهيد :

عندما يحاول الباحث دراسة عصر من العصور التاريخية لدولة من الدول يجمع به
ألا يقف عند بداية التاريخ الزمني لهذا العصر بل يتجاوز ذلك إلى ذكر الأسباب السبق
سبقت والظروف التي مهدت له حتى أصبح في حيز الوجود وصار حقيقة واقعة ، ومنه على
ذلك فإنني قبل أن أتحدث عن قيام دولة المماليك في مصر سوف ألقى نظرة عجيلى على تاريخ
الدولة الأيوبيه اذ هى الدولة التى قامت على أنقاضها دولة المماليك فأقول : -

- قدم الأيوبيون إلى مصر تدعوهم مقتضيات الدفاع عن الاسلام ضد الصليبيين (١)
وحينما تولى السلطنة صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ اتخذ جنوده من الأكراد والمترتبة المجلدين (٢)
وتبعه خلفاؤه من بنى أيوب ونهجو نفس السبيل وأكثروا من شراء المماليك الترك (٣) والسبب
فى ذلك أنهم كانوا غرباء عن البلاد فاحتاجوا إلى الاستمالة والاعتزاز بأمثالي هؤلاء (٤) .
ثم لما تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٦ هـ أكثر من شراء المماليك
وجعلهم معظم عسكره (٥) حتى يستطيع أن يرسى قواعد ملكه ويثبتها بهؤلاء الجنود الجدد
ولكنهم صاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضج منهم الناس وبلغ الصالح
ذلك فبنى لهم قلعة بالروضة وأسكنهم بها وسماهم " المماليك البحرية " حتى لا يصل آذاهم
وشرهم إلى الشعب - هذا من جهة - ومن جهة أخرى ليكونوا على أتم استعداد للدفاع
عن البلاد اذا ما دهمها العدو ومن ثم جعل حول تلك القلعة شوانى بحرية مشحونة
بالسلاح معدة لقتال الفرنج اذا طرقت البلاد وعدتهم نحو ألف مملوك (٦) وعلى هذا
فإن الملك الصالح هو الذى أنشأ طائفة المماليك البحرية بديار مصر (٧) أما كيف تولى
هؤلاء عرش مصر فنتحدث عنه فى الصفحات التالية .

(١) نظير حسان سعداوى ، صور ومظالم ص ٣ (٢) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك
ج ١ ص ١٦ (٣) على ابراهيم حسن مصر فى العصور الوسطى ص ١٧٠
(٤) سير وليم موير "تاريخ دولة المماليك ص ٣٣ (٥) المقرئى "السلوك" ج ١ ص ٢٣٩
(٦) ابن اياس "بدائع الزهور ج ١ ص ٨٣ (٧) المقرئى "السلوك" ج ١ ص ٢٣٩

كانت حالة البلاد الاسلامية من أكبر العوامل التي ساعدتهم ومكتسبهم من اقامة دولة لهم بحصر ظلت زهاء ثلاثة قرون (١) فالخلافة في بغداد أضحت ضعيفة لا حول لها ولا قوة بسبب العزاع القائم بين القواد الذين طالبوا بزيادة الأرزاق كما تفاقمتم المداوة بين الشيعة والسنيين وهذا أضعف الخلافة وأفقد ها هيبتها في الداخل أما في الخارج فقد اقتصرت سلطتها على المظهر الديني (٢) ، وأما سائر الولايات الاسلامية فقد انشغل حكامها بالتوسع كل على حساب الآخر ولم يدركوا خطر النفوذ الممولى الذي استولت جيوشه على فارس ومعظم جنوب روسيا وأطراف أوروبا الشرقية وأصبحوا يهددون البلاد الاسلامية كلها (٣) .

والحملات الصليبية التي كانت بدايتها سنة ١٠٩٦ م ٤٨٩ هـ تتوالى على الشام بقصد الاستيلاء على بيت المقدس من أيدي المسلمين وفي الحرب الثالثة انتقل مسرح القتال الى مصر بسبب ضعف الخلفاء الفاطميين عقب وفاة الوزير طلائع بن رزيق سنة ٥٥٧ هـ ١١٦١ م ، وظهر في هذه الحرب نبوغ كثير من زعماء المسلمين مثل نور الدين وصلاح الدين الذي آلت اليه السلطة بعد ذلك (٤) .

والذي يعنينا من هذه الحملات هي الحملة الصليبية السابعة التي نزلت بأرض مصر في سنة ٦٤٧ هـ ١٢٤٩ م بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا للاستيلاء على بيت المقدس عن طريق السيطرة على مصر وحلت الهزيمة ساحقة بالصليبيين في المنصورة ثم قرب فارسكور سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ووقع معظمهم في الأسر ومن بينهم لويس التاسع نفسه ، ان الفضل الأكبر في هذا الانتصار يرجع الى طوائف المماليك فهم الذين أحرزوا النصر وحسموا المعركة (٥) وقد أكسبهم هذا النصر الذي أحرزوه قوة هائلة واخذ نجمهم في الصعود من ذلك الحين (٦) وابان هذه الحرب توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب في سنة ٦٤٧ هـ فأخفت شجرة اندر عتيقه وزوجه نبأ وفاته لثلا يفت ذلك في عهد المسلمين وقوة الجند المعارين وظلت تدبر الأمور وتخرج المراسيم بعلامة السلطان فلا يشك من يراها أنها بخطه (٧) .

واستقدمت على الفور توران شاه ابن الملك الصالح من حصن كيفا وسلمته بقاليد الأمور

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" ج ١ ق ١ ص ١٧

(٢) حسن ابراهيم حسن "تاريخ الاسلام السياسي والديني" ص ١٣٤

(٣) سعيد عاشور "مصر في عصر دولة المماليك البحرية" ص ٢٩

(٤) حسن ابراهيم "تاريخ الاسلام السياسي" ص ٢٢٢ (٥) سعيد عاشور "مصر في عصر دولة المماليك البحرية"

(٦) محمود رزق "عصر سلاطين المماليك" ج ١ ق ١ ص ٢٢ (٧) ابن اياس "بدائع الزهور" ج ١ ص ٨٥

والمقريزي السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٤٦

ولكنه لم يلبث أن تنكر للماليك أبيه واضطهدهم وقرب من جاء معه من حصن كيقا وأساء
معاملة شجرة الدر وحث يطالبها بمال أبيه ويتهددها ، الأمر الذي دفعها إلى أن تدبر
قتله مع سائر الماليك ونفذوا ذلك في المحرم سنة ٦٤٨ هـ واتفقوا على سلطنة شجرة الدر
وأن يكون عز الدين أيك مدبر المملكة معها (١) .

وعلى هذا يمكن أن نقول ان عصر الماليك بدأ في مصر منذ أن تولت شجرة الدر
العرش واستولت على السلطنة وسارت تدبر الأمور في البلاد ويخطب باسمها على المنابر
كما ضربت السكة أيضا باسمها .

غير أن ذلك لما كان شيئا غريبا في بابيه ولم يعهد مثله في ولاية من الولايات فقد
عز على الخليفة وعظم عنده كيف تلى امرأة عرش مصر ومن هنا بحث برسالة إلى أهل مصر تنسم
عن عدم رضاه وارتياحه لمثل هذا وعنفهم فيها وكتبهم وقال لهم " ان كانت الرجال تسد
عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا " (٢)

وعلى الفور ولى الماليك المعز ايك السلطنة وزوجوه شجرة الدر وتنازلت له ، من
العرش بعد أن قضت فيه ثمانين يوما برهنت فيها على كياسة وذكاء وافر وتم ذلك في سنة
٦٤٨ هـ (٣) .

وأضحت مصر من هذا الوقت في حوزة الماليك وزالت دولة بنى أيوب وساروا على
نهج من قبلهم في الاستكثار من جلب الماليك والاعتماد عليهم لأنهم القوة التي تساعد
على حكم البلاد والسيطرة عليها .

تولى الماليك ان عرش مصر فما هي سياستهم وما موقف المصريين منها وهل قبلوا
حكمهم ؟ والجواب عن ذلك فيما يلي : —

اعتلى الماليك عرش مصر ولكن صادفتهم عقبات من بينها وجود بنى أيوب الذين لا يزالون
بالشام ومدن أخرى فهولاء عز عليهم أن يستولى من ملكة أيما منهم على العرش ويقصوهم عنه
وهم أهله ، هذا لن يكون أبدا وشجعهم على ذلك أن بعض الماليك الصالحية خرجوا

(١) المقرئى " السلوك " ج ١ ق ٢ ص ٣٦١

(٢) نفس المصدر ص ٣٦٢ و ٣٦٨

(٣) سميد عاشور " مصر في عصر دولة الماليك البحرية " ص ٢٢

وتألبوا على المعز أيك وقالوا لا بد من واحد من بنى أيوب يلى السلطنة (١) حتى يجتمع الكل على طاعته ومطيعه أهل بيته واتفقوا على اقامة الأشرف ابن الملك المسمود ابن الكامل محمد ويكون المعز أيك شريكا له فى كل شىء من خطبة وحك نفوذ الى غير ذلك (٢) .

الا أن الأشرف فى الواقع لم يكن سوى مجرد شريك اسما وجميع الامور بيد أيك (٣) ولم يلبس أيك حتى قتل فارس الدين أقطاي ففرقت ممالكه وكان من أكبر الأمراء الذين فرضوا عليه الملك الأشرف ، ثم بعد ذلك قبض على الأشرف وسجنه بالقلمة وانفرد بالسلطنة فى سنة ٦٥٣ هـ (٤) واستتب له الأمر بعد أن تخلص من عدوه الداخلى ممثلا فى سطوة الأمراء ونفوذهم وعدوه الخارجى الممثل فى بنى أيوب .

وتحمل الممالك بعد الأيوبيين ^{عسائ} الدفاع عن البلاد ضد الصليبيين فلم يدخروا جهدا فى ذلك وحملوا البلاد من هذا الخطر الخارجى واستردوا ما كان قد استولى عليه الصليبيون من بلاد الشام وحققوا انتصارات ساحقة عليهم وسطوا نفوذهم بدرجات متفاوتة على كثير من الأقاليم المجاورة كأطراف آسيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد النوبة (٥) .

ولما هجم زعيم التتار على بلاد المشرق وخرب مدنها رعب منه الناس وفروا من وجهه وزحف هولاكو بجيشه الجرار واستولى على بغداد وأعمل فى أهلها السيف وهرب الديار وطمس معالم المدنية والحضارة بها وعزم على الاستيلاء على مصر ، حين ذاك استشار السلطان المظفر قطز أهل الحل والمقد واستقر الأمر على الخروج للقاءه وتم ذلك فى شعبان سنة ٦٥٨ هـ وأوقع بالمغول فى عَيْن جالوت وهزمهم شر هزيمة ، كما التقى معهم أيضا فى بيسان فدحرهم وشتت شملهم وكان لهزيمة المغول أثر بالغ فى نفوس المسلمين اذ فهموا على الأقل أن التتار قوة يمكن التغلب عليها وبهذا الانتصار حفظ الله مصر من من شر التتار ((٦)).

ولما كان الممالك فيما يبدو قد اغتصبوا العرش من الأيوبيين فضلا عن أنهم غرباء عن البلاد أرادوا بلى وحرصوا على أن يصفوا على حكمهم صبغة شرعية ، لذا فكروا فى احياء الخلافة المباسية واجتذابها الى القاهرة بعد ما قضى عليها المغول فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ

(١) ابن اياس "بدائع الزهور" ج ١ ص ٩٠ (٢) ابن كثير "البداية والنهاية" ج ١٣ ص ١٢٩
 (٣) المقريزى "السلوك" ج ١ ق ٢ ص ٣٦٩ (٤) ابن اياس "بدائع الزهور" ج ١ ص ٩١
 (٥) عبد اللطيف حمرة "الحركة الفكرية" ص ٤١ (٦) ابن اياس "بدائع الزهور" ج ١ ص ١٢٧

قد كان سلاطينهم يستظلون برايتها قبل ذلك يشهد لهذا أن رسم شجرة الدر " المختصة بالصالحية " .

وأول من قام بذلك ووضعه موضع التنفيذ هو الظاهر بيبرس الذي تولى السلطنة في سنة ٦٥٨ هـ

ففي السنة التالية من حكمه فكر في أرجل الخلافة المباسية الى مكانتها ونجح في تحقيق ذلك واجتذابها الى القاهرة (١) .

ووصف أحد الباحثين ذلك فيقول " لما سمع بيبرس أن أحد العباسيين أخطأته مذبحه المفلول جد في استحضاره من سوريا الى مصر في موكب حافل ولما اتى استب المباسي من البلاد خرج اليه بيبرس واستقبله ووجه للعباسي بالخلافة وجعل مستقره في أحد أبراج القلعة متحفظا عليه مراقبا سجيناً " (٢) ، وظل الخلفاء بعده طيلة أيام اندولسة

الملوكية وليس لهم من الخلافة الا الاسم على أنه ذرا للرماد في الصيون كان يؤتى به في المواقف الرسمية الهامة ليتم الحاشية وكذلك كان يؤتى به عند تولية سلطان جديد بصفته الرسمية (٣)

وأضحت مصر مقر الخلافة ومركز الرئاسة العامة على المسلمين (٤) وقد استفاد بيبرس من هذا الوضع كما استفاد منه سائر السلاطين الذين حكموا مصر من بعده وصاروا يفرهون لأنفسهم مقاما ساميا على ملوك العالم الاسلامي بصفتهم حماة الخلافة والمتحمسين ببيعتها الى أن جاء الفتح المملوكي (٥) .

هذا من ناحية السياسة الخارجية أما الداخلية فقد قاموا بزيادة الضرائب والمصادرات في بعض الأحيان حتى يتيسر لهم جمع المال اللازم للانفاق على الجند المتعزز دائما للقتال وما تتطلبه الأعمال الجليلة التي قاموا بها من صد غارات الرومانيين والمغول وغير ذلك .

كذلك قاموا بحاربة المذهب الشيعي اذ أنهم بحكم تربيتهم الدينية كانوا على مذهب أهل السنة ، ولم تكن هذه المهمة سهلة ولا هينة فقد كان التشيع منتشرا وفائضا في بلدان كثيرة يقول صاحب الطالع السعيد في حديثه عن مدينة ادفو " كان التشيع بها فاشيا وأهلها طوائفتان الاسماعيلية والامامية ثم ضعف حتى لا يكاد يتميز به الا أشخاص قلائل " ، وأنشؤا من أجل ذلك المدارس وشجروا العلماء في أنحاء البلاد المصرية بهدف الدعوة الى مذهب أهل السنة .

(١) سير وليام موير " تاريخ دولة المماليك في مصر " ص ٤٢

(٢) ابن اياس " بدائع الزهور " ج ١ ص ١٠٠ و ١٠١

(٣) سير وليام موير " تاريخ دولة المماليك في مصر " ص ٤٢

(٤) علي ابراهيم حسن " مصر في العصور الوسطى " ص ٢٤٣

(٥) أحمد صادق الجمال " الأدب العاصي في مصر " ص ١٢

وميكننا دليلا على ذلك ما ذكره صاحب الطالع السعيد عن ابن دقيق العيد حيث قال "أتى الى الصعيد في طالع لأهله سعيد فتمت عليهم بركاته وعظم علمه ودعواته وكان مذهب النخبة فاشيا في ذلك الاقليم فأجرى مذهب السنة على اسلوب حكيم وزال الرفض وانجاب وثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب" (١).

ومعد فهذه صورة موجزة لحالة مصر السياسية في عصر الماليك فما هو نظام الحكم عندهم؟ وهل قبله المصريون؟ والجواب عن ذلك فيما يلي :-

لقد درج المؤرخون على تقسيم عصر سلاطين الماليك الى دولتين :

(أ) دولة الماليك البحرية ، ومنشئ هذه الطائفة الملك الصالح نجم الدين أيوب ومحل سكنها قلعة الروضة ، وتبدأ من عام ٦٤٨ هـ على يد شجرة الدر أو المعز أيك وتنتهى بخلع على بن شعبان ابن الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٨٤ هـ ١٣٨٢ م .

(ب) دولة الماليك البرجية ، ومنشئ هذه الطائفة المنصور قلاون ومحل سكنها أبراج القلعة وتبدأ من عام ٧٨٤ هـ وتنتهى بقتل طومان باي بعد هزيمته في موقعة الريدانية عام ٩٢٣ هـ .

وقد تشابهت الدولتان معا في اتباع نظام واحد في الحكم حيث لم يكن هناك قانون ثابت ولا دستور قائم يحدد السلطة ويوضح نظام الحكم ويحدد هذا النظام فذا وعجيبا في التاريخ فلا هو ملكية وراثية مطلقة أو مقيدة ولا هو جمهورية شورية يرأسها فرد أو جماعة من المستبدين أو غير المستبدين (٢) . وانما كان له شكل آخر يتفق ومزاج الماليك كما يتفق وظروفهم فنقد كان العرش المصري يظفر به عادة أقوى أمراء الماليك وأشجعهم وأقدرهم على صيانتهم والتمكين له (٣) ، وعلى الرغم من محاولة بعض سلاطين الماليك الفحول مثل بيبرس وقلاون إقرار مبدأ الوراثة في العرش فانهم أخفقوا تماما في أن يكون ابن أحدهم سلطانا عليهم — أى الماليك — بل كانت تتحول السلطة الى أكثرهم نفرا وأعزهم جاها واسخاهم وعدا وعطاء (٤) ، ولعل عدم وضع نظام ثابت للحكم هو ما يفسر لنا ظاهرة قتل السلاطين أو عزلهم كما أنه كان من أعظم

(١) الانفوسى "الطالع السعيد" ص ٢٣٠
(٢) محمود رزق سليم "عصر سلاطين الماليك" ج ١ ق ١ م ١ ص ٩٢
(٣) عبد اللطيف حمزه "الحركة الفكرية" ص ٤٩
(٤) نظير حسان سعداوى "صور ومظالم من عصر الماليك" ص ٥ و ٦

أسباب الاضطراب والفتن في دولتي المماليك وطبع هذا العصر بطابع الغدر والفتك والترس والتآمر (١).

أما عن موقف المصريين من حكمهم فنستطيع أن نقول :

لقد حكم المماليك مصر بعد الأيوبيين وحملوا عيب الحرب الصليبية كما قاموا بصد غارات المغول الجارفة التي قضت على الخلافة في بغداد وعلى حضارتها وظلت تزحف حتى اجتاحت مدن الشام ، وهذا بالطبع جعل لهم هبة في نفوس المصريين بل في نفوس العالم الاسلامي أجمع ، فضلا عن ظهور المماليك أمام الشعب بحظر الدين والصالح والاستمساك بقواعد الدين وتشيد العمارات الدينية يضاف الى ذلك طبيعة أهل البلاد الذين يستجيرون لداعى الدين كل هذه الأمور ساعدت المماليك على حكم مصر وقد رحب بهم المصريون حكاما للبلاد ولم يجدوا غضاضة في أنفسهم من ذلك (٢) ، يشهد لذلك قول القاضي شهاب الدين محمود يمدح السلطان الأشرف خليل عندما فتح عكا واستردها من أيدي الهليبيين :

الحمد لله ذلت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى المصري

هذا الذي كانت الآمال لو طلبت رؤياه في النوم لاستحييت من الطلب

ما بعد عكا وقد هدت قواعدها في البحر للشرك عند البر من أرب (٣)

ومن مميزات هذا العصر على الرغم مما اجتريحه سلاطين المماليك من تجاهل الشعب المصري وعدم الاكتراث به والإثقال عليه بضروب من الظلم والفساد والارهاق وعلى ما ألفوه من تنازع على السلطة تنازعا يطليه الطمع والهوى - أنه كان أزهى عصر مصر الاسلامية ، فقد أصبحت مصر ان ذاك عاصمة لدولة عظيمة تمتد حدودها من برقة غربا الى البحر المتوسط شرقا ومن آسيا الصغرى شمالا الى بلاد النوبة جنوبا وخضعت لهذه الدولة بلاد اليمن والحجاز (٤) كما كانت مصر في عهدهم منشورة السلطان في سائر البقاع الاسلامية تدين لها هذه البقاع بالتبعية السياسية والأدبية حيث كانت مركز الاسلام ومنزل الخلافة ومبعث الحركة العلمية بعد أفول شمسها من بغداد (٥).

على أنه كانت هناك عدة عوامل ساعدت على سقوط تلك الدولة العظيمة من أهمها ، الفتن

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" ج ١ ق ١ ص ٩١

(٢) أحمد صادق الجمال "الأدب الحامى" ص ١٤

(٣) ابن شاعر الكتبي "قوات الوفيات" ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧

(٤) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٤١

(٥) عبد الوهاب حمود "صفحات من تاريخ مصر في عصر السقوط" ص ٩

والثورات والاضطرابات الداخلية اللهم الا في بعض الأحيان حيث يكون السلطان قويا ولم يرد ذلك أن كل طائفة كانت تنتمي الى سلطان أو أمير (١) يضاف الى ذلك أنه لم يكن هناك نظام ثابت للحكم مما أدى الى وقوع التنافس الشديد بينهم للوصول الى المراكز الكبرى في الدولة (٢) ، وقد ظهرت هذه الاضطرابات والفتن بشكل واضح في عصر دولة المماليك البرجية وكان لهذا أسوأ الأثر على مصر وعجل بنهائيتها كما كانت هناك اضطرابات خارجية ، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية شغلت جانباً من مجهود السلاطين وهناك كذلك غارات البدو المتكررة على مصر وغزوات المنفول في عهد زعيمهم تيمور لنك كما ظهرت الأحزاب بشكل واضح بين المماليك فكل حزب ينتمي الى سلطان (٣) وهذه الأحزاب من شأنها ألا تنظر الا الى مصلحتها الشخصية فتركوا الدفاع عن البلاد وانشغلوا بالتنازع فيما بينهم من أجل الوصول الى العرش ، فضلاً عن أن هذا العرش كان يحلوه في الآونة الأخيرة من عصر المماليك سلاطين ضعاف ليس لديهم من القوة والحزم بحيث يقبضون على زمام الأمور في الداخل ويدفعون عنها المد وفي الخارج فلا عجب إذاً هذه الظروف أن سقطت دولتهم على يد العثمانيين بعد هزيمة آخر سلاطينهم طومان باي في معركة الريدانية بظاهر القاهرة في المحرم سنة ٩٦٣ هـ / يناير سنة ١٥١٢ م وصارت مصر ولاية عثمانية وتنازل السلاطين العباسي بحصر عن الخلافة لسلاطين آل عثمان وظويت صفحاتهم من الوجود .

(١) سير ولیم مہر "تاریخ دولة المماليك في مصر" ص ٣٤

(٢) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٤٢

(٣) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ١٠ و ١١

الفصل الثاني

xxxxxxxx

البيئة العقلية

تمهيد :

لقد كانت بغداد مركز الخلافة العباسية ودولة العلم وهالة الأدب ما في ذلك أدنى ريب أيام العباسيين بفضل تشجيع خلفائهم للحركة العلمية ترجمة وتأليفاً لذا فقد اتخذها العلماء قبلة لهم وتوافدوا عليها من جميع البلدان الشرقية كانت أم غربية وما زال شأن بغداد كذلك حتى ضعف الخلفاء وخرج عن طاعتهم بعض البلدان التابعة لهم واستقلوا سياسياً ونفسياً مقدمة هذه البلدان مصر حيث ظهر فيها الفاطميون وأسسوا مدينة القاهرة وبدأت تكون محمراً جديداً لحركات علمية وأدبية أخرى غير أن هذا لم يحط من شأن بغداد ولم يقلل من مركزها في هذا الميدان بل ظلت (أستاذاً لأهل هذه الأقطار ومعيناً لياضاً ينهلون منه ويردون حياضه) (١) حتى دهمت بغداد بالطامة الكبرى على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ وما كان فيها من قتل العلماء وإحراق دور الكتب وإغراق الكتب في نهر دجلة وقد كانت تكتبه لم يبل الاسلام ولا المسلمون بدلتها (٢) .

نظر المسلمون حولهم بعد سقوط بغداد وتوالى التكتبات عليهم وزوال الرمز الروحي الذي كانت القلوب تجتمع حوله - وهو الخلافة - فلم يجدوا مأوى يأوون إليه ولا ملجأ يلجئون فيه غير مصر والشام حيث كانت دولة المماليك (٣) وقد تمكن هؤلاء من صد غارات المغول الجارفة وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة في "عين جالوت" فالتفت قلوب المسلمين حينذاك حولهم إذ هم المدافعون عن الاسلام والمسلمين وعلى أثر ذلك عقدت لهم الزعامة السياسية على جميع البلاد المصرية والشامية .

وقد حرص هؤلاء السلاطين على تدعيم ملكهم ورأوا أن خير وسيلة لفعل ذلك إنما هي في إحياء العلوم والمعارف وذلك أفسحوا المجال للعلماء الفارين من وجه التتار وأنقذوا الميسر في ظلهم وقربوهم وأكرموا وفادتهم وقد جد هؤلاء العلماء في إحياء التراث الاسلامي آنذاك وأتوا بما يعد فريداً في بابه .

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك ج٢ ص ١٣١ م ٥٦ (٢) المصدر السابق ص ١٠ و ١١ ، عبد الوهّاب حموده "بعضات من تاريخ مصر" (٣) المصدر السابق ج٢ ق ١ م ٣ ص ١٠ و ١١ ، عبد الوهّاب حموده "بعضات من تاريخ مصر" ص ١٠

على أن سلاطين المماليك قد شمعروا في ترارة نفوسهم أنهم مسئولون عن انهيار العلم واقالة عثاره بعد هذه النكبة العلمية الرهيبة التي حدثت في بغداد فجدا واجتهدوا لاعادة بناء هذا الصرح المنهار من جديد^(١) وجد يرا بالذكر أن سلاطين المماليك وان كانوا من غير ذوي اللسان العربي الا أنهم اعتنوا باللغة العربية عناية دفتهم اليها الظروف فاستعملوها في ضبط الملك والسياسة والقضاء والعلم وذلك لمجز لغتهم التركية وغيرها من اللغات الأخرى عن أداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط وأمن ونشر تعليم ومراسلات الر غير ذلك^(٢) وهذا من شأنه أن يساعد أهل العلم على انهاضه واقالة عثاره وتدارك ما فات .

وقد أفسح المماليك في مصر مكانا للخلافة جديدا بعد أن طوى بساطها وانقضى سامرها من بغداد وترتب على ذلك أن أصبحت القاهرة مركزا يتطلع اليه جميع المسلمين فلاعجب حينئذ أن قصدوها من كل حذب وصوب وهب علماءهم يحيون من الاسلام مجسده الدارس ويجددون له وللعرية ذخائرهما العلمية النفيسة^(٣) وانتقل النشاط العلمي من بغداد الى القاهرة وسطت القاهرة زعامتها العلمية والأدبية على البلاد الاسلامية زهاء ثلاثة قرون^(٤) ويتحدث السيوطي عن أثر انتقال الخلافة الى القاهرة فيقول "وأعلم أن مصر من حين صارت دار خلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن الطما ومحط الرجال الفضلاء"^(٥) ثم يؤكد السيوطي بأن النهضة العلمية التي بمصر والمركز الأدبي والديني الذي تبوأته في هذه الآونة انما هو راجع الى وجود الخلافة بها وليس الى قوة سلاطين المماليك وما بذلوه من جهد في هذا السبيل فيقول "ولا يظن أن ذلك بسبب الملوك فقد كانت ملوك بني أيوب أجلى قدرا وأعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير ولم تكن مصر في زمنهم كبغداد وفي أقطار الأرض الآن من هو أشد بأسا وأكثر جندا من ملوك مصر كالحجم والعراق وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ولا شعائر الاسلام في أقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر ولا نشرت السنة والحديث والعلم فيها كما في مصر"^(٦)

(١) محمود رزق سليم ج ٢ ق ١ م ٣ ع ١٧ و ١٨ هـ عبد الوهاب حموده "صفحة من تاريخ مصر ع ٢٧
(٢) نفس المصدر الأخير ع ٣٧ و ٣٨ (٣) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك
(٤) المصدر السابق ص ١٣ ح ٢ ق ١ م ٣ ع ١٢
(٥) السيوطي "حسن المحاضرة" ج ١ ص ٦٥
(٦) المصدر السابق ص ٦٦

وفهم من كلام السيوطي أنه ضرب صفحا عن تشجيع الممالك للعلم والعلماء وما بذلوا في سبيل ذلك من جهد ويرجع رواج الحركة العلمية الى انتقال الخلافة الى مصر بحسب ، صحيح أن انتقال الخلافة كان عاملا قويا في نشاط الحركة العلمية ولم يكن سببا وحيدا إذ أن فضل الممالك في احياء العلم وتشجيع العلماء وتقريرهم والاغداى عليهم لا ينكره أحد .

ومعد ما قدمناه نستطيع أن نقول ان مركز مصر العلمي والأدبي في عصر سلاطين الممالك يرتبط بمركز بغداد قبل سقوطها في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ (١) ذلك أن القاهرة عملت بعد سقوط بغداد ما كانت تحمله من أعباء العلم والأدب وأن سيرة القاهرة في ميدانها ابتداء لسيرة بغداد في نفس الميدان وان اختلفت الأشكال والألوان (٢) .

وتتمثل مراكز العلم والثقافة في مصر خلال هذا العصر فيما أنشئ من مدارس وساجد وما شيد من أربطة وخوانق للصوفية ، فلقد كثر انشاء المدارس في مصر في هذا العصر وتنافس السلاطين والأمراء والعلماء في ذلك وانتشرت هذه المدارس في جميع أنحاء البلاد في القاهرة ومصر والاسكندرية والفيوم وقوص وقنا واسنا وغير ذلك وقد تحدث الرحالة ابن بطوطة عن مدارس مصر في القرن الثامن الهجري فقال "انه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها" وكان يلحق بهذه المدارس مكاتب صغيرة لتعليم الصبية القراءة والكتابة والعلوم الأولية وتحفظهم القرآن تمهيدا للالتحاق بالمدارس المالية ولم يكن في هذه المدارس عقبات أو مصاعب مادية تحول بين الطالب وبين انتظامه فيها والتحاقه بها (٣) بل على العكس من ذلك كانت الدولة فعلا عن أهل الخير من الأغنياء تعين الطلاب والاستاذ معا على التفرغ للعلم وتوفر لهم السكن ونفقات المعيشة — عن طريق الأوقاف — كذلك لم يكن يشترط في الالتحاق بها مجموع وما شاكل ذلك بل كانت أبوابها مفتحة ومشايخها حاضرين يفي بهم العالم والجاهل والصغير والكبير على السواء (٤) حقيقة أن الفرض الذي بنيت من أجله هذه المدارس وغيرها من المؤسسات العلمية هو رغبة السلاطين في الظهور بمظهر التقوى من جهة ومعارضة المذهب الشيعي من جهة أخرى ففسير أن العبرة بما أثارته هذه المدارس من نشاط علمي كبير (٥) وقد تسابق السلاطين والأمراء

(١) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٣٦

(٢) محمود رزق سليم ج ١ ق ١ م ٣ ص ٥

(٣) محمود رزق سليم ج ٢ ق ١ م ٣ ص ٢٨

(٤) محمد عبد العزيز مرزوق "الناصر محمد بن قلاوون" ص ٤٠ ، محمود رزق ص ٢٨

عبد الوهاب حموده ص ٣٩

(٥) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٤٠

والأغنياء الى حبس الأعيان الكثيرة ورصد الأموال على هذه المدارس ، وسواء كان دافعهم
 الايمان الصحيح وحب الخير أو غير ذلك فقد أخذ ذلك بيد طلبة العلم ووفر لهم حياة
 كريمة الأمر الذي ترتب عليه كثرة وفود الطلاب على هذه المدارس والتحاقهم بها من جميع
 البلدان (١) ، وقد تحدث ابن خلدون عن كثرة انشاء المدارس والمساجد في هذا العصر
 وما ترتب على ذلك من كثرة الطلبة والمدرسين والأوقاف مع ذكر السبب في ذلك فقال " وذلك
 أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على ما يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم
 من الرق أو الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستنشروا من بناء المدارس والزوايا
 والربط ووقفوا عليها الأوقاف المفضلة يجعلون فيها شريكا لولدهم ينظر عليها أو نصيب منها
 مع ما فيهم غالبا من الجنج الى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال فكثر الأوقاف
 لذلك وعظمت الغلات والقوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم فيها وارتحل اليها
 الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم " (٢) ، على أنه قبل أن
 تجد دارا من دور العلم في هذا العصر - مسجد اكان أو مدرسة - الا وقد زود بخزانة
 كتب فيها من المراجع القيمة والكتب النفيسة العدد الكثير فيستفيد من ذلك الطالب والمدرس
 على السواء وذلك مثل خزانة الكتب - بجامع الحاكم ، جامع المهيد ، المدرسة المممودية
 المدرسة الفاضلية ، المدرسة الظاهرية (٣) ، ولم يكن يلى الاشراف على هذه المدارس
 أو التدريس بها الا أساتذة مبرزون وعلماء أجلاء اشتهروا بالعلم والفضل وحصد صيتهم وطارت
 سمعتهم كل مطار وقد أسهم هؤلاء في احياء العلوم والمحافظة على التراث الاسلامي ففى
 هذه الحقبة القاسية من تاريخ مصر (٤) .

أما عن مواد الدراسة فلم تخرج عن أن تكون اسلامية خالصة مرتبطة بأصول الدين
 كالفقه والحديث والتفسير واذا كان ثمة مواد أخرى من لغة وغيرها فانما لاتصلها بالعلوم
 الأولى فضلا عن الدراسات العقلية والكونية ولكن مع احتفاظ العلم الديني بالمرتبة الأولى (٥)
 كذلك أقيمت في هذا العصر العلوم السياسية والادارية والحربية ووضعت فيها الكتب وهبطت

(١) محمد عبد العزيز مرزوق الناصر محمد ص ٤١

(٢) ابن خلدون "التحريف بابن خلدون" ص ٢٢٩

(٣) عبد الوهاب حمودة "صفحات من تاريخ مصر" ص ١٠٢ و ١٠٣ ، محمود رزق سليم

ج ٢ ق ١ م ٣ ص ٦٧

(٤) المصدر السابق ص ٧٠ و ٧١

(٥) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ١٧١

قوانينها ونظامها تحت سلطة المماليك^(١) ولم تكن هناك مناهج تحدد للطلبة سبيل الدراسة وتلزمهم باستيعاب مواد معينة كما هو الآن بل ثمة كتب فى الفقه والحديث وغيرها يدرسها الشيخ ويختار كل شيخ فيها ما يروقه ويأول تدريسه للناظر فيسمعه منه من يشاء من الطلاب وغيرهم كما كان للطلاب أيضا حرية اختيار المواد الدراسية وكثيرا ما عتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العلمية حتى قيل أن ابن حجر كان يجتمع حوله بضعة آلاف من المستمعين والمستملين^(٢).

هذا وسوف نورد نبذة تاريخية عن بعض مدارس هذا العصر فيما يلى : -

المدرسة المحمودية

هذه المدرسة أنشأها الأمير جمال الدين محمود على استادار الظاهر برقوق فى سنة ٧٩٧ هـ مرتب بها درسا للحديث وعمل فيها خزانة كتب لم يعرف آنذاك بديار مصر والشام مثلها لا يخرج لأحد منها كتاب الا أن يكون فى المدرسة وهى من أحسن مدارس مصر وتقع بخط الموازين خارج باب زويلة^(٣).

المدرسة الجمالية

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة وقد ابتدئ فى أساسها يوم السبت ١٥ جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ وانتهت عمارتها فى شهر رجب سنة ٨١١ هـ وجمع جمال الدين الاستادار منشى المدرسة القضاة والأعيان وجعل لهم مهما وقرر الشيخ همام الدين محمد بن احمد الذوازنى الشافعى شيخا للصوفية بها كما قرره مدرسا لنقسه الشافعية كذلك قرر لكل مذهب مدرسا وجعل فيها درسا للتفسير والحديث وكان هؤلاء المدرسون يجلس كل واحد منهم بعد الآخر وكان آخرهم جلوسا مدرسا للتفسير وقرر عند كل مدرس طائفة من الطلبة وأجرى عليهم الأرزاق وكذلك جعل لكل مدرس ثلاثمائة درهم فى الشهر^(٤).

(١) جرجى زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١١٤

(٢) سعيد عاشور "المجتمع المصرى" ص ١٤٥ ، عبد الوهاب محمود "صفحات من تاريخ مصر" ص ٤٣ و ٤٦

(٣) المقرئى "خطوط" ج ٣ ص ٣٦٨

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٩ و ٣٨٠

مدرسة السلطان حسن

تقع فيما بين القلعة ومركبة الفيل مقابل القلعة وابتدأ السلطان في عمارتها سنة ٧٥٧ هـ وقد استمرت العمارة في هذه المدرسة ثلاث سنين لم تنقطع يوما ما وانفق في بنائها الكثير وجاءت على أحسن ما يكون. (١)

المدرسة الشريفة الفخرية

تقع هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية ، شيدها ووقفها الأمير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الذي ينتهي نسبه الى جعفر بن أبي طالب وانتهى من عمارتها سنة ٦١٢ وهي من المدارس الخاصة بفقه الشافعية (٢) .

المدرسة المهيدي

تقع بجوار باب زميلة من داخله أنشأها السلطان المهيدي أبو النصر المحمودي وانتهت عمارتها سنة ٨١٩ ولغت النفقة عليها أربعين ألف دينار (٣) .

المدرسة الخرومية البدوية

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه القياس أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخرومي بعد سنة ٧٥٠ هـ وقد جعل بها مدرسا للفقهاء وكذلك معيدا واشترط ألا يلي بها أحد من المعجم وظيفه (٤) .

المدرسة الصالحية

تقع بخط بين القصرين من القاهرة وهي أربع مدارس للمذاهب الأربعة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب وشرع في بنائها في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٠ هـ وفرغ منها سنة ٦٤١ هـ وكانت من أجل مدارس القاهرة الا أنه قد تقادم عهدها فوثت ، وأنشد الأديب أبو الحسن الجزار عند افتتاحها قصيدة مطلعها :

(١) المقرئ "خطوط" ج ٣ ص ٢٣١

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٢

(٣) السيوطي "حسن المحاضرة" ج ٢ ص ١٤٦

(٤) المقرئ "خطوط" ج ٣ ص ٣٢٤ و ٣٢٥

ألا هكذا بينى المدارس من بنى
ومن يتفالى فى الثوب وفى البنا
وقال السراج الوراق :

ملك له فى العلم حب وأهله
فله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا
عراق أهلها إذ ينسبون وشام
ولا تذكر يوما نظامية لها
فليس يضاهي ذا النظام نظام (١)

المدرسة الصلاحية

تقع بجوار الامام الشافعى ويقال لها تاج المدارس ^{هي} أعظم مدارس الدنيا على الاطلاق
لوقوعها بجوار الامام الشافعى ولأن منشئها أعظم الملوك وهو اناصر صلاح الدين وقد شيدها
سنة ٥٧٢ هـ وجعل بها مدرسا للفقهاء الشافعى وجعل فيها مسيدين وطالبة ، ولى تدريسها
جماعة من الأكابر والأعيان ثم خلت من المدرسين ثلاثين سنة فلما كانت سنة ٦٧٨ هـ أُنشئ
اليها التدريس مرة ثانية على يد تقى الدين بن رزين (٢) .

كذلك نلج فى هذا الحصر كثرة بناء المساجد والأوقاف عليها وكانت تعقد بمساجد
حلقات العلم فى مختلف فروع الثقافة المعروفة آن ذاك ويقصدها من يشاء للاستفادة والاستزادة
ويحدثنا شمس الدين محمد بن الصايغ الحنفى من أنه أدرك به جامع عمرو قبل الهيا الذى
حدث سنة ٧٤٩ هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتحاد تبرج منه (٣) وكانت مناصب
التدريس يؤخذ بهذه الجوامع من المناصب العلمية والدينية الرفيعة فلا يتولاها الا من له
قدم راسخة فى العلم واليكم نبذة مختصرة عن أشهر المساجد آنذاك :-

جامع عمرو

هو أول مسجد أسس بديار مصر بعد الفتح الاسلامى بمدينة الفسطاط وذلك فى سنة ٢١ هـ (٤)

الجامع الأزهر

أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر المقتلى حينما اختط القاهرة ابتداء فى عمارته لى

(١) محمود بن خلف السخاوى "تحفة الأجيال ومغية الطالب" ج ٢٩ ، السيوطى "حسن
المحاضرة" ج ١ ص ١٤٢
(٢) المقرئى "خطط" ج ٣ ص ٣٧٨ ، السيوطى "حسن المحاضرة" ج ٢ ص ١٤٠
(٣) المصدر الأخير ج ٢ ص ١٥٢ (٤) المقرئى "خطط" ج ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨

أواخر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ وكمل بناؤه فى رمضان سنة ٣٦١ هـ^(١) كذلك كان
السلطين والأمراء والأغنيا يشيدون بيوتا للعبادة^(٢) كى يقيم فيها الصوفية ليلا ونهارا
وماوى اليها غرباؤهم وقراءهم وقد يكون بعض منهم على علم ومييرة وفقه بالدين وما يتصل به
فيكون هذا سببا فى بث العلم ونشر أحكام الشريعة وكثيرا ما كان يسند نظر الخانقاه السى
أحد العلماء فيكون وجوده باعثا من بواعث التعليم ونواة لدروس العلم على أنه فى بعض
الخوانق قد رتبت دروس الفقه على المذاهب الأربعة والحديث ومهما يكن من شئ فالخوانق
وما شابهها تعتبر الى حد ما دورا من دور التعليم وميقة من بيئات العلم ومهدا من مهد
العلماء وان لم تصل الى مرتبة المساجد والمدارس^(٣) ومن أشهر الخوانق فى هذا العصر :-

خانقاه شيخو

هى خانقاه أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العسمى أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون
فيما بين الصلية والرميلة تحت القلعة وذلك فى المحرم سنة ٧٥٦ هـ وانتهت عمارتها سنة
٧٥٧ هـ ولما فرغ من عمارتها أقام بها الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرقي يدعى
للسوفية وهذه الخانقاه لم يعمر مثلها فى الدولة التركية ولا عمل مثل أوقافها وحسن ترتيب
المعاليم بها ورتب فيها أربع دروس على المذاهب الأربعة ودرس الحديث ودرس قراءات ومفاتيح
أسناع الصحيحين والشفاء^(٤).

الخانقاه البيبرسية

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى وهى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا
وأقننها صنعة ، بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يسلم
السلطنة مدأ فى بنائها سنة ٧٠٤ هـ ولما كملت فى سنة ٧٠٩ هـ قرر بها أربع مائة صوفى
وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ورتب بها مدرسا للحديث النبوى ووقف عليها عسدة
ضياح بدمشق والقاهرة والجيزة ولاد الصعيد^(٥).

- (١) السيوطى "حسن المحاضرة" ج ٢ ص ١٣٨
- (٢) خانقاه كلمة فارسية معناها بيت وقد جعلت ليختلئ فيها الصوفية للعبادة
- (٣) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٢٢
- (٤) المقرئى "خطط" ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ ، السيوطى "حسن المحاضرة" ج ٢ ص ١٤٣
- (٥) المصدر السابق الأول ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥

حركة التأليف في هذا العصر

لعلنا نستطيع بعد ما قدمنا أن نقول أن هذا العصر قد حفل بكثير من دور العلم ومؤسساته وزخر بالكثير من العلماء الأفاضل في كل علم وفن وقد نشط كثير من هؤلاء العلماء إلى الفتوى والتدريس والتأليف وشغلوا مناصب كثيرة وشغلوا بالمحاضرات والمناظرات فكان من وراء ذلك حركة علمية واسعة ونتيجة حتمية لهذه الحركة العلمية الواسعة النطاق ظهرت حركة التأليف إذ هي الثمرة الخالدة للأثر الباقي لها .

لقد نشطت حركة التأليف في هذا العصر وكثرت المؤلفات العلمية حتى بلغت عدة آلاف وحسبنا دليلاً على ذلك أن بعض العلماء قد ألفوا مئات من الكتب فابن حجر مثلاً ألف مؤلفاته على مائة وخمسين كتاباً والسيوطي بلغت مؤلفاته ستمائة وغير ذلك كثير ، غير أننا نجد أن هؤلاء العلماء لم يأتوا بجديد ولم يضيفوا إلى الثقافة الإنسانية شيئاً جديداً ولا غريبة ففى ذلك فإن العلوم الإسلامية كانت قد استقرت ووضعت قوانينها ومنيت مسائلها وفروعها فلم يجد علماء هذا العصر أمامهم سوى أن يتجهوا وجهة بها ييسر العلم وتغلب مسائله ويحكم التعبير عن معانيه فكانت وسيلتهم إلى ذلك وضع المتن التي تجمع مسائله في صعيد واحد (١) والى بعض مؤلفي هذه المتن في ضغط المبارات التي تشير إلى المعاني حتى بلغت حد الرموز فصعب بسبب ذلك فهمها على الطلاب واحتاج الأمر إلى شرحها فوضعت لها كتب شارحة بل وضعت كتب أخرى شارحة لهذه الكتب الشارحة وهكذا صنع علماء هذا العصر في كتب متقدميهم فهم في أيديهم بين شرح واختصار حتى عجز العصر بالمتون والشرح وشرح الشرح واختصار الشرح أو التحشية عليها وتهميشها والتنبيه على ما فات واضعها على أننا لا نريد أن نضغط هؤلاء العلماء حقهم أو ننقص من أقدارهم فإن بعضهم قد كملت له أدوات الاجتهاد فعلاً كالسبكي وابن دقيق العيد وكان السيوطي يقول عن نفسه "تد بلغت مقامات الكمال في جميع آلات الاجتهاد المطلق وصرت بذلك متعدداً بالتمسك لافخراً بالدنيا وأنى قدر للدنيا حتى يطلب تحصيله بالفقر وقد أرتف الرحيل هذا الشئ وذهب العمر" (٢)

(١) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٦٠
 هـ احمد صادق الجمال "الأدب العامي" ص ٣٥
 (٢) الشمراني "ذيل لواقع الأنوار" ص ٣ ب مخطوط

وقد حفل هذا العصر أيضا بطائفة من العلماء المجددين الذين أخذوا يحيون ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما وقد عد منهم السيوطي ابن دقيق العيد وغيره فقال :

والسابع الراقي الى المراقى ابن دقيق العيد باتفاق

والثامن الجوهر البليغى أو حافظ الأنام زين الدين (١)

ومهما يكن من شيء فاننا نحمد لرجال هذا العصر ما قاموا به من جهود في نشر العلم والمحافظة على الدين ووضع المؤلفات المتمعة في مختلف فروع الثقافة الاسلامية وعلومها . على أنه من مميزات هذا العصر وضع كتب جامعة واسعة النطاق تحدثت في موضوعات شتى علمية وأدبية وكثرت فيها الاستطرادات حسب المناسبات فيوجد فيها التاريخ والتقسيم والأدب الى غير ذلك فهي موسوعات علمية أو دوائر معارف جليلة النفع علفية الأثر وقد أجهد العلماء أنفسهم وقرائهم في جمع شتات هذه الكتب استدراكا لما فات وتجهيضا للاسلام عما فقد من ذخائر في بغداد بالتتار والشام بالصليبيين وفي الأندلس بالفرنجة فآلفوا المعاجم اللغوية فوضع ابن منظور الأفریقی المتوفى سنة ٧١١ هـ لسان العرب والفسيروز بادی المتوفى سنة ٨١٧ هـ القاموس المحيط ، كما ظهرت المعاجم التاريخية فابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٨ هـ له عيون الأنباء في طبقات الأطباء والأدباء المتوفى سنة ٧٦٤ هـ له الطالع السعيد ، كما ظهرت الموسوعات الأدبية " ويتجلى في نهاية الأرب " للنويرى و " صبح الأعشى " للقلقشندي . (٢)

على أن الذى حدا العلماء الى هذا المسلك هو ما شاهدوه من تخريب البلاد الاسلامية أو شاهدوه من ضياع الكتب في جميع البلدان الاسلامية كالشام والعراق والأندلس فعمدوا الى الاحتفاظ ببتلك الآثار واكتنازها بالتلخيص والجمع بحيث تجمع الحقائق الكثيرة ضمن الحجم الصغير ويكون الكتاب الواحد زبدة عشرات من الكتب بحيث اذا سلم كتاب واحد سلمت جملة علوم بسلامته وهذا الدافع قد تعلموه من العوائد السابقة أيام سقوط بغداد (٣)

(١) السيوطي " تحفة المجتهدين في أسما المجددين " ص ٢

(٢) عبد اللطيف حمزه " الحركة الفكرية " ص ٣٧١

، جوجي زيدان " تاريخ آداب اللغة العربية " ج ٣ ص ١٢

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢

، عبد الوهاب حموده " صفحات من تاريخ مصر " ص ٩٢

وأكثر مؤلفي هذه الموسوعات من علماء مصر لأنها كانت القطر الذي عظم رواج العلم فيه في

هذه الأيام حتى قصدت العلماء من كل من حذب وصب .

والذي لا ريب فيه أن مصر كانت تعيش أزهى عصورها العلمية والأدبية في ذلك الوقت إذ كانت القاهرة مركز الإشعاع ومقر الخلافة ومحط الأنظار وملتقى العلماء والأدباء قدموا إليها من جميع أنحاء العالم الاسلام ليسهموا في بحث التراث الذي أوصلنا أن ننحى آثاره بسقوط بغداد، وقد وفقت مصر في هذا الميدان توفيقا عظيما ، وجدير بالذكر أن نشير الى أن حركة الإحياء هذه قد اقترنت بالعصر المملوكي كله وكانت نتيجة للزعامتين الدينية والسياسية اللتين انتهتا الى مصر في وقت كانت بغداد فيه عاجزة كل العجز عن القيام بهذه المهمة (١) .

وحسبنا دليلا على ما قلناه شهادة ابن خلدون إذ يقول " ونحن لهذا العصر نرى

أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها متبحرة وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جعلتها تعليم العلم " (٢) ، ويقون في مقام آخر " واختص العلم بالأصهار الموقورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وايوان الاسلام وينبع العلم والصنائع " (٣)

على أن الذي يحيننا من هذه النهضة العلمية الشاملة هو أن نشير الى أن السنة وعلومها قد احتلت المركز الأول وتبوأت مكان الصدارة من الثقافة الاسلامية آنذاك وقد أشرنا الى هذا كله مفصلا في المقدمة ، ولقد كانت طريقة علماء هذا العصر في رواية الحديث تشمل غالبا في الاجازة والمكاتبة أما الرواية الشفاهية فقد انقرضت وصار الاسناد في الحديث يقصد للتبرك اللهم الا في أفراد قلائل تجود بهم الأقدار الالهية من وقت لآخر فيجدون ما خلق يحيون ما اندثر (٤) ومرد ذلك هو أن كتب السنة قد ألقت وجمعت وانتشرت الكتابة في جميع البلدان كما كان للأحداث التاريخية أثر في بلبلة الأفكار وتوهين همم العلماء عن الرحلة الى الأقطار في طلب العلم والحديث (٥) ولا يفوتنا أن نذكر أنه قد ظهر في هذا العصر

(١) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٣٧١ و ٣٧٢

(٢) ابن خلدون " المقدمة " ص ٣٦٤

(٣) المصدر السابق ص ٥٤٥

(٤) محمد أبو زهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٣٧

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

طائفة من علماء الحديث كانوا يجلسون للإملاء^(١) ويكتب عنهم أتباعهم الأماشي وأول من أحيى هذه السنة في ذلك العصر هو أبو الفضل العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وتزيد مجالس أمانيه على أربعمئة مجلس ، قال تلميذه ابن حجر " شرع في إملاء الحديث من سنة ٧٩٦ هـ فأحيى الله به السنة بعد أن كانت دائرة فأملى أكثر من أربعمئة مجلس غالبيتها من حفظة متقنة مذهب محررة كثر القوائد الحديثية"^(٢) ، ومنهم شهاب الدين ابن حجر أملى أكثر من ألف مجلس يملئها من حفظة مذهب محررة متقنة ويقع فيها من الأبحاث والفوائد المهمة والنكت النفيسة ما يفوق الوصف^(٣) ومنهم الحافظ السخاوي قال في كتابه فتح المغيث أملت بمكة ومدة أماكن من القاهرة وبلغ عدة ما أملت من المجالس إلى الآن نحو الستمئة والأعمال بالنيات ، إلا أن طريقة الإملاء كانت غير منتشرة انتشارها في العصور الأولى بسبب كان معظم علماء الحديث في هذا العصر عاكفين على كتب الأولين بالجمع والاختصار والشرح والتخريج وفي نهاية هذا العصر انعدمت العناية بالحديث وهكذا الناس على الفروع إلا في بعض البلدان وفي أفراد قلائل .

أما عن المصنفات الحديثية في هذا العصر وطرق العلماء فيها فنستطيع أن نقول أن علماء هذا العصر عكفوا على كتب الأقدمين وتناولوها بالعريب والتهديب والانتقاء والتزيين والشرح والاختصار وكانت طرق العلماء في تصنيفها تتنوع إلى أنواع شتى منها : -

أولاً : كتب الزوائد مثل زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة للحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٤٠ هـ ، المطالب العالمة في زوائد المسانيد الثمانية لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ على الكتب الستة والمانيد الثمانية هي مسند أبي عمر المدني ، الحميدي ، مسدد بن مهران ، الطيالسي ، ابن منيع ، ابن أبي شيبة ، محمد بن حميد ، الحارث ، وله أيضا زوائد مسند البزار

(١) الإملاء من وظائف العلماء قديما وهذه سنة قد اندثرت في هذا العصر ، يجلس المحدث ويسمى "الممل" يوما من أيام الأسبوع ويكتب عنه التلاميذ ويتخذ لذلك في المادة رجلا يبلغ عنه يسمى "المستمل" ، والإملاء أشبه في أيامنا هذه بالمحاضرات التي يلقونها الأستاذ على طلابه وهم يسجلون وراء كل ما يملئهم وتسند أبا النور في التقريب عن آدابه وكل ما يتعلق به .

(٢) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ١٧٨

(٣) السخاوي "الجواهر والدرر" ص ٧٤٥ : ٧٤٧

وزوائد مسند أحمد على الكتب الستة وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر .

ثانيا : كتب الجوامع العامة ومنها جمع الجوامع للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ جمع فيه

بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه هذا جمع الأحاديث النبوية بأسرها

وقد اشتمل على كثير من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة .

ثالثا : كتب جامعة لأحاديث الأحكام ومنها بلوغ المرام من أحاديث الأحكام لابن حجر

اشتمل على ألف وأربعمائة حديث في الأحكام .

رابعا : تخریجهم لأحاديث جاءت في الكتب العلمية غير مخرجة ومنها الكاف الشافعي

تخرج أحاديث الكشاف لابن حجر وهو مختصر تخرج أحاديث الكشاف للزيلعي

وزاد عليه ما أغفله من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة .

خامسا : تخریجهم لأحاديث اشتهرت على الألسن ومنها المقاصد الحسنة في بيان كثير من

الأحاديث المشتهرة على الألسن للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ .

سادسا : كتب الأطراف^(١) ومنها اتحاف المهرة بأطراف العشرة لابن حجر ، أطراف مسند

أحمد لابن حجر أيضا^(٢) ، هذه هي أهم أعمال العلماء فيما يتعلق بالحديث

وترتيبه وتصنيفه في هذا العصر وما وراء ذلك فشرح ومختصرات .

ومعد فهذه نظرة عجل القيناها على عصر سلاطين الماليك في مصر سياسيا وعلميا

ولعلنا نكون قد وفقنا الى الالمام به حتى تكون هناك صورة واضحة المسالم عنه اذ هو العصر

الذي نشأ فيه ابن حجر وتأثر به وأثر فيه ، فمن هو ابن حجر هذا ؟ والجواب هو

ما سيتضمنه الباب التالي .

(١) وطريقة المؤلفين فيها أن يذكروا طرفا من الحديث يدل على بقيته ويجهسون أسانيد

أما على وجه الاستيعاب وأما مقيدة بكتب مخصوصة .

(٢) محمد أبو زهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٤٤٩ و ٤٥٢

الباب الثاني

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

نشأة ابن حجر وحياته (١)

الفصل الأول

المبحث الأول : الموطن الأصلي لأسرة ابن حجر

على ساحل بحر الروم بين غزة وميت جبرين تقع مدينة عسقلان من أعمال فلسطين وقد انضوت هذه المدينة تحت راية الاسلام على يد معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" (٢)

ولم تزل تحت حكم المسلمين الى أن توالى الحملات الصليبية المصمومة على بلاد الشام بقصد استخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين حتى يصبح طريق الحج آمناً في زعمهم أمام المسيحيين الذين يتوافدون على بيت المقدس كل عام من أجل هذا الغرض ، فاستولوا عليها وانتزعوها من أيدي المسلمين وذلك في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ هـ وظلت في أيديهم الى أن استنقذها منهم الناصر صلاح الدين الأيوبي - حيث نازلها في التاسع من جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ وتسلمها في نهايته - ثم قوى أمر الفرنج بعد ذلك واستولوا على عكا وساروا نحو عسقلان فخشي السلطان أن تضعف حاميتها عن الدفاع عنها وأن يتم عليها ماتم على عكا ويجعلوها وسيلة وذريعة الى أخذ بيت المقدس فاستشار كبار رجال دولته وأولسى الرأي فيها فأشار عليه علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي بتغريبها فتردد السلطان فسي ذلك ولم ينشرح له صدره وقال "والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ولكن اذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين فلا بأس" (٣) .

وخربت المدينة واشتعلت النار فيها حتى أتت عليها في نهاية شعبان سنة ٥٨٧ هـ

(١) يلاحظ أن هناك عالماً آخر يحمل لقب "ابن حجر" وهو أحمد بن علي ابن حجر الهيثمي ولد بمحلة أبي الهيثم من اقليم الغربية سنة ٩٠٩ هـ ونبغ في كثير من فروع العلم وانتقل الى مكة سنة ٩٤٠ هـ وجاور بها حتى توفي في رجب سنة ٩٧٣ هـ بعد أن ترك مصنفات علمية غزيرة النفع .

(٢) ياقوت معجم البلدان ج ٣ م ٣ ص ٩٢٣

(٣) بن كثير ج ١٢ ص ٣٤٥

والناس ينظرون الى هذا البلد " ويتباكون على حسنه وطيب مقيله وكثرة زروعه وثماره ونشارة
أزهاره . . . وكثرة رخامه وحسن بناه " ثم رحل عنها السلطان في رمضان بعد أن صارت
قاعا صفصفا لا ترى فيه عوجا ولا أمسا . (١)

في هذه المدينة الحامرة ذات الجوال الجميل والنسيم المليل والظل الطليل والتي
يقول عنها السخاوي المؤرخ أنها " بلد نضر خفيف على القلب محكم الأسوار عظيم البنساء
مرغوب في سكنه " (٢) .

~~ولا عجب في ذلك كله فهي " عروس الشام " (٣) ، كانت تعيش أسرة ابن حجر حتى الثلث~~
الأخير من القرن السادس — ولذلك نسب إليها — ويستأنس لهذا التاريخ برأي — له
وجاهته — لبعض الباحثين المحدثين يقول فيه " اننا اذا تأملنا سلسلة نسبه يعني — ابن
حجر — ولا سيما كما يرميها هو في كتابه — انباء الضر — أو كما يرميها السيوطي في
— نظم العقيان — لوجدنا أنها تقف عند الجد السابع له مع اختلاف بين المصدرين نسي
اسم جديه السادس والسابع من حيث التقديم والتأخير فهذان الجدان عند صاحبنا هما
— احمد بن حجر — وعند السيوطي — حجر بن أحمد — وقد لا يعنيننا كثيرا في هذه
الأسطر أيهما السابق للآخر بقدر ما يعنيننا وقوف كل من الكاتبين عند الجد السابع فقط
غير محاول أحدهما تجاوزه ولو الى نسب قبلي فاذا جاز لنا أن نجعل لكل حلقة مدة ربع
قرن من الزمان وضممنا الى هؤلاء الجدود السبعة جيل أبيه (نور الدين علي) — صارت
لدينا ثمانية أجيال تستغرق من التاريخ قرابة قرنين من الزمان ، وإذا تذكرنا أن مولد
صاحب الانباء كان في سنة ٧٢٣ هـ ، وأنقصنا هذين القرنين من عام مولده تبين لنا أن
جده الأكبر وهو الأخير في سلسلة نسب أجداده عاش في عسقلان في ختام الثلث الأخير
من القرن السادس للهجرة " (٤) . وذلك عام ٥٢٣ هـ وفي هذه الفترة وما بعدها وعلى
وجه التحديد عام ٥٨٧ هـ نزل بالمدينة ما نزل وكان من شأنها ما ذكرناه قبل ، فأضطر
أهلها الى الرحيل عنها وخلفوا أموالهم ووطنهم وراءهم ظهريا واتجه الكثيرون منهم نحو

(١) بن كثير ج ١٢ ص ٣٤٦ ، ياقوت ج ٣ م ٣ ص ٩٧٣ ، الجواهر والدور ص ٧١ و ٧٢

(٢) الجواهر ص ٧٦ (٣) ياقوت "معجم البلدان" ج ٣ م ٣ ص ٩٧٣

(٣) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ٨

مصر واستوطنوا فيها (١) .

"وليس بمستبعد أن يكون جده السابع قد رحل عن المدينة وهاجر بأسرته مع من هاجر الى البلد الذي حمل لواء الدفاع عن الاسلام والمسلمين وحمل الشرق العربي من خطر الجماعات الصليبية اذ ذاك ثم من الدمار المغولي بعدئذ " (٢)

غير أن المراجع العربيين أيدينا لا توافقنا بتاريخ معين ولا تعطينا سنة محددة لرحيل هذه الأسرة بل كل ما ذكر في هذا الشأن مبنى على الحدس والتخمين ، يقول السخاوي متحدثا عن الرحيل العام : "وكان ذلك بعد سنة ثمانين وخمسة مائة ظنا " (٣)

أخذت الأسرة طريقها الى مصر مع بقية الأهلين كما قلنا " ووجدت ترحيا من السلطان صلاح الدين فاستقر بها المقام بين القاهرة والاسكندرية واختلطت بالأهالي وتحصرت على مر السنين " (٤) ، وليس عربيين أيدينا من المراجع والمصادر ما يعطينا معلومات واقية ودقيقة تصور لنا وتوضح حياة هذه الأسرة ابان اقامتها بمصر ، بل كل ما يوجد عنها شذرات ونقطة معشرة ومتفرقة في ثنايا الكتب يستطيع الباحث بضم بعضها الى بعض أن يكون صورة قد تكون تقريبية عن هذه الأسرة وكيف أن بعض أفرادها ورجالاتها شغلوا مناصب دينية فسي مصر والبعض الآخر اتخذ التجارة وسيلة للرزق واتقوا بها وانصرفوا اليها انصرانا كليسا شغلهم عن التدخل في شئون الحكم والسياسة يومذاك فعاشوا في طمأنينة وأمان ومحبوحة من العيش ولم يلحقهم من العنت والاضطهاد والمهادرة والتنكيل ما لحق بغيرهم مما تغيرون به المراجع والحواليات عن هذه الفترة (٥) .

(١) ابن شداد النوادر السلطانية ص ١٦٥ و ١٦٦ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٧

(٢) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ٩

(٣) الجواهر ص ٧١

(٤) مقدمة الانباء ص ٩

(٥) المصدر السابق ص ١٤

البحث الثاني : مركز الاسرة الاجتماعى والعلمى

على هذا النمط من حياة السعة والترف والتكريم عاشت الاسرة وانجبت من الأبناء والأحفاد الكثيرين ممن أصبحوا بعد ذلك من ذوى الثراء والنفوذ المالى والأدبى فى الدولة كما صاهرت كبار رجال الدولة المملوكية . . . ومرجعنا الذى استقيناه منه واعتمدنا عليه فى ذلك هو ابن حجر نفسه . فنراه يشير الى خال ابيه احمد بن محمد بن براقيث ويقول عنه " كان أحد الاعيان بالقاهرة وهو خال ابي مات فى شوال سنة ٧٢٦ " (١)

ويحدثنا عن عم أبيه فيقول " عثمان بن محمد بن على الثانى العسقلانى الشهير بابن حجر وابن البراز سكن ثغر الاسكندرية فانتهت اليه رئاسة الافتاء فى مذهب الشافعى هناك . . . وقال العلامة فخر الدين ابو عمرو : مفتى الثغر وقيه الشافعية فى زمانه تفقه على جماعة منهم الدمنهورى وابن الكويك وهو والد ناصر الدين احمد الفقيه ومات فى سنة ٧١٤ وهو عم والدى " (٢)

كما يذكر ايضا ابن عم أبيه " محمد بن عثمان بن على بن حجر العسقلانى الأصل المصرى زين الدين الاسكندراني — فيقول — وكان زين الدين المذكور من فقهاء الشافعية بالثغر " (٣) بل إن اباه نور الدين على تزوج من اخت زكى الدين الطرطوسى كبير تجار الكارم فى مصر والذى يقول عنه ابن حجر انه " تعانى الرئاسة وعظم قدره فى الدولة وصار كبير التجار ورئيسهم " (٤)

ويقول عنه ايضا لقد " فاق الأقران وخضع له اكابر التجار وصار عين اعيانهم " (٥) كما يقول عنه ابن قاض شهبه كان " رئيس الكارمية بمصر وتاجر السلطان " (٦) على ان ابن حجر نفسه تزوج من ابنة كريم الدين ابن عبد العزيز ناظر الجيش فى مصر . (٧) وقد يبدو أننا أطلنا وأسهبنا فى ذكر هذه التراجم غير أنه مما يخفف وطأة

(١) ابن حجر " الدرر الكامنة " ج ١ ص ٢٧٤ رقم ٦٦٢

(٢) الدرر — ج ٣ ص ٦٤ رقم ٢٦٠٧

(٣) الدرر — ج ٤ ص ١٦١ ، ١٦٢ رقم ٣٩٣٦ .

(٤) ابن حجر " ابناء الفخر " ج ١ ص ٣٠٩

(٥) ابن حجر " الدرر " ج ١ ص ٤٨١ ، ٤٨٢

(٦) ابن قاض شهبه " ج ٣ ص ١٢ مخطوط

(٧) الجواهر ص ١٦٢٨

اللم علينا في ذلك ان الغرض الذي سقناها من اجله هو ان نشير الى أن هذه الأسره عاشت في مصر واحتلت مراكز تجارية وعلمية وأدبية مرموقة وهاجرت أكبر الناس ولم تعش مغموره بين فئات الشعب ليس لها أى ذكر أو شأن في البلاد وعلى مر السنين غدت تنحسر وتمتز بمصريتها ومن يطالع ديوان ابن حجر يرى فيه الكثير من الأمثلة التى تدل على ارتباطه الروحي وتعلقه بمصر وحبها كما في قوله :

متى يتجلى أفق مصر بأقمارى وأروى عن اللقيا أحاديث بشمار
الى مصر وأشواقا لمصر وأهلها تشوق صب للنوى غير مختار
مراع لذاتى وملهى شبيبتي وبدا أوطانى وفاة أوطارى (١)
ويتشوق ايضا ويحن الى النيل فيقول :

تركنت شراب النيل حلوا وساردا فكلم خدعة لى بعده بسراب
وفارقت من لطاق لى بفراقه فما طرق السلوان ساحة بابي (٢)

البحث الثالث : رأى آخر حول الموطن الأصلي لأسرة ابن حجر

بقى علينا بعد ان تحدثنا عن الموطن الأصلي لأسرة ابن حجر وحججه تاريخه ولوعلى وجه التقريب ومقامها بمصر ومركزها الاجتماعى والأدبى أن نشير الى أن هناك رأيا آخر حول هذا الموطن وسوف نعرضه فى الصفحات القادمة بحاله وما عليه كما هو عند أصحابه ، ذهب أبو المحاسن بن مخرى بردى الى القول بأن أسرة ابن حجر " قدمت أصلا من بلاد الجريد على حدود قابس وقد أشار الى ذلك فى معجم تراجمه المنهل الصافى " حينما قال " وابن حجر نسبة الى آل حجر تسكن الجنوب الأشر على بلاد الجريد وأرضهم قابس " ، وقد تابعه فى رأيه تقليدا له ودون تحفظ أو احتراص

(١) ص رقم ٢٣ ب ، و ٢٤ أ
(٢) ص رقم ١/٦٩ مخطوط

ابن العماد الحنبلى فيذكر في كتابه الشذرات اثناءً حديثاً عن وفاة سنة ٨٥٢ هـ ترجمة لابن حجر قال فيها بعد ان ذكر سلسلة نسبة " الشهير بابن حجر نسبة الى آل حجر قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس " (١) وجرى معهم في هذا الوادى صاحب فهرس الفهارس حيث قال " وعائلته من آخر بلاد الجريد من أرض قابس حكومة تونس " (٢) على أن المستشرق الفرنسى " كاترير " هو الآخر قد أرجع ابن حجر الى قبيلة عربية سكنت بلاد الجريد (٣)

ولا أكلف نفسى الرد على كل واحد من هؤلاء المؤرخين والباحثين على حدة بل سأعتمد — ان شاء الله تعالى — تفنيدي رأى شيخهم وقد مهم — ابو المحاسن — وعند ذلك تنهار جميع الآراء الأخرى إذ أن أبا المحاسن هو المصدر الذى استقى منه هؤلاء جميعاً والمرجع الذى اعتمدوا عليه وهم له فيما ذهب اليه تبع فأقول والله المستعان

إن ما ذهب اليه ابو المحاسن لينطوى على خطأ تاريخى عظيم
ان ليس فى سلسلة نسب " ابن حجر " سواء التى ذكرها هو نفسه او حفيده يوسف ابن شاهين — فى تلخيص قضاة مصر — أو غيرهما من ثقات المؤرخين — ما يفسح عــــن الإشارة الى مثل هذا الوطن لأحد من أسلافه وليس فى ثبته اسم بربرى وسكت عن هذه الإشارة المينى فى " عقد الجمان " والسخاوى فى " الضوء اللامع " والسيوطى نفسى " نظم المقيان " (٤)

على أن أبا المحاسن لم يذكر الأسباب التى دفعت هذه القبيلة الى نسب اليها ابن حجر — فى زعمه — ولم يشر الى العوامل التى حملتها على المجىء الى بلاد المغرب كذا لك نراه لم يبين " العصر الذى نزحت فيه الى تلك المنطقة وهل جاءتها من القبائل العربية التى كانت تعيش فى مصر أم هاجرت اليها من بلاد الشام أو العراق أو بلاد العرب ذاتها " (٥) كما أنه لم يذكر لنا المصدر " الذى اعتمد عليه فى تقدير هذا النسب " (٦)

(١) شذرات الذهب " ج ٧ ص ٢٧٠

(٢) الكتانى فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٣٧

(٣) حسن حبشى مقدمة انباء العصر ص ١٠

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة

(٥) " " " " " "

(٦) " " " " " "

ويبدو أن كل ما استند إليه أبو المحاسن واعتمد عليه في هذا الزأى هو وجود " كلمة حَجَرٌ ولملح يكون بعد ذلك كله قد اتضح خطأ أبي المحاسن ومحد رأيه عن الصواب ففى هذه الرواية التاريخية وحسبنا بعد ذلك أن نذكر " أن أبا المحاسن كان محججه فى أنساب الترك وليس كذلك فى أنساب العرب إذ لم يتوفر له حظ كبير فيها وليس يندى القدح المجلس فى هذا الميدان " (١)

ولمل مرد هذا الزلل ومرجع ذلك الخطأ التاريخى هو أن أبا المحاسن اشتبه عليه الأمر والتبس فخلط بين قبائل - حَجَرٌ ، حُجَرٌ ، حَجَرٌ - " إذ كانت القبيلة الأخيرة وحدها - وهى من بنى أسد وليست قبيلة حَجَرٌ هى التى تعيش فى بلاد الجريد حول قابس ومن ثم خلط أبو المحاسن بين حَجَرٌ ، حُجَرٌ فأدى إلى ذلك إلى نسبة أبى حجر المقلانى إلى قبيلة حَجَرٌ " (٢)

وأخيرا ومحد هذه المناقشة لرأى أبى المحاسن ميان زيفه ومحد من الصواب يتبين لنا أيضا زيف الآراء الأخرى التى قامت واعتمدت على رأيه واتخذته أساسا لها وسلم ماقررناه قبل من أن أسرته عاشت فى عسقلان بالشام .

المبحث الرابع : حول أصل ابن حجر

يكاد ينهقد إجماع الذين كتبوا عن ابن حجر وأرغوا له ممن عاينوه أو جاء بسنده على أن أصله ونسبته - كنانى عسقلانى - وقبيلة كنانة عربية ما فى ذلك ريب حيث أن اسم كنانة عربى لا يتطرق إلى ذلك أدنى احتمال وحسبنا دليلا على عربية هذا الاسم أن

(١) حسن حبشى مقدمة الانباء ص ١٠

(٢) السوهدى " سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب " ص ١٠٠
، والأسدى " المؤلف والمختلف فى أسماء نقله الحديث " ص ٢٧ و ٢٨

النسابين الذين رفعوا نسب النبي " صلى الله عليه وسلم " الى جدد ه الأعلين ذكروا نسي
سلسلة نسبه أنه ابن " النضر بن كنانه " فتكون قبيلة كنانه عربية وابن حجر أيضا لا تنسبه
اليها يكون عربيا وجميع الذين أرخوا لابن حجر لم يثقلوا هذه النسبه وهو كونه " كنانى "
فشيخ المؤرخين فى عصره تقي الدين المقرئى قد أثبت هذه النسبه حينما تحدث عن والد
ابن حجر - فى وفيات سنة ٧٧٧ هـ حيث قال " وتوفى نور الدين على بن محمد بن محمد
ابن على بن أحمد بن أحمد الكنانى المسقلانى الشهير بابن حجر والد أخينا فى الله
الحافظ شهاب الدين ابو الفضل قاض القضاة أحمد بن حجر الشافعى " (١) كذلك ذكر
هذه النسبه ابن قاض شهبه أثناء ترجمته لوالد ابن حجر فى وفيات سنة ٧٧٧ هـ حيث يقول
" هو على بن محمد بن محمد ابن على بن أحمد بن أحمد الشيخ نور الدين التتانى
المسقلانى الاصل المصرى المشهور بابن حجر " (٢) وابن حجر نفسه لم تفته هذه النسبه
خلال ترجمته لوالده اذ يقول عنه " على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن حجر
المسقلانى ثم المصرى الكنانى " (٣) ونراه أيضا قد سجلها رقيدها حينما ترجم لعلم
والده حيث قال " عثمان بن محمد بن على بن أحمد بن محمود الكنانى المسقلانى الشهير
بابن حجر " (٤)

والسخاوى تلميذه الوفى ومريده أثبت هذه النسبه أثناء ترجمته له فى كل من "التبیر
المسبوك ص ٢٣٠ والضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ والذيل على كتاب رفع الامر المسمى بنسبه
الوفاة ص ٧٩" وقال أيضا " قرأت بخط صاحب الترجمة رأيت بخط والدى أنه كنانى الاصل
وكتب شيخنا مره الكنانى القبيلة " (٥) كما أشار الى هذه النسبه " صاحب الترجمة فى
جواب استدعاء منظوم بقوله :

من أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على الكنانى المعتد (٦)

ومزيدنا البرهان الباقى تلميذا ابن حجر ثقة على ثقة فى صحة هذه النسبه وصدقها أثناء

(١) المقرئى السلوك ج ٣ ق ١ ص ٢٦٢ تحقيق سصيد عاشور

(٢) تاريخ ابن قاض شهبه ج ٢ ص ٢٣٣ مخطوط

(٣) انباء الغمر ص ٥٣

(٤) ابن حجر الدرر الكامنه ج ٣ ص ٦٤

(٥) الجواهر والدرر ص ٧٠

(٦) الجواهر ص ٧٤

ترجمته لابن حجر اذ يقول " وقد نظم — أي ابن حجر نسبه ومولده وغير ذلك في قصيدة كتبها وأنشد فيها بقراؤه عليه في ذي الحجة سنة ٨٣٦ هـ ظاهر السك من قرى دمشق وهى :
الحمد لله الكريم السيد ذي الفضل من يهده بهدى يهتدى
وصلى في هذه القصيدة على الأصحاب والتابعين ومن نقلوا السنة وحافظوا على الدين الى
أن قال (١) :

من احمد بن على بن محمد ابن محمد بن على الكنانى المحتد
فهذا صريح فى أن ابن حجر نفسه واثق تماما من هذه النسبة الكنانية — العربية — ومن
أراد المزيد فليراجع (٢) .
وحتى أبو المحاسن الذى رد أصل ابن حجر الى قوم يسكنون بلاد الجريد من أرغرابس
— والتبع عليه الأمر فى ذلك — لم يغفل هذه النسبة فقال أثناء ترجمته له فى (المنهل الصافى)
"هو أمير المؤمنين فى الحديث شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكنانى المسقلانى"
والمستشرق الفرنسى "كاترمير" هو الآخر أرجع ابن حجر الى قبيلة عربية وان جانبه الصواب
فى ذكر موطنها (٣)

وقصدنا من ذكر هذه المصادر وتعدادها أن نؤكد للقارئ ونثبت له بالأدلة القاطعة
التى لا يرقى اليها أدنى ريب أن ابن حجر عربى الأصل وكل قول ينفى عنه ذلك فهو تبجح على
الحقيقة مخالف لما أجمع عليه من أرخوا لابن حجر .

(١) البقاعى "عنوان الزمان" ج ١ ص ٣٥
(٢) السيوطى "مظنم المقيان" ص ٤٥ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٣
، الشوكانى "البدر الطالع" ج ١ ص ٨٧
، المناوى "اليواقيت والدرر" ص ٣
، الشمسى ابن طولون "القلائد الجوهريّة" ص ١٤٥
(٣) حسن حمشى "مقدمة انباء الغمر" ص ١٠

غاية ما هنالك أن ابن حجر كتب عليها بخطه ما يفيد ملكية عمه لها ، واليكم النص الذي فهم منه الباحث أن كتاب — صفة النبي "صلى الله عليه وسلم" — من مؤلفات ابن حجر ، يقول السخاوى — متحدثا عن زيادة "أحمد بن حنبل" في نسب شيخه — أنه رآها "بخط صاحب الترجمة نفسه في آخر نسخة من — صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) — لأبي علي محمد بن هارون بخط قريبه الزين شعبان لكن باسقاط محمود ونص كتابته — أي ابن حجر — نسخة شعبان بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن علي" (١)

فهل بعد هذا يصح للباحث أن ينسب لابن حجر من المؤلفات ما ليس له علم بأن نسبه هذا المؤلف الى محمد بن هارون من البديهيات والمسلمات التي لا يختلف فيها اثنان ، على أن ورود هذه الزيادة — أحمد بن حنبل — بخط ابن حجر لا تنهض دليلا قويا على أن أصله كردى اذ لم يذكرها الا مرة واحدة في آخر هذه النسخة ولو كانت في نسبه حقيقة لذكرها مرات ومرات فضلا عن أنه — يمكن أن يقال ان — يلحقه "أحمد بن حنبل" مصحفه عن ابن بزيادة قليلة في رأس النون الى أعلى ونقل نقطتها الى الباء قبلها حتى صارت — يلى — ويساعدنا فيما ذهبنا اليه من أن "يل" في "أحمد بن حنبل" مصحفه عن ابن أن سلسلة النسب التي ساقها ابن حجر عن نفسه في "انباء الغمر" فيها بعد الجد السادس وهو أحمد جد آخر اسمه حجر فصحت "بن الواقعة بين الجد السادس وهو أحمد والجد السابع وهو حجر الى "يل" بعد أن سقط من النسب جد ، الأخير وهو حجر .

ومع هذا يسترسل الباحث في الاستدلال على رأيه وما ذهب اليه فيقول " وورود هذه النسبة عند ابن حجر نفسه ومقلمه ذاته وعند السخاوى دليل على أن أحد جدود هذه الأسرة كان يسمى بأحمد بن حنبل وهو اسم كردى صريح لا شبهة في كونه " (٢) وقد أوضحنا — بقدر الوسع — فيما سبق بعد رأيه عن الصواب ومخالفاته للحقيقة في هذه القضية على أن سلسلة النسب التي ساقها — ابن حجر — مشتملة على — أحمد بن حنبل — لم يذكر فيها الا ستة جدود فقط والباحث نفسه الذى يعيل الى القول بوجود — أحمد بن حنبل — في نسب ابن حجر — حتى يثبت انه كردى — مع نقص جدوده في هذه السلسلة نراه في مكان آخر يعيل اليه القول بأن جدوده سبعة حيث يقول " اننا اذا تأملنا سلسلة نسبه — أي ابن حجر — ولا سيما كما

(١) الجواهر ص ٦٧ و ٦٨

(٢) حسن حبشى "مقدمة الانباء" ص ١٣

يرومها هو في كتابه — انباء الغر بأنباء الممر — أو كما يوردها السيوطي في — نظم —
المقيان — لوجدنا انها تقف عند الجد السابع له على اختلاف بين المصدرين في اسمي
جديه السادس والسابع من حيث التقديم والتأخير فهذان الجدان عند صاحبنا هما — أحمد
ابن حجر — وعند السيوطي — حجر بن أحمد * (١)

وهذا تناقض غريب واضطراب في الرأي عجيب كان ينبغي أن يتنزه عن الوقوع فيه — مثل هذا
الباحث — ولكنه جنح الى هذا تأييدا لرأيه وفكرته في كلا الموضوعين وليت الأمر وقف بالباحث
عند هذا الحد بل اننا نلج في مكان آخر أنه روى ابن حجر بالضعف والخور واتهمه بأنه
ليس لديه من الشجاعة الأدبية ما يمكنه من أن يظهر نسبه وجدوده الأكراد — في زعمه — وأنه
آثر الصمت والسكوت عن هذه النسبة لأنه يعيش " في عصر المماليك الجراكسة الذي يكاد
يخلو عن جنس الكرد * (٢)

ونحن لانعقب على هذا بأكثر من أننا نسأل — الباحث — ماهي مكانة ابن حجر الاجتماعية
في عصر هذه الدولة التي عاش في ظلالها — حتى يسكت ويؤثر الصمت عن نسبه — والباحث
نفسه لا يملك الا أن يحترف بأنه في عصر هذه الدولة كانت الأنظار تتطلع اليه حيث شغل
كثيرا من الوظائف والمراكز الهامة مما يدل على أنه ساد في تلك الحياة ولج من سمو منزلته
الاجتماعية انه جالس السلاطين والأمراء وخالفهم وكلام الباحث نفسه في هذا صريح واضح
حيث يقول " ولقد شغل ابن حجر كثيرا من الوظائف الهامة في الادارة المملوكية المصرية
وهي وظائف هيات له السهل للوقوف على مجريات السياسة المصرية ودخائلها آنذاك ومكنته
من الاتصال المباشر بالصادر الأولى لأحداث هذا العصر سواء كانت هذه المصادر هي
السلاطين أنفسهم أم كبار رجال الدولة * (٣) . كما يذكر في مكان آخر ما يؤيد ذلك حيث
يقول " واستطاع ابن حجر بفضل مكانته في دوائر الحكم العليا * (٤) .

ورجل ب تلك المثابة وهذه المنزلة — باعتراف الباحث — هلي من المعقول أن يسكت عن أن
يذكر نسبه ويسجله في عدد من مؤلفاته خصوصا وأنه مؤرخ وصاحب حوليات فضلا عن أن هذا
لا يكلفه كثيرا ولا يرهقه من أمره عسرا .

وحتى لو سلمنا بأن ابن حجر سكت عن نسبه الكردي لانه كان يعيش في عصر دولة المماليك

(١) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ٨ (٢) نفس المصدر ص ١٤

(٣) نفس المصدر ص ٢٠ (٤) نفس المصدر ص ٢١

الجراسكة ٠٠ فما الذي منع أبا المحاسن بن تغرى بردى الأتابكي التركي وهو الذي قد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة عند وفاة ابن حجر^(١) من أن يتحدث في أحد كتابيه — "المنهل السافى" أو "النجوم الزاهرة" عن هذا النسب وهو الذي قال رأيته بصراحة قبل ذلك — في موطن أسرته — ما ذاك إلا لأن نسبه وأصله عربى وليس كردى كما يرمى الباحث ، وفى رأى أن الأقرب الى التصديق والقبول فى سلسلة نسب ابن حجر على كثرة اختلاف المؤرخين وتعدد آرائهم فى ذلك هى تلك السلسلة التى ساقها ابن حجر نفسه فى مقدمة "أنباء الغمر بأنباء العصر" — على هذا النمط — أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن محمود بن حجر ، لأن عدد جدد ه فيها قد وافق عليه البقاعى تلميذه وصاحبه فى كتابه^(٢) وكذلك من بعده السيوطى فى نظم الحقيان — هذا من جهة — ومن جهة أخرى ، لأنها أكمل وأتم وليس فيها اسقاط لأحد من أجداده ولا يغيرنا أن السقاوى تلميذنا بن حجر قد اعتمد غيرها فى كتابه "الجواهر والدرر" — وليس فيها ما يشتم منه — فضلا عن أن يدل على أنه كردى .

ولا يفوتنا ونحن ما زلنا بصدد مناقشة رأى السالف الذكر أن نسجل أن الباحث نفسه أثناء مناقشته للرأى القائل بأن ابن حجر عربى الأصل — وهذا بالطبع يخالف اتجاهه تماما — قال "ربما بنى السيوطى هذا الزعم على ورود كلمة "الكتانى" فى سلسلة نسب ابن حجر وإن لم تنهض فى ذاتها دليلا على الوصول به الى ذلك الأصل"^(٣) ونحن من جانبنا نرد عليه بما رد به على السيوطى فنذكر أنه هو الآخر بنى رأيه على ورود كلمة — أحمد بن حجر — فى نسب ابن حجر وورودها لا ينهض دليلا على الوصول به الى ما اتجه اليه من أن أصل ابن حجر كردى كما سبق أن ذكرنا ذلك وبيناه . ثم يأخذ الباحث فى مناقشة ومناقضة كل ما من شأنه أن يثبت أن أصل ابن حجر — كتانى عربى — فيقول "ربما قيل أن ابن حجر نفسه أشار الى ذلك الأصل ، غير أن اشارته لم تعد — فى كل ما ألف وأملى — مرتين : أولاها فى اجازة أجازها لأحدهم جاء فيها :

من أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكتانى المحدث

(١) وذلك لأنه ولد فى سنة ٨١٢ هـ

(٢) "عنوان الزمان" ج ١ ص ٣٥

(٣) حسن حبشى "مقدمة الانباء" ص ١١

وثانيهما : اشارته العابرة بأنه قرأ بضعة أسطر بخط أبيه يذكر فيها أنه كنانى الأصل ولم يعلق ابن حجر على هذه الأسطر بنفى أو اثبات وفى رأينا انه لو كانت هذه النسبة ترتكز على أساس مدعى قوى لأمردها ابن حجر فى مؤلفاته وفتاويه واجازاته ولكن موقفه فى تحرى الحقيقة التاريخية وتجريحه لكل ما يشتم فيه رائحة الضعف باعدا بينه وبين الوقوع فى مثل هذا الزعم (١) .

ويبدو من كتابة الباحث انه متعصب لرأيه ويريد أن ينفى ويشكك فى كل ما مسن شأنه أن يثبت أن ابن حجر — كنانى عربى — ودليلنا على ذلك أنه يقول إن اشارة ابن حجر الى أصله — الكنانى — لاتعد وموتين وهو قول ظاهر الخطأ بين البطالان . فان ابن حجر أشار الى هذه النسبة أثناء ترجمته لوالده (٢) ، وكذلك أشار اليها حينما ترجم لحسن والده عثمان بن محمد (٣) . وأيضا أشار اليها حينما ذكر انه رآها بخط والده (٤) ، كما أشار اليها فى جواب استدعاء منظم حيث قال :

من أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنانى المحدث (٥)
كما أشار اليها ابن حجر فى قصيدة ألفها وقرأها عليه تلميذه البرهان البقاعى سنة ست وثلاثين بدمشق (٦) . ثم بعد هذه الاشارات وتلك التصريحات يقول الباحث انه لم يشر اليها فى مؤلفاته الا مرتين فهمل بعد هذا من تعصب أو بعد عن الصواب وفوق هذا فانه اتخذ ذكر ابن حجر واشارته لها مرتين — كما يزعم — ذريعة ووسيلة للتشكيك فيها — أى نسبته العربية — وعدم الجزم بصحتها .

واذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يتشكك ويرتاب فيما ذهب اليه — هو — من أن أصله — كردى — حيث لم يشر ابن حجر الى هذا الأصل الا مرة واحدة فأى الرايين بعد هذا أولى بالتصديق والقبول لو كان الباحث من المصنفين المنزهين عن الهوى والتعصب .

-
- (١) حسن حبشى "مقدمة الانبا" ص ١١
 - (٢) انبا الفمر ص ٥٣ مخطوط
 - (٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٤
 - (٤) الجواهر والدرر ص ٧٠
 - (٥) المصدر السابق ص ٧٤
 - (٦) عنوان الزمان ج ١ م ١ ص ٣٥ "مخطوط"

المبحث السادس : تنبع صوفى بمولد ابن حجر

لقد كان لنور الدين على والد (١) "ابن حجر" ولد من غير زوجته ، والدة (٢) "ابن حجر" ، قرأ الفقه وفضل وعرض المنهاج ثم أدركته المنية فحزن عليه والده حزنا أسلمه الى الجزع ، وكان موته نازلة ارفض لها صبره فاستسلم للوجد ، غير أن ما خفف من جزعته وكفف من دموعه وجعل السلى تجد طريقها الى قلبه المجرع وفؤاده المكلوم أنه حضر يوما الى الشيخ يحيى الصنافيرى (٣) فبشره بأن الله سيخلف عليه غيره ويعمره أو نحو ذلك ، يقول ابن حجر "فولدت أنا له بعد ذلك ببسير وفتح الله بما فتح" (٤) .
ويقال أن لفظ الصنافيرى لوالد ابن حجر " يخرج من ظهر ك عالم يملأ الأرض علما " (٥) .

- (١) هو نور الدين على بن قطب الدين المسقلانى المصرى ولد فى حدود سنة ٧٢٠ هـ وكان أصغر اخوته وتمانى من بينهم طلب العلم وتذهب للشافعى فضلا عن اشتغاله بالتجارة وسمع من أبى الفتح ابن سيد الناس ومهر فى الأدب وقال الشعر فأجاد وثاب فى حكم القاهرة عن ابن عقيل الذى توثقت بينهما عرى الصداقة وكان موصوفاً بالمقل والمعرفة والديانة ومحبة المالحين ، توفي فى شهر رجب سنة ٧٧٧ هـ
- (٢) هى تجار بنت الفخر أبى بكر بن محمد بن ابراهيم الزنتاوى ، خرجت من أسرة ثرية ثرية موفورة المال والجاه معا ، فأخوها صلاح الدين أحمد أحد تجار النازم بمصر وقد انشأ من ماله الخاص قاعة وكالة - فى مصر تجاه مقياس الرضفة ، وقبل زواجها من والد ابن حجر كانت تحت أحمد بن عبد المهيمن البكرى الذى كان داعية التمايل ابن عربى ثم طلقت منه لسبب خفى لم يشر أحد من المؤرخين اليه وزفت بعد ذلك الى نور الدين والد ابن حجر ، وذلك فى سنة ٧٦٦ هـ . أما وفاتها فلم يشر أحد من المؤرخين الى تاريخها .
- (٣) الشيخ يحيى الصنافيرى نسبة الى قرية صنافير من أعمال القليوبية سكن بزاوية الصنافير ثم تحول عنها الى قرية شيخه أبى المباس ، فسكنها بطرف القرافة وكثرت مكاشفاته حتى صارت فى حد التواتر وهرع الناس الى زيارته ، توفي فى ٢٦ من شعبان سنة ٧٧٢ هـ (ابن حجر الدر الكامنة ج ٥ ص ٢٠٧) .
- (٤) الدرر الكامنة ج ٥ ص ٢٠٧
- (٥) الجواهر ، ص ٧٣

المبحث السابع : مولد ابن حجر

لقد اجمع اجماع المؤرخين على أن ابن حجر ، ولد في شهر شعبان سنة ٧٧٣ هـ
 أول مارس سنة ١٣٧٢ م ، إلا أنه لم تتفق كلمتهم في تحديد اليوم الذي ولد فيه بل اختلفوا
 فيما بينهم ، فالسخاوي تلميذه ذهب الى أنه ولد في اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر
 وتبعه فيما ذهب اليه جماعة من المؤرخين (١) .

بينما نرى ابن فهد المكي ومن لف لقه ذهبوا الى أنه ولد في اليوم الثالث والعشرين (٢) .
 كذلك نرى ابن حجر لم ينص على تاريخ مولده في ترجمته التي كتبها لنفسه في رفع الاصر عمن
 قضاة مصر ، والذي نرجحه ونطمئن اليه هو أنه ولد في الثالث والعشرين حيث أن ابن
 حجر أخبر به وكتبه بخطه لأحد من اجتمعوا به والتقوا معه . يقول الفزى " ومولده كما أخبرني
 به وكتبه لي بخطه في ثالث عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة " (٣) .

وكانت ولادته بمنزل والده على شاطئ النيل بناحية مصر العتيقة بجوار منطقة دير النحاس والجامع
 الجديد . (٤) ، ولقد ظل ابن حجر مقيماً بهذه الناحية ولم ينتقل منها الى القاهرة الا قبيل
 نهاية القرن الثامن الهجري حينما بلغ مبلغ الرجال وتزوج بأولاده وذلك في سنة ٧٩٨ هـ (٥)
 " فسكن بقاعة منكوثر جد أبي أمها المجاورة لمدرسته داخل باب القنطرة بالقرب من حارة بها
 الدين واستمر بها حتى مات " (٦) .

وقد نظم ابن حجر قصيدة طويلة أشار فيها الى نسبه ومولده نذكر منها ما ينهض شاهد على
 ما نحن بصددده ، يقول ابن حجر :

وحصر مولده وأصل جدوده من عسقلان المقدسية قد بدى
 ثم قال :

شعبان عام ثلاثة من بعد سبع سبعمين اتفاق المولد (٧)

(١) السخاوي " الجواهر " ص ٧٢ ، البقاعي " عنوان الزمان " ص ٣٠

، السيوطي " نظم الحقيان " ص ٤٥

(٢) لحظ الألفاظ ص ٣٢٦ ، لشئ بن طولون ، القلائد الجوهريّة ص ١٤٥

(٣) بهجة الناظرين ص ١٦٣

(٤) الجواهر ص ٧٢ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ ، القلقشندي صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٦-٤٩٧

(٥) الجواهر ص ١٦٢٩

(٦) المصدر السابق ص ٧٢

(٧) البقاعي " عنوان الزمان " ص ٣٥

المبحث الثامن : لقبه — كنيته — شهرته

لقد لقب ابن حجر — بشهاب الدين — وكفى بأبي الفضل كما أراد له والده (١).
يقول ابن حجر أثناء ترجمته لوالده "وأحفظ منه أنه قال كنية ولدي أحمد أبو الفضل" (٢).
ولم تكن هذه التكنية من الوالد عرضاً أو عن غير قصد بل إنه قد أعجب وفتن بشخصية عالم من
علماء مكة وقضاتها تحفل هذه الكنية فأطلقها على ابنه تغافلاً ورجاءً أن يكون مثله ، يقول
السخاوي "وكفى بذلك تشبيها بقافر مكة" أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي
النويري إذ كان — ابن حجر — مع أبيه وهو طفل هناك (٣) ، ويبدو أن ابن حجر لم يقنع
بهذه الكنية لما شب عن الطوق ولازم شيخه في الحديث — عبد الرحيم الحراشي — فطلب منه
بل وألح عليه أن يكتبه فكتاه "أبا العباس" (٤)

أما شهرته ، فهو بن حجر — بفتح الحاء والجيم بعدها راء . (٥)
على أن المؤرخين اختلفوا فيما بينهم هل — بن حجر — اسم أو لقب فقيل "هو لقب لأحمد
الأعلى في نسبه وقيل بل هو اسم لوالد أحمد المشار إليه" (٦) على أن ابن حجر نفسه قد
أشار إلى هذا الاختلاف ، في جواب استدعاء منظوم بقوله : —

من أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي الكتاني المحتد

ولجد جد أبيه أحمد لقبوا حجرا وقيل بل اسم والناحد (٧)

كذلك نرى الفري أثناء ترجمته لابن حجر أشار إلى هاتين الكنيتين والشبهة حيث يقول هو
"أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن حجر أبو العباس وأبو الفضل العمدة العسقلاني
المصري الشهير بابن حجر" (٨) ، ومع هذا كله فإن صاحب فهرس القهار قد ساق نصا
يفهم منه ما يخالف ذلك تماماً وأن — ابن حجر — هو لقب لأبي الفضل شهاب الدين أحمد
نعمه وليس اسماً ولا لقباً لأحد أجداده حيث يقول "وفي شرح ابن سلطان على توفيق النخبة
للمترجم قال الشيخ أصيل الدين ابن حجر هو لقب الشيخ" (٩)

-
- (١) الجواهر ص ٦٩ (٢) بن حجر "أنبا الفهر" ص ٥٣
(٣) السخاوي "الجواهر" ص ٦٩ (٤) نفس المصدر ص ٦٩
(٥) ابن الشلي "اتحاف الرواة" ص ٢٣٤ (٦) الجواهر ص ٧٤
(٧) البقاعي "غنوان الزمان" ص ٣٥ (٨) بهجة الناظرين ص ١٦٣
(٩) الكتاني "فهرس القهار" ج ١ ص ٢٣٧

ثم أورد بعد ذلك تحليلات متعددة لهذه الشهرة بناءً على هذا الرأي فقال "ويحتدل أنه كانت له جواهر كثيرة فسمى به" (١).

وقيل "لقب بذلك لجودة ذهنه وصاربه رأيه بحيث يرد اعتراض كل معترض" (٢) وفي شرح الشيخ وجيه الدين العلوي الهندي على شرح توضيح النخبة أيضا لقب به لكثرة ماله وضياعه حتى قال — ابن حجر — المراد بالحجر الذهب والفضة (٣).

ونحن لانعقب على هذا الرأي بأكثر من أننا نقول انه بعيد كل البعد عما اتفق عليه جميع المؤرخين الذين ترجعوا لابن حجر أو لأحد من أجداده مما يدل على ضعفه ووهنه ومحداه عن الحقيقة .

ثم ساق الثاني بعد ذلك تحليلًا آخر لهذه الشهرة — ابن حجر — ولعله يتفق مع ما ذهب إليه بعض المؤرخين حيث يقول "وقيل سمي به لكونه اسم أبيه الخامس وكان يحمل الحجر" (٤).

(١) الثاني "فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٣٧

(٢) " " " " " "

(٣) " " " " " "

(٤) " " " " " "

المبحث التاسع : نجاته وتربيته

لقد أظلت سابت حجر — سحابة اليتيم منذ حداثة السن إذ لم تنشب والدته —
تبار — أن بلغ كتابها أجله فتوفيت — ويبدو أن ذلك قد حدث وأبنت حجر كان لا يزال في
طور الطفولة المبكرة — نفهم ذلك من كلامه أثناء حديثه في "أبناء الفجر" عن والده ، إذ
لو كانت وفاتها في سن مبكرة فيه شيئا لدجل في كتابته عن علامتها وصورتها ما انقطع فسي
مخيلته — كما فعل بوالده — غير أن سكوتة عن ذلك يدعونا إلى القول بأن وفاتها حدثت
وهو لا يزال كما قلنا .

وكان القدر به رءفا رحيفا حيث عوفه بعضا عما فقدته فوجد "المطوق والحنان من أحسنه
ست الركب" (١) وادلبها حبا بحب يتجلى في وصفه إياها حين تقدمت به الأيام ولم — زل
ذكرها ترف رقيقة بخاطره " (٢) حيث قال معبرا عن ذلك كله "كانت أمي بعد أمي" (٣)
وقال أيضا "كانت بي برة رقيقة محسنة جزاها الله عن خير" (٤) ثم بعد ذلك لم يلبث نور
الدين على — والده — أن توفي في شهر رجب سنة ٧٧٧ هـ (٥) . وابنته مازال في الرابعة
من عمره يقول ابن حجر مشيرا إلى ذلك "وتركتني ولم أكمل أربع سنين" (٦) لكن على الرغم
من صغر سن — ابن حجر — آنذاك فقد انطبع في مخيلته صورة — لوالده — وإن كانت
باهتة غير واضحة المعالم والملاج نفهم ذلك منه حين يقول "وأنا الآن أعقله كالذي يتحير
الشيء ولا يتحققه" (٧) .

وكان — نور الدين على — شديد العناية بابنته أحمد حروبا عليه لئلا نراه قد عهد برعايته
حين صغرت الوفاة إلى اثنين من أبرز رجالات عصره أحدهما زكي الدين الخروزي وثانيهما
شمس الدين محمد بن القطان (٨) . ولم يكن عهد اليهما بابنته واختياره لهما عطوا
بل كانت تربطه بأحدهما وهو الشيخ شمس الدين بن القطان صلة قوية وشيقة ومراقبة لا تنقطع
عراها . يقول الصفاوي متحدكا عن ذلك "وكذا أسند وميته للشيخ شمس الدين بن القطان

- (١) ولدت بطريق الحجاز في شهر رجب سنة ٧٢٠ هـ سميت بذلك — البوارق ج ٥٥
- (٢) حسن حبشي ج ١٧ (٣) البوارق ج ٨٦ (٤) المصدر السابق ج ٨٦
- (٥) بن حجر "رفع الأصر عن وفاة مصر" ج ٨٥ ، ابن حجر "أبناء الفجر" ج ٥٣
- ، أبو المحاسن "التجيم الزاوية" ج ١١ ، ١٤٢ (٦) بن حجر أبناء الفجر ج ٥٣
- (٧) المصدر السابق ج ٥٣
- (٨) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨١ ، حسن حبشي ج ١٧ ، أبناء الفجر ج ٥٣
- ، البقاعي "عنوان الزمان" ج ٣٦

لاختصاصه به . (١)

كما كانت تربطه بزكى الدين الخرومي (٢) رابطة المصاهرة حيث كان نور الدين من متزوجا بأخت الخرومي . (٣)

على أن الشخص الذي كان معنيا بتربيته — أحمد — أشد العناية ومهتما به أيضا اهتمام هو زكى الدين فلم يكن نور الدين على يلفظ أنفاسه الأخيرة ويدخل الحياة حتى كفل الخرومي أحمد اليتيم وعذب عليه ورعاه وقام " بأمره أحسن قيام " (٤) ويد وأن الخرومي لم يأل جهدا في رعاية — أحمد — والاهتمام به حيث " جعل له مربية شابة " (٥) تشرف عليه وترعى شئون له ويسر له وساعده على ذلك وفرة المال وسعة الثروة التي خلفها نور الدين على والده — على أنه لم تكن ترضى على وفاة — نور الدين على — سنة مضعة أقطر حتى كان ولده — أحمد — قد اشتد عوده وأتم خمس سنين بعد هذا أدخله وحيه — زكى الدين الخرومي — المكتب (التسليم) (٦) على جاري العادة في ذلك العصر — إذ لم يكن هناك غير تلك المكاتب وسيلة لتحفيظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم الأولية الشائعة آنذاك — مثل الحساب والخط — وكان ذلك في الشهور الأخيرة من سنة ٧٧٨ هـ حيث جلس أحمد — بين يدي أول شيخ تولى تحفيظه القرآن وأقرأه آياه وهو شيخ الدين بن الحافظ الذي تولى حسيه مصر بعد ذلك في سنة ٧٩١ هـ (٧)

- (١) الجواهر ص ٩٠ ، البقاعي عنوان الزمان ص ٣٦
(٢) هو أبو بكر بن علي بن أحمد زكى الدين الخرومي رئيس الكارمية بمصر وتاجر السلطان ولد سنة ٧٢٥ تقريبا ونشأ فقيرا ثم انه ورث من ابن عمه بدر الدين مالا عظيما وتولى الرياسة وعظم قدره في الدولة ولم يحسن على طريقة التجار في التقتير بل كان جمودا معذبا وكان يحفظ القرآن ويجوده مات في تاسع احوم سنة ٧٨٧ ويقال انه مات مسموما ودفن بترته بقراصة مصر بالقرب من الامام الشافعي كان واسع الحواسم للفقه والشعر كبير الحشمة أوصى بأشياء كثيرة

- (٣) حسن حبشي ص ١٧
(٤) الجواهر ص ٩٠
(٥) حسن حبشي مقدمة الانباء ص ١٧
(٦) بن حجر " رفع الاصر ص ٨٥ ج ١ ، بن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩١
(٧) الجواهر ص ٩١ ، حسن حبشي ص ١٨

كما جلس أيضا الى شمس الدين بن الأظروش (١) وظل يتردد على المكتب ويختلف اليه غير أن زنى الدين الخروسي — وصيه — لم يقنع بهذا في تربيته بل رتب وحصل له مدرسين خصوصيين يسمون اليه ويترددون عليه — شأن أبناء عليّة القوم في ذلك العصر — من بينهم صدر الدين محمد السفلي — نسبة الى سبط مصر — (٢)

يقول السخاوي متحدثا عن ذلك " وكان يحضر هــأى السفلي — لاقرائه هــو والقاضي ناصر الدين محمد بن الملامة شمس الدين بن القطان " (٣) ثم يسترسل السخاوي موضحا ومبيناً مكان الاجتماع واللقاء بين التلميذ — أحمد — ومدرسيه وأن ذلك كان يتم — بعيدا عن المكتب " بمسجد لله تعالى ملاصق لمنزل وصيه ابن القطان بدرب ابن ريشة بالقرب من مزرعة منجى قليوب يشاطى به البحر " (٤)

ولم يحضر على أحمد أربع سنين منذ ادخله المكتب حتى أتم حفظ القرآن الكريم وقد بلغ تسع سنين (٥) على يد " فقيهه ومؤديه شارح مختصر التبريزي صدر الدين السفلي البكري " (٦) السالف الذكر وكان ذلك في أول سنة ٧٨٣ هـ واشتغل به إعادة وتثبيتا حتى شهر رمضان سنة ٧٨٤ هـ (٧) على أن أحمد كان خلال الفترة السالفة عجيبة من عجائب الدهر الذي لا تنقضي عجائبه — بفضل ما وهبه الله من صفاء قريحه وحدة ذهن وسرعة حفظ وقدرة فائقة على الاستيعاب والتحصيل يتجلى ذلك فيما يذكره السخاوي من أنه " كان كل يوم يحفظ نصف حزب " (٨) وبلغ من شأنه في ذلك " أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد " (٩) الأمر الذي ترتب عليه أن استوعب " وحفظ القرآن في أقرب صـلـه " (١٠) وكان ينهج في الحفظ والاستيعاب سبيل الخاصه ومن رزقوا الذكاء وحدة الذهن أما ما كان منتشرا وشائعا بين أطفال عصره فكان عنه بمعزل يقول السخاوي موضحا ومبيناً هــذا المنهج " ولم يكن حفظه للدرس على طريقة الاطفال بل كان حفظه بالتأمل كما سمعت ذلك

- | | | | |
|------|--------------------------------|-----|-------------------------------|
| (١) | الجواهر ص ٩١ | (٢) | النو اللامع ج ٢ ص ٣٦ |
| (٣) | الجواهر ص ٩١ ٩٢ | (٤) | نفس المصدر السابق ص ٩٢ |
| (٥) | السخاوي النو اللامع ج ٢ ص ٣٦ | (٦) | الجواهر ص ٩١ |
| | الشوكاني البدر الطالع ج ١ ص ٨٨ | (٧) | نفس المصدر السابق ص ٩٢ |
| (٨) | نفس المصدر السابق ص ٩٥ | (٩) | بن نهيد لنبأ الالهات ص ٢٢٦ هـ |
| (١٠) | البقاعى عنوان الزمان ص ٣٦ | | البقاعى عنوان الزمان ص ٣٦ |

ذلك من لفظه مرارا على طريقة الاذكياء في ذلك غالباً " (١)
 ويبدو من كتابة بعض المؤرخين انه لم يتخل عن هذا المنهج ولم يخالفه طيلة
 حياته بل عايشه والتزمه . يقول البقاعي " وحدنا — أى أحمد بن حجر — سنة ست
 وثلاثين أنه ما درس شيئاً قط وإنما يحفظ بالتفكر والتأمل وأنه اذا مر بشئ في الخط العسرة
 كان له غرض في حفظه ألقى اليه باله وصرف اليه همه ولا فلا " (٢)

البحث المباشر : رحلته الى البيت الحرام في صحبة وصيه ومدى انتفاعه فيها :

في شهر رمضان سنة ٧٨٤ هـ — شحرا الخرمي الى مكة (٣) واستصعب — أحمد —
 معه " اذ لم يكن له من يكفله " (٤) فحججا وأقاما هناك مجاورين سنة خمس وثمانين (٥)
 وكان المأمول وقد حفظ القرآن الكريم قبل ذلك سنة ٧٨٣ هـ أن يصلى بالناما ماما سنة
 جرى عليها القوم آنذاك يوم يتم الفرد حفظه بيد أنه جدت أمور حالت بينه وبين ذلك الشرف (٦)
 غير أنه لم يلبث أثناء اقامته بحكة أن توفرت له الاسباب وضيأت امامه الظروف فصلى " في هذه
 السنة — ٧٨٥ هـ — بالمسجد الحرام التراويح بالقرآن العظيم " (٧)

كما كانت مجاورته أيضا فرصة طيبة سئحت له فاغتنمها وسمع خلالها غالب صحيح
 البخاري اتفاقا بغير قصد ولا طلب (٨) على الحفيف عبد الله بن سليمان النشاوري (٩)
 الذي يهد أول شيخ سمع عليه الحديث (١٠) وكان النشاوري ممن يعتقد بهرم ومحل عليهم
 في رواية الحديث وصفه ابن حجر بأنه " مسند الحجاز " (١١) ولترك ابن حجر نفسه يصف
 لنا محل سماعه لصحيح البخاري وكيفيته وأنه كان يفوته منه القليل كما يذكر اسم القاري فيقول
 " وكان سماعه — أى صاحب الترجمة — بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السسلاوي
 الدمشقي تحت سكن الخرمي — وصيه — في البيت الذي بباب الصفا على يمينه الخارج النسي

- | | | | |
|------|--|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) | الجواهر ص ٩٥ | (٢) | عنون الزمان ص ٣٦ |
| (٣) | الجواهر ص ٩٢ ، بن فهد ص ٣٢٦ ، (٤) | بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ | |
| | حسن حبشي ص ١٨ | الدور الثامنة ص ٤٨٢ ج ١ ص ١٤٥ | |
| (٥) | بن فهد ص ٣٢٦ ، بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ ، ابن طولون القلائد | | |
| (٦) | حسن حبشي ص ١٨ | (٧) | بن طولون ص ١٤٥ ، بن فهد ص ٣٢٧ |
| (٨) | بن فهد لحظ اللاحاظ ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩٣ | | |
| (٩) | ستأتي له ترجمة عند ذكر شيخ بن حجر | (١٠) | بن فهد ص ٣٢٦ ، الجواهر |
| (١١) | رفع الاصر ص ٨٥ | | ص ٩٣ |

الصفاء ويعرف بببيت عينا* وهى الشريفة بنت الشريف عجلان والبيت المذكور شباك يطلى على المسجد الحرام ومشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود وكان المستمع والقاسى* يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور كان يجلس فيها مؤدب صاحب الترجمة ومن يدرس معه فكان الحوذب يأمرهم عند قراءة القارى* بالانصات الى أن يفرغ حتى ختم الكتاب لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للاسماء والاعتداد في ذلك كان على الشيخ نجم الدين المرجانى فإنه أعلمنى بعد دهر طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقا به . (١) ولم يكن الحفيظ النشارى هو الشيخ الوحيد الذى جلس اليه احمد وسمع عليه اثناء اقامته بحكة بل قد اختلف ايضا الى "عالم الحجاز الحافظ أبى حامد محمد بن ظهيره" (٢) وبحث عليه فى كتاب عدة الاحكام للحافظ عبد الشفى المقسدى " فكان أول شيخ بحث عليه فى علم الحديث " وذلك فى سنة ٧٨٥هـ (٣) ومما لا مجال للشك والارتياح فيه أن شخصه مع وصيه الى مكة كان حافظا له على التعلق بدراسة الحديث والانكباب على استيعابه والتحقق من رجاله وأسانيده حتى بعد ذلك من المحدثات — والحافظ — وأمير المؤمنين فى الحديث

البحث الحادى عشر : عودته الى القاهرة ودأبه فى طلب العلم

وما كاد — أحمد بن حنبل — من مكة الى القاهرة مع وصيه الخرمى — بعد أن قضيا وطرها هناك وذلك فى أول سنة ٧٨٦هـ (٤) حتى اختلف الى سليمان بن عبد الناصر الأبيشيطى وحضر دروسه وقرأ عليه " شيئا من العلم " (٥) كذلك توفى على العلم

(١) بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ الجواهر ص ٩٣ ٩٤

(٢) بن فهد ص ٣٢٧

(٣) الجواهر ص ٩٥ ٩٦ بن فهد ص ٣٢٦

(٤) بن حجر الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨٢

(٥) الجواهر ص ٩٦

الشائعة في عصره فحفظ كثيرا من مختصراتها كالمعدة والحاوي الصغير ومختصر ابن من
الحاجب الأصل وغيرها وعرضها على المادة على جماعة من أئمة العصر * (١) وليس فسى
هذا ما يدعو الى الصجب فقد * كان يحفظ الصحيفة من الحاوي الصغير من مرتين الأولى
تصحيحا والثانية قراءة في نفسة ثم يعرضها حفظا في الثالثة * (٢) كما أنه في تلك السنة
أيضا سمع بمصر من المسند نجم الدين أبي محمد عبد الرحيم بن رزين غالب صحيح
البخارى بقراءة الحافظ جمال الدين بن ظهيره قال وما أظنه فاتني عليه منه الا اليسير * (٣)

المبحث الثاني عشر : انصرافه عن العلم وفتور همته

ولم يكن يستهل عام ٧٨٧ هـ — حتى توفي زكي الدين الخرمي — (٤) فكانت
وفاته نكبة على صاحبنا — أحمد — اذ حرم الرعاية وفقد العناية التي كان يلقاها من وحميه
وهو لا يزال في أمس الحاجة اليها حيث كان لم يتجاوز عمره الثالثة عشرة الا بأشهر قليلة
ولذا يقول صاحبنا — أحمد بن حجر — انه * مات في تاسع عشر المحرم وأنا مراهق * (٥)
ففترت لذلك همته وضعفت عزيمته عن أن يشتغل بالعلم والطلب حيث * لم يكن له من بعده
على ذلك * (٦) كذلك يمكن أن يقال انه اشتغل خلال هذه الفترة — بعد وفاة وصية —
بشئون معيشة والنظر في أمواله قدر جهده وهذا من شأنه — مع حداثة عمره — أن يصرفه
ولم يمه عن طلب العلم والتوفر عليه * وبمرت فترة ركود طويلة امتدت قرابة ثلاث سنين الا انه
خلال الفترة التي كان — أحمد — منصرفا فيها عن العلم والطلب والدرس والتحصيل قد
* حجب اليه النظر في التواريخ وأيام الناس حتى انه ربما كان يستأجرها ممن هي عنده فعلق
بذهنه الصافي الرائق شي * كثير من أحوال الرواة يقول السخاوي * وكان ذلك بأشارة شخص

- (١) الجواهر ص ٦٤
- (٢) ابن فهد ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩٥ ، القلائد ص ١٤٥
- (٣) الجواهر ص ٩٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨٢ ، ابن فهد ص ٣٢٧
- (٤) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨٢
- (٥) بن حجر انباء القمر ج ١ ص ٣٠٩
- (٦) الجواهر ص ٩٦

من أهل الخير سماه صاحب الترجمة لى وأنسيته" (١)

ولعل الذى أشار عليه بذلك كان يقصد تعزيتة وتسليته عن الرزء الذى نزل به من جسرء وفاة الخروطى — وصيه — اذ أن فى قراءة التاريخ ما يساعد على ذلك لسهولة مطالعته مع ما فيه من قصص وعبر وسير للرجال تميل اليها النفوس وترتاح لها الخواطر خصوصا لمن هم فى مثل عمر صاحبنا — أحمد — من ذوى الرجولة المبكرة الذين تستهويهم قراءة كتب التاريخ ، وليجد فيه أيضا المثل العليا والنماذج الـ الطيبة التى قد يقتدى بها فيما بعد . كما يحتمل أنه أدرك بطريق الفراسة أولا والملاحظة ثانيا ذكاء — أحمد — ورأى ميله وشغفه قبل ذلك بعلم الحديث فأرشد به الى مطالعة وقراءة ما ينفعه فى معرفة رجاله ورواياه وتحقيق أسانيده بعد ذلك . ولا يفوتنا أن نشير الى أن صاحبنا — أحمد — لم تنقطع صلته خلال تلك السنوات الثلاث بعلم الحديث تماما بل قد سمع فى غضونهما من صلاح الدين الزفتاوى صحيح البخارى بقراءة ولى الدين محمد الترمذى ومن أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الفزى وزين الدين بن الشحنة . (٢)

البحث الثالث عشر : تربية الخروص وأثرها فى تقويم أخلاقه

يحق لنا بعد ما أسلفناه عن الخروص أن نسجل — بكل فخر واعتزاز — فى صفحات تاريخه أنه كان وصيا أميناً على صاحبنا — أحمد — حيث أشرف عليه اشرافاً تاماً ورعاة أيضاً رعاية "وقام بأمره أحسن قيام" (٣) حتى نشأ فى كتفه رغم يتمه وفقد والديه "فى غاية مسن العفة والصيانة والرياسة" (٤) . على الرغم من "حادثة السمن وفراغ السمر وكثرة الأموال" (٥) حتى أنه "لم تعرف عنه صبوة ولم يضبط عنه زلة" (٦)

ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير الى أن استعداد صاحبنا — أحمد — الفطرى وما ورثه عن آباءه وأجداده الأكرمين من صفات فاضلة كان له أثر محمود فى ذلك إذ كان "غالب سلفه علما" أخيار" (٧) .

- (١) الجواهر ص ٩٦ و ٩٧ ، بن حجر "رفع الاصر" ص ٨٥ ج ١ ، انقضاء الولاية ص ١٤٥
 (٢) بن حجر "رفع الاصر" ج ١ ص ٨٥ ، الجواهر ص ٩٧ (٣) المصدر السابق ص ٩٠
 (٤) المصدر السابق ص ٩١ (٥) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٦
 (٦) الجواهر ص ٩١ (٧) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٥

(۲) الجواهر ص ۹۶

"لم ينصح له في تحفيظه الكتب وإرشاده إلى المشايخ والاشتغال حتى أنه كان يرسل بعض أولاده إلى كبار الشيخ مثل الشمس المسقلاني وغيره ولا يعلمه بشئ من ذلك" (١)
وعلى الرغم من أن المؤرخين الذين ترجموا لصاحبنا - أحمد - على كثرتهم لم يشر أحد منهم إلى مثل هذه الرواية فنحن نميل إلى تصديقها وقبولها وسوف نسوق الدليل على ذلك فنقول :-

لقد كان صاحبنا "أحمد" منصرفا إلى العلم وطلبه بعد عودته من مكة سنة ٧٨٦ هـ وظل كذلك حتى مات وصيه "الخرومي" في أوائل المحرم سنة ٧٨٧ هـ وهو لا يزال مراهقا لم يتجاوز الثالثة عشر قليلا ثم ضعفت همته على أثر ذلك ويصف السخاوي ما حدث لصاحبنا "أحمد" بعد موت الخرومي فيقول "وفتر عزمه عن الاشتغال من أجل أنه لم يكن له من يحثه على ذلك فلم يشتغل إلا بعد استكمال سبع عشرة سنة" (٢)

أوليس يفهم من قول السخاوي السابق "ولم يكن له من يحثه على ذلك" أن شمس الدين بن القطان الرضي الثاني كان ضالما وله رغبة أكيدة في انصراف صاحبنا "أحمد" عن العلم بعد موت وصيه للخرومي ثم يسترسل السخاوي قائلا "فلم يشتغل إلا بعد استكمال سبع عشرة سنة واننا لننسا! أين كان ابن القطان خلال هاتيك السنوات الثلاث التي تبدأ من المحرم سنة ٧٨٧ هـ وتنتهي تقريبا في أول سنة ٧٩٠ هـ حتى بلغ أحمد سبعة عشر عاما ؟

كل هذا يحدونا إلى تصديق هذه الرواية السالفة الذكر وقبولها ولا يغيرنا أن ابن القطان كان أستاذا و شيخا لصاحبنا "أحمد" فيما بعد فلقد جاوز صاحبنا "أحمد" السابعة عشرة عشرة ونضج فكرا وعقليا وأدرك مصلحته وتردد بنفسه على ابن القطان وعلى غيره من المشايخ فلم يكن لابن القطان فضل عليه حينذاك كما أن تردده على ابن القطان وهو صغير دروسه بعد أن أدرك مصلحة نفسه لا ينبغي أن ابن القطان قد أهمله قبل ذلك خلال السنوات الثلاث السالفة الذكر .

(١) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٦

(٢) الجواهر ص ١٦

البحث السادس عشر : اشتغاله بفن الأدب

لقد عاد صاحبنا "أحمد" إلى حياة العلم من جديد في سنة ٧٩٠ هـ وطرق جميع أبواب فنونه واشتغل بمختلف العلوم الشائعة آنذاك إلا أنه في سنة ٧٩٢ هـ انصرف وتوجه إلى فنون الأدب وتوفرت همته عليها ^{عليه} "ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعرا إلا ^{تسهر} ~~ويستحضر~~ من أين أخذه الناظم" (١) وشغف وتولع بذلك "وما زال يتبعه خاطره حتى فاق أهل عصره" (٢) ونظم "الشعر الكثير الطبع إلى الغاية" (٣) "حتى أنه لا يلحق في كثير من ذلك رقة غزل وروانة مدح ودقة معاني وجلالة ألفاظ ومراعاة نكت وتمكين قواف واستتمالا للأنواع التي فصلت في علم المعاني والبديع على أحسن وجه وأبدع أسلوب" (٤) ولم يقف عند قرع الشعر بل قال أيضا النثر الفائق الذي لا يشق له فيه غبار حتى قال تلميذه البقاعي "نثره مطرب ونظمه مرقص" (٥) "وكتب عنه الأئمة من ذلك" (٦) ، وساد "وطارح الأدباء" (٧) يشهد لذلك مقتوحاته ورقيق مطارحاته فيما بعد فمن النوع الأول على سبيل المثال لا الحصر أن القاضي شهاب الدين المحلي اقترح عليه وعلى الشيخ غياث الدين بسن خواجا أن ينظما عشرة أبيات في مدح مكة والتشويق إليها في أصعب وزن مروى فاتفق رأى الحاضرين أن يكون ذلك في المديد والروى ظا نصوبة ، فقال صاحبنا :

ان بيت الله من حل فيه محروما يلقي الأمانى وحظا
حبذا هذا المقام مقاما قد كفت رؤيته لى وعظا
وهب الله الذى قد أتاه من شرور الخلق أمنا وحفظا

وأشدد الشيخ غياث الدين بمدح ذلك :

ان بالبيت المتيق اعتيادى من لظى هجرته أتلظى
رق قلبى من غليظ جفا أتراه هل يرفق غلظا (٨)

(١) رفع الاصر ص ٨٥ ، الجواهر ص ٩٨ (٢) عنوان الزمان ص ٣٦

(٣) ابن العماد "شذرات الذهب" ج ٧ ص ٢٧٠ (٤) عنوان الزمان ص ٣٦

(٥) المصدر السابق ص ٣٦ (٦) الجواهر ص ٩٨

(٧) بن فهد "لحظ الألفاظ" ص ٣٢٧ (٨) الجواهر ص ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩

ومن النوع الثاني :

تلك المطارحة الأدبية الشهيرة التي وقعت في شهر شعبان سنة ٨٤٢ هـ يوم ختم شرح صحيح البخاري المسمى "فتح الباري" وذلك أن القائم الناصري محمد بن السلطان الظاهر بقمسوق قال لصاحبنا — أحمد — "يا مولانا شيخ الاسلام هذا يوم طيب لعل أن تنمشونا فيه ببست من مفرداتكم لعل أن نمشي خلفكم فيه فقال أخشى إن ابتدأت ألا يكون موافقا لما وقع نفسي خاطرك والأحسن أن تبتدي أنت فقال الناصري :

هويتها بيضاء رعيه قد شفت قلبي خود رداخ

فقال صاحبنا — أحمد — :

سألتهما الرجل فضنت به ان قليلا في الملاج السماج

فقال على الدوساني :

قد جرحت قلبي لما رنت عيونها السود المراض الصماج

فهمهم الشرف الطنوني ولم يمكنه أن يقول شيئا ، فقال صاحبنا — أحمد — "ما للطنوني غدا حائرا" فقال الناصري "لعل المتقدم أجزه" ، فقال صاحبنا "وحياة أبيك السلاوي والفرسي" ، فقال الناصري "هما لك من غير مهلة وتراخ" ، فقال صاحبنا "وخرب البيست وخلي وراج" (١)

وقد عقد السفاوي الفصل الرابع من الباب السادس في كتابه الجواهر لمطارحاته ومقترحاته (فمن أراد المزيد فليراجع الجواهر ص ١٠٠٧ وما بعدها) ، وقد تناول صاحبنا — أحمد — جميع أغراض الشعر ومن يطالع ديوانه المسمى بالكواكب السبع السيارة (٢) ، يجد خير شاهد على صدق ما ذكرناه .

وقد بلغ من علو منزلته في الشعر وروسخ قدمه فيه أن عداه المؤرخون ثانی المبعثة الشهاب الشعراء (٣) ، فلقد كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد كل منهم يمدعي بشهاب وهم الشهاب ابن التائب ، الشهاب ابن حجر ، الشهاب ابن

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٩٠ و ٩١

(٢) عنوان الزمان ص ٦٧

(٣) السيوطي "نظم العقيان" ص ٤٥ ، المناوي "اليواقيت والدرر" ج ١ ص ١٤

أبى السعوى الشهاب ابن مبارك شاه - الشهاب ابن صالح - الشهاب الحجازى والشهاب المنصورى (١) ولم يعض سنوات أشيع رغبته خلالها - حتى ترك هذا كله " ولم ينظر من بعده القرن فى كتب الفن ودواوينه الا اتفاقا كما صرح هو بذلك " (٢) وهنما تقدمت به الحسن وشفلته الحياة العملية والمالية نراه قد هجر قرض الشعر الا فى بعض الأحيان حتى قال تلميذه السخاوى أن " أكثر نظم قبل سنة ٨١٦ هـ " (٣)

هذا وما يلفت النظر ويستعزى الانتباه أنه فى ذلك العصر " كثر نظم الألغاز والأسئلة الفقهية والنسوية " (٤) ولم يفته أن يدلى بدلوه ويساير هذا الاشياء اذ هو كما قال بعض العلماء " شاعر طبسا " (٥) لذا نراه قد نظم الألغاز (٦) يشهد لذلك قوله ملانزا فى ناقه

يأيها القارىء ما آية

أحرفها أربعة ظاهرة

وقيل حرف واحد كلها

فأعجب لها من آية باهرة (٧)

كما نظم حلما وقد كان من أسرح أهل عصره فى ذلك ونظرة الى ما قاله ابن الجباب الفوناطى فى المسكتكى دليلا على صدق ما قلناه يقول :

كبهذا الذى سبله واضحة

كتبتم رموزا ولم تكتبوا

فان شئتم فاقروا والفاصلة

فما اسم جرى ذكره فى الكتاب

يسهل سبله الواضحة

وجدناه من قبل بصحيفة

يرى ثم كالأنجم اللائحة

ومن قبل تسع قبيل البرج

ومع حذفه نم بالرائحة (٨)

وتخير ثانية مع قلبه

وهذا قل من كثر وقطرة من بحر ، واما الاسئلة المنطوية وجوابه عنها نظما كذا

فهناك الكثير ومن أراد أن يقف على شئ من ذلك فليراجع الجواهر ص ١١٣٤ الى ص ١١٧٤ هذا وما له ارتباط وثيق بهذا الموضوع - أن بعض المحققين أراد أن يتكف من

(١) ابن اياص يدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٦ (٢) الجواهر ص ٩٨

(٣) المصدر السابق ص ٩٨ (٤) احمد زكى تاريخ مصر الاجتماعية

(٥) شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧١ (٦) اللغز " دلالة اللغز على المراد

دلالة خفية لا تنبئ عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتشرح اليها بأسرها

أن يكون المراد من الالفاظ الذوات الموجودة فى الخارج أما اذا كان المراد

الالفاظ المعانى فهو المسمى ، حاجى خليفة (كشف الظنون) ج ١ ص ١٤٩

(٧) الجواهر ص ١١٢٢ (٨) الجواهر ص ١٠٥٣ و ١٠٥٤

معاناة صاحبنا - أحمد للأدب وقرضه الشعر فريضة للتشكيك في أخباره وتراجم الناس التي كتبها في مؤلفاته وأنه في كتابته بعيد عن الحقيقة متبع للهوى وخطأ النفس فيقول " وحيث كانت نشأته على معاناة الشعر والاسترسال في المديح والمهجاء على طريقة أهل الأدب ورت من ذلك منذ عهد شبابه التنكيت وتطلب مواضع العلل من تراجم الرجال والخط من مقاديرهم إذا أراد أن كانوا من أصحابه وشيوخه ومن تقدمهم لاسيما البارعين منهم " (١) ونحن من جانبنا نقول لا يلزم من نشأته على معاناة الشعر منذ شبابه أن يتطلب مواضع العلل في الرجال وأن يحط من مقاديرهم لأن هذه طريقة الشعراء الذين يطلبون رفسدا أو نوالا أو ينشدون منزلة مرفعة أما صاحبنا - أحمد - فما هو فيه يغنيه عن طلب هذا كله كما أنها طريقة الشعراء الذين لا دين لهم ولا خلاق لهم أما صاحبنا - أحمد - فجميع من أرخوا له وصفوه بالدين المتين والخلق القيم والاتباع لسنة سيد المرسلين ورجل مثل هذا يستبعد أن يكون كما وصفه المحقق وحسبنا أن نسوق نصا للمحقق آخر يعارض ما يدعيه هذا المحقق - السابق - ويناقضه . يقول المحقق بعد أن تحدث عن صاحبنا - أحمد وتنوع ثقافته " وطبعت مؤلفاته كما يشهد تلاميذه وغير تلاميذه ممن عاصروه في مصر والشام وغيرهما من بلاد العالم الاسلامي بطابع الدقة وتحكيم العقل والمنطق فهو لا يورد خبرا الا بعد أن يكون قد انتظمت له عنده أسباب الدراسة والبحث والتحصيل والتحقيق والمقارنة والتثبت والايضاح والا بعد أن يكون قد طبق عليه قواعد الجرح والتعديل يعرض لذلك ناقدا اياه نقد الصيرفي الحاذق لا يخدعه بهرج ولا يفره طلاء " (٢)

فهل بعد هذا يمكن أن نصدق أنه " رث منذ عهد شبابه التنكيت وتطلب مواضع العلل من تراجم الرجال والخط من مقاديرهم إذا أراد " كما يدعي المحقق وفوق هذا يذكر المحقق أن البقاعي تلميذ - ابن حجر - قال عن شيخه " انه لا يعامل أحدا بما يستحقه من الاكرام في نفس الأمر " (٣) وكفى في الرد على هذا أن النص الذي ساقه

(١) لخط الالحاظ ص ٣٢٧ ، هامش نمبر ١ محمد زاهر الكورنى

(٢) حسن حبشى مقدمة الانباء ص ٧

(٣) لخط الالحاظ هامش نمبر ١ ص ٣٢٧

المحقق عن البقاعى لم يشر الى معناه أحد من الذين أرخوا لابن حجر على أكثر ترسيم مما يدعوننا الى القول بأن البقاعى كان واحدا في حكمه الذى أصدره على شيخه وأخاه جنح اليه المحقق تعصبا واتباعا للمهوى (١)

فضلا عن أن السخاوى بعد أن ساق هذا النص خلال ترجمته للبقاعى في النور اللامع علق عليه بما ملخصه : ان البقاعى كان سريع التقلب ولذا فأحكامه غير صادقة لأنها تكون عادة مرتبطه بأغراض شخصية ومآرب دنيوية فانما قضاها له أحد مدخه بما ليس فيه وأثنى عليه بما هو منه خلى وان قصر ذمه بما ليس فيه (٢) فلا مانع من ان يكون حكم البقاعى على شيخه من هذا الملقبيل فلا اعتداد به وفوق هذا فان البقاعى نفسه في معرض حديثه عن صفات شيخه " ابن حجر " قال " انه كان وفي المدح والذم وتنزل الناس منازلهم له الحسبيرة التامة بذلك (٣) "

على أن انقال المحقق هذا النص الأخير يحدونا الى ان ترميه بعدم الانصاف وبجفافه للحقيقة بل واخفاها تحاملا منه على " ابن حجر " وتشكيكا في كتاباته في تراجم الرجال وتواريخهم وحطه من قيمته العلمية كمؤرخ وصاحب حوليات .

البحث السابع عشر : اشتغاله بفن الحديث

وفي سنة ٧٩٣ هـ طلب صاحبنا — أحمد — فن الحديث بنفسه بعد أن حبيه الله اليه فأقبل عليه بكلية وصرف عزمه اليه وتوفر بهيمته عليه وجد في طلب ذلك (٤)

" لكنه لم يكثر من الطلب الا في سنة ٧٩٦ هـ " (٥) وفي ذلك يقول هو نفسه " رفع الحجاب وفتح الباب وأقبل العزم الحزم على التحصيل ووفق للمهداية الى سبوا "

(١) لاحظ الالفاظ هامش رقم ١ ص ٣٣٤

(٢) الى هذا انتهى كلام السخاوى

(٣) البقاعى عنوان الزمان ص ٤٧

(٤) الجواهر ص ٩٨ ، البقاعى ص ٣٧ ، البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨

(٥) الجواهر ص ٩٨

السبيل * (١) وبلغ به الشأن — في ذلك — أن " اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقي وذلك في شهر رمضان سنة ٧٩٦ هـ — فلازمه عشرة أعوام " (٢) حتى " تفرج به وانتفع بملازمته وقرأ عليه ألفيته — وغيرها — والكثير من الكتب الكبار والأجزاء القصار " (٣) " وحمل عنه جملة نافعة من علم الحديث سنداً ومتناً وعللاً واصطلاحاً " (٤) كما " حمل عنه من أماليه جملة مستكثرة واستملى عليه بعضها " (٥) فلاعجب حينئذ أن كان شيخه العراقي " أول من أذن له في التدريس في علم الحديث وكان إرادته له في سنة ٧٩٧ هـ " (٦) وكان طلبه لعلم الحديث " على الأوضاع المتعارفة من أهل فقرأ وسمع على مسندى القاهرة ومصر الكثير في أسرع مدة " (٧) حتى لم تنقض سنة ٧٩٦ هـ الا وقد " أشبعت محارفه فيه " (٨) . ولم يكن — العراقي — شيخه الوحيد الذي انتفع به في علم الحديث بل قد اختلف وتردد على ابن الملقن وحضر دروسه فيه أيضاً حيث شارك ابن الملقن العراقي في هذا الميدان وان لم يلحق به فيه . (٩) ولكنه ظل بالدرجة الاولى يختلف الى العراقي وسمع منه وقرأ عليه وحمل عنه حتى " لقبه بالحافظ وعظيمة جداً ونموه بذكره " (١٠) وبلغ به الأمر أن " كان يعتمد في كثير مما يسأل فيه عليه مما كتب بخطه يسأله عما يحتاج الى الوقوف عليه " (١١) كما سيأتي وينبغي ونحن مازلنا بهذا المصدر أن نشير الى أن صاحبنا — احمد — قد استفاد من نظره في كتب التاريخ أيام — فترة الركود السالفة الذكر — حيث وجد في ذلك " ما أعانه على معرفة الرجال في زمن يسير جداً " (١٢) ومجمل القول أنه قد توفر على علم الحديث " سماعاً وكتابه وتخریجاً وتعليقاً وتصنيفاً . . وأب عليه أكابار لا مزيد عليه حتى رأس فيه في حياة شيخه وشهدوا له بالحفظ " (١٣) ووصفوه " بالأتقان والنقد والعرفان وارشدوا الناس اليه وحثوهم عليه " (١٤)

- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) الذيل على رفع الاصر ص ٨٢ ، الجواهر ص ٩٩ | (٨) الجواهر ص ١٠١ |
| (٢) رفع الاصر ص ٨٥ | (٩) ابن الصمد شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٠ |
| (٣) ذيل رفع الاصر ص ٨٢ ، الجواهر ص ٩٩ | (١٠) الجواهر ص ١١٦ |
| (٤) الشوكاني — البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨ | (١١) نفس المصدر السابق |
| (٥) ذيل رفع الاصر ص ٨٢ ، الجواهر ص ٩٩ | (١٢) الجواهر ص ١٠١ |
| (٦) الجواهر ص ٩٩ ، عنوان الزمان ص ٣٩ | (١٣) السيوطي نظم الدقيان ص ٤٥ |
| (٧) الجواهر ص ٩٩ ، القلائد الجوهريّة ص ١٤٥ | |
- ((يشهد لذلك أن شمس الدين البساطي سأل الزين العراقي عن حديث "المكاتب قن مابق عليه درهم" من صحيح فقال لا أدري ، قال فلقمت ابن حجر وهو أف ذاك ليسرفي لحيته شجرة بيضاء فسأله عنه فقال في الحال صححه ابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن عمرو وهما في كتب شيخنا وعين له مكان الحديث)) (١٤) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٨

وخير شاهد على حفظه واستحضاره للحديث أن العلامة شمس الدين البساطي سأل حافظ الوقت
الزين العراقي عن نصديك فما استحضر ان ذاك من أخرجه فأشار الشيخ برهان الدين الكركي على البساطي
أن يسأل ابن حجر عنه ففعل فأجابه في الحال بتجريحه وأن البساطي عرض غرض ذلك على العراقي قال فكشف
المظان التي عزاء اليها فوجد كما قال (١).

وقال البساطي أيضا سألت شيخنا الزين العراقي عن حديث "المكاتب قن ما بقي عليه درهم" من صحاح
فقال لا أدري فلقيت ابن حجر يومئذ وهو ان ذاك ليس في لحيته شعرة بيضاء فسأله عنه فقال في الحال صحاح
ابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن عمرو وهما في كتب شيخنا وعين له مكان الحديث (٢).

كما يشهد لذلك أيضا أنه في سنة ٨١٨ وقعت بينه وبين شمس الدين ابن عطاء الله الرازي المعروف بالمهروى
مناظرة بحضرة الملك المؤيد وكان قد شاع عن المهروى أنه يحفظ اثني عشر ألف حديث وأنه يحفظ صحيح مسلم
بأسانيد كل حفظ متون البخاري ومعد انتهاء المناظرة تبين كذب الرجل وزيفه وأنه لم يحفظ مثل هذا وكان من
بين ما أجرى في المناظرة أنه سأله أن يزيد عن السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله فمجز فزاد ابن حجر سبعة
أخرى بأحاديث حسان وأربعة عشر بأحاديث ضفاف (٣).

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٣٤٦ ٣٤١٦

(٢) المصدر السابق ط ٣٤

(٣) ابن العماد شذرات الذهب ج ١ ط ١٣

غير أنه مع انصرافه الى طلب الحديث لم ينس نصيبه من العلوم الأخرى فكان يشتغل بها ويحافظ على "المنطوق منها والمفهوم كالفقه والعربية والأصول وغيرها من العلم المنقول والمعقول" (١) فاختلف من أجل ذلك — الى سائر الشيخ وتردد عليهم وسمع منهم وحضر دروسهم فجلس الى النور الآدمي في الفقه والعربية وكان قد تفقه قبل في مبدأ أمره بابن القطان — ولذا فهما أول شيوخه في الفقه . (٢)

كما تفقه أيضا بالإناسي وكان "يوده ويعظمه لأنه كان من أصحاب والده" (٣) كذلك تفقه أيضا بالعلامة الرحلة ذي التصانيف الجديدة "سراج الدين عمر بن الملقن" وأخيرا تفقه بشيخ الاسلام "سراج الدين البلقيني" لازمه مدة وحضر دروسه الفقهية ولم يزل ملازما له الى أن أذن له بالافتاء والتدريس وذلك بعد أن شيخه العراقي لسه بدراسة الحديث . (٤)

وكذلك أخذ أصول الفقه عن البهاء بن عقيل والأصليين والجدل عن العماد الأسنوي (٥) ولزم العلامة عز الدين بن جماعة في غالب العلوم التي كان يقرأها من سنة تسعين الى أن مات سنة ٨١٩ هـ .

"وكان ابن جماعة يوده . . كثيرا ويشهد له في غيبتما لتقدم ويتأدب معه الى الغاية" (٦) وكذا أخذ العروض عن البدر البشتكي والعربية عن ابراهيم الغماري والمحبين هشام . (٧) ويذكر أحد المؤرخين سببا وجيها لعله هو الذي دفعه الى الانصراف الى هذه العلوم بعد ذلك وتحصيلها بجد واجتهاد فيقول أن الامام محب الدين بن الوعدوى المالكى لما رآه حريصا وحثيثا على سماع الحديث ومطالعة كتبه قال له "اصرف بعض هذه المهمة الى الفقه فاننى أرى بطريق الفراسة أن علما هذا البلد سينقرضون وسيحتاج اليك فلا تقصر بنفسك" (٨) يقول صاحبنا — أحمد — "فنفعتنى كلمته ولا أزال أترحم عليه بهذا السبب" (٩)

(١) الجواهر ص ١٠١ (٢) نفس المصدر ص ١٠٣

(٣) نفس المصدر ص ١٠٢ (٤) نفس المصدر ص ١٠٣

(٥) نفس المصدر ص ١٠٤ (٦) نفس المصدر ص ١١٧

(٧) نفس المصدر ص ١٢٠ و ١٢٢ (٨) عنوان الزمان ص ٣٨

(٩) المصدر السابق ص ٣٨

ولذا نراه بعد هذه النصيحة قد "أطلق عنان عزمه نحو بقية العلوم فأكب على النقه والنحو والأصليين ، وغير ذلك حتى مهر فيها كلها " (١) وبلغ "الغاية القصوى" (٢) وصار كلامه مقبولا عند أرباب سائر الطوائف لإيماد ون مقاله لشدة ذكاءه وقوة باعه حتى كان حقيقا بقول القائل :

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل علم بالجميع (٣)

وهو مع هذا كله لا يزال مقبلا "على علم الحد يث وسماعه غير فاطر العزم عنه" (٤)

ومعد فهنما أضواء ألقيناها على نشأة صاحبنا - أحمد - وكيفية طلبه لمختلف العلوم فسي ابتداء أمره ولكنه لم يقنع بهذا - في طلب العلم - بل قام برحلات عديدة إلى مختلف البلدان حتى يعلو أسناده وتتسع معارفه وتسمو مداركه وسوف نعطي للقارى صورة واضحة عن هذه الرحلات - حتى وكأنه يرافقه ويصاحبه وينزل معه بلدة ببلدة ويرحل معه سفرة سفرة - وما عليه إلا أن يقرأ الفصل القادم حتى يرى ومشاهد ذلك فالى هناك

(١) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٨

(٢) ابن فهد "لحظ الألفاظ" ص ٣٣٠

(٣) السخاوى "الجواهر والدرر" ص ١٢١

(٤) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٨

الفصل الثاني

رحلاته في طلب الحديث

عنه

يتحدث ابن خلدون عن الرحلة في طلب مختلف العلوم فيقول ان الرحلة "لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال" (١)

ثم يبين السرف في ذلك فيقول "ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتعلمون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة المشايخ والشيخ يكسبون حصول الملكات ورسوخها" (٢)

خلفه

ثم يضيف الى ذلك سببا آخر فيقول "والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مغلطة على المتعلم حتى ليظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا بمباشرة لاختلف الطرق فيهم من المعلمين فلقاء أهل العلم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعدد هم وتنوعهم" (٣)

ولذلك نرى علماء هذه العصور وما قبلها قد حرصوا كل الحرص على القيام برحلات متعددة الى مختلف البلدان حتى تحصل لهم تلك الملكات وترسخ عندهم وتتميز اصطلاحات العلوم لديهم وتأخذوا معارفهم عن منابعها ومناهلها الأصلية .

الا أنه مما يستلفت النظر ويسترعي الانتباه أن أكثر ما كانت هذه الرحلات من أجل طلب الحديث وعلو الاسناد فيه .

اذ ليس هناك مجال للريب في "أن الرحلة الى العلماء والتقاء الحفاظ بعضهم ببعض طريق عظيم في تثقيف العقول ، وتنقيح العلوم وتمحيص المحفوظ من الحديث" (٤)

(١) المقدمة ج ٤ ص ٢٤٥

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) الحديث والمحدثون ص ١٠٩

كما أنه عن طريقها أيضا " يقف الراوي بنفسه على سيرة الرواة في بلدانهم ويعلم قوتهم من ضعفهم فضلا عن الاستزادة من الحديث وحفظ ما لم يكن موجودا عند علماء بلده وأهل مهنه (١) سنة سنه لهم من قبل شيخهم وأمامهم — في الحديث — جابر بن عبد الله حينما رحل إلى الشام والتقى بمحمد بن أبي أنيس الأنصاري وقال له حديث بلغني عنك أنك سمعت من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " في المظالم لم أسمع أنا منه فلما أخبره به حملته عنده ورجع إلى المدينة . (٢)

وهذا أيضا أبو أيوب الأنصاري رحل إلى مصر من أجل الحديث ليتلقى بحقه بن عامر فبأخذ عنه الحديث ورجع إلى المدينة . (٣)

وقد درج العلماء على الرحلة في طلب الحديث بعد ذلك فليس بدعا — إذن — أنقسام صاحبنا — أحمد — (قد شفف بدراسة الحديث وعلومه وحتى أصبح فيما بعد رجلا لأول بلا منازع) برحلات متعددة إلى بلدان مختلفة من أجل هذه الأغراض جميعها .

الرحلة الأولى إلى بلاد الصعيد سنة ٧٩٣ هـ

إن أول رحلة قام بها كانت في سنة ٧٩٣ هـ ، يقول هو نفسه متحدثا عنها :
 " وفي هذه السنة سافرت إلى قوص وغيرها من بلاد الصعيد ولم أستخدم شيئا من المسموعات الحديثية بل لقيت جماعة من أهل الأدب منهم ناصر الدين قاضي — هو — وأبى السراج قاضي قوص وجماعة من أهل الأدب سمعنا من نظمهم " (٤)
 يقول السخاوي بلغني أنه أنشد هنا قوله :
 نزلت بالصعيد على قوم بالعلماء هـوا — بلدة من صلاحهم عمرت ، أقول عند أذكارتهم
 يا هو — وغير ذلك — (٥)

-
- (١) الحديث والمحدثون ص ١٠٩
 (٢) الأدب المفرد ص ١٩٤
 (٣) مختصر جامع بيان العلم ص ٤٦
 (٤) ابن حجر انباء الفهر ص ٤١٩
 (٥) الجواهر ص ١٢٤

وفي هذه السنة قدر له أن يلتقى ويجتمع بالشيخ شمس الدين بن الجرزى فحسبه

"وحضه لما رأيته من نجابته على الرحلة لاسيما الى دمشق" (١)

لذا نراه في آخر هذه السنة يأخذ طريقه الى الاسكندرية وينتهى اليها ويدخلها

"يوم الثلاثاء لثلاث بقدر من ذى القعدة" (٢) ، فأخذ وسمع عن جماعة من علماءها

منهم منسدها التاج أبى عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الشافعى آخر من كان يروى بها

حديث السلفى بالسماح المتصل وهو ممن سمع عليه العراقى" (٣)

والتاج أحمد بن محمد بن الخراط وابن شافع الأزدي والفيشى وابن الموفق وغير هؤلاء حتى

بلغ عدد مشايخه في هذه السفرة تسعة من الشيخ (٤)

وظل مقيما بالاسكندرية الى أن انقضت السنة وانصرم من التى تليها عدة أشهر (٥)

ثم لما قضى وطره وبلغ أريه من الاسكندرية رحل عنها الى مصر وقد استفاد من هذه الرحلة

كثيرا من المسموعات يقول السخاوى "قد رأيت جزءا أسماه "الدرر المضية من فوائس

الاسكندرية" ذكر فيه مسموعه وما وقع له من النظم والمراسلات" (٦) ، ثم يقول أيضا

"وكذا رأيت جزءا للسفرة التى بعدها ، والظاهر أن كل سفراته سلك فيها هذه الطريقة" (٧)

وهى بالطبع ، طريقة مثلى حتى لاتضيع منه شاردة ولا تغييب عنه أبدة بل فى كل كتاب مسجل

ومستور .

الحج إلى الجبل رحلته الى الحجاز سنة ٧٩٩ هـ

وفي شوال سنة ٧٩٩ هـ ، ظهر من مصر قاصدا بلاد الحجاز فوصل الطور نسي

ذى القعدة ولقى بها من الفضلاء الذين كانوا بحصر ثم رحلوا عنها آخذين طريقهم الى

البلاد اليمنية العلامة نجم الدين أبو على محمد بن أبى بكر بن يوسف المصرى ثم المكى

عرف بابن المرجانى "فقرأ عليه بساحل الطور حديثا فى ١٥ ذى القعدة" (٨)

(١) الجواهر ص ١٢٦ (٢) نفس المصدر ص ١٢٦

(٣) نفس المصدر ص ١٢٦ (٤) نفس المصدر ص ١٢٧

(٥) المصدر السابق ص ١٢٧ (٦) نفس المصدر ص ١٢٧

(٧) نفس المصدر ص ١٢٨ (٨) نفس المصدر ص ١٢٧

وكان يرافقه في هذه السفرة صلاح الدين الأتقي الشافعي والرضي أبو بكر بن أبي الحمال
الرشيد القحطاني وغيرهم فاستأنس بهم " وانتشرت الفوائد الأدبية وغيرها بينهم " (١)
وقد خفف ذلك بالطبع ، عنهم من مشقة الرحلة فلم يشعروا بجمد الشقة على الرغم من
أنهم مضوا فيها شهرا بتمامه ونزلوا " يتبع يوم الجمعة ١٢ من ذي الحجة (٢) ، ولقي بها
" ولكن ما تحقق أنه في هذه السفرة — جاد الله بن صالح بن أحمد الشيباني المكي " (٣)
وقرأ بها عدة أحاديث من الترمذي

ملعب الرابع
رحلته إلى بلاد اليمن سنة ٨٠٠ هـ

ثم توجه صاحبنا — أحمد — ومن معه من ينبع إلى بلاد اليمن فوصلوا إليها ودخلوها
في شهر ربيع الأول من هذه السنة (٤) ، وتنقل بين مدنها واجتمع فيها بكبار شيوخها
وتلاقي معهم وأخذ عنهم وسمع منهم فمثلا لقي أبا بكر محمد بن صالح بن الخياط ، وزيد
الشهاب أحمد بن أبي بكر بن علي الناصري والعلامة السري اسماعيل بن محمد بن القري ،
والوجيه عبد الرحمن بن محمد العلوي وغيرهم كثير .
ومحمد بن الرضي أبا بكر بن يوسف بن أبي الفتح بن المستأذن وغيره والمهجم أحمد بن
ابراهيم بن أحمد الفرضي وغيره . وموادي الخصيب الجمال محمد بن أبي بكر بن علي المصري
وكهو أخو المرجاني السابق كما اجتمع أيضا في وادي الخصيب وزيد بالملامة شيخ اللفويين بسلا
مدافع مجسد الدين الفيروزسادي وقرأ عليه أشياء كثيرة (٥) ، وقد أخذ عنه غالب من
ذكرنا وغيرهم " واغبطوا به واستمدوا من فوائده على جاري عوائده (٦) .
ولقد خرج في هذه الرحلة " من مرميات نفسه الأرحمين المهدبه بالأحاديث الملقبه " بسند
أن التميمي منه " ابن النفيس أبي داود محدث اليمن " ذلك (٧) " وكذا حدث وهو هناك
بكتاب ابن الجزري في الأدعية المسمي " بالحصن الحصين " ، فحصل في البلاد اليمنية
بسبب ذلك رواج عظيم وتنافسوا في تحصيله وروايته وذلك قبل دخول مصنفه اليهم " (٨) .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩
(٤) القلائد الجوهريه ص ١٤٥
(٦) المصدر السابق ص ١٣١
(٨) المصدر السابق ص ١٣١ و ١٣٢

(١) الجواهر ص ١٢٨ و ١٢٩
(٣) المصدر السابق ص ١٢٩
(٥) الجواهر ص ١٢٩ و ١٣٠
(٧) المصدر السابق ص ١٣١

جلد ١٣٢ ص ١٣٢

ولم يكن صاحبنا — أحمد — ذا مكانة ومثولة وموضع احترام وتقدير عند بني جلد ١٣٢ ص ١٣٢
اليمن فحسب قبل أن شهرته وصيته قد سبقاه إلى ملوكها وأمرائها لذا ترى الملك الأشرف
اسماعيل بن الأفضل عباس صاحب اليمن يخطب وده ويرأسه "للاجتماع به في زبد نفوس
ذلك فأثابه أحسن الاثابة وعامله بما هو جدير به من الاجلال والاحتفال" (١) ، ومحمد
أن قضى في هذه البلاد شهرا يتنقل بين مدنها ويجتمع بشيوخها رحل عنها "وقد زادت
معارفه وانتشرت علومه ولطائفه" (٢) ، ثم عرج أثناء عودته على مكة وأقام بها أياما أدى خلالها
فريضة الحج "وهذه حجة الاسلام" (٣) ، وقد لقي بحكمة ومضى والمدينة جمعا من العلماء
والمسندين فالتقى بحكة بجماعة منهم البهتان أبو اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن صدوق
والعلامة الزين أبو بكر بن الحسين المرافي — والمحدث المكثر الشمسي أبو عبد الله محمد
ابن علي بن شرغام بن مسكو وغيرهم وامام الحقام أبو اليمن محمد بن أحمد بن ابراهيم
الطبرى وست الكل ابنة الزين أحمد بن محمد القسطلاني وغير ذلك وآخرون بنى والمدينة (٤)
ثم نراه بعد ذلك قد اختلف إلى مكة وهذه البلاد وتردد عليها مرات عديدة أولها بعد
ذلك سنة ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨١٥ و ٨٢٤ هـ — وهي آخر مرة — (٥)
وفي كل مرة من هذه المرات يأخذ عنهم ويسمع منهم ويأخذون عنه ويسمعون منه "ولما رجع
من حجة الاسلام إلى بلده سنة ٨٠١ هـ وجد في استكمال ما بقى عليه من مسموع مسموع
والقاهرة وفي شيوخه ومسموعه بهما كثرة" (٦) . فنراه قد أخذ بمصر عن ابن عقيل الباسي
وابن أسعد القايقي وابن رزين وثمان بن محمد بن الشيشيني وغيرهم ، وأخذ بالقاهرة
عن أبي اسحاق السرخسي وابن الشحنة ، ابراهيم ابن داود الأمدى ، الحلوى ، وغيرهم .
كذلك نراه قد انتقل إلى الجزيرة وسمع بها على الصلاح ابن علي الزنتاوى . وانتقل أيضا
إلى القرافة وسمع بها على الشهاب أحمد بن محمد بن الناصح . وسمع بجزيرة الغيل على
شيخه واستاذة ومخرجه الحافظ العراقي (٧)

(١) الجواهر ص ١٣٢ (٢) المصدر السابق ص ١٣٢

(٣) نفس المصدر ص ١٣٣ (٤) نفس المصدر ص ١٣٧

(٥) نفس المصدر ص ١٣٣ و ١٣٦ و ١٣٨

(٦) نفس المصدر ص ١٣٩

(٧) نفس المصدر ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١

ثم لما آنس من نفسه أن قد "أشرف على الاستيفاء" وحصول الاستيعاب لما أمكن بالديار المصرية" (١)

ولم يعد هناك من الشيخ الذين يحمل عليهم في هذا الفن من يجتمع به ويتردد عليه وليس وجهه شطر البلاد الشامية ليأخذ عن مسند يربها وعلمائها .

رحلته إلى البلاد الشامية

الحديث الخامس

وفي ثالث عشر من شعبان سنة ٨٠٢ هـ ، ظهر من القاهرة موليا وجهه شطر "البلاد الشامية للأخذ عن بها" (٢) ، لكنه لم يفته الأخذ والسماح من علماء المدن والقرى التي مر بها ورجع عليها أثناء رحلته تلك ، فلقى يسرياقوس قاضيها صدر الدين سليمان الأبيشيطة الشافعي وأخذ عنه بعضا من الأجزاء الحديثية (٣) ، وصدر الدين محمد بسن إبراهيم السلسي المغربي (٤) ، وفي قطريه أخذ عن رفيقه وصاحبه المحدث التقى الفاسسي المكي (٥) ، والرملة أخذ عن الامام الشهاب أحمد بن محمد بن حسين مهند من الحرم (٦) وأحمد بن محمد الأيكي (٧) ، وغزة أخذ عن أحمد بن محمد بن عثمان الخليلي (٨) والخليل أخيه عن صالح بن خليل بن سالم (٩) ، ومحمد بن محمد بسن علي بن يحيى المنجي الحنفي (١٠) ، وكانت نهاية رحلته وآخر مطافه دمشق فدخلها في ٢١ من رمضان سنة ٨٠٢ هـ ، واستضافه خليله وصديقه بها الصدر علي بن محمد بسن محمد بن آدمي لما كان بينهما من المودة (١١) ، ومحمد أن استقر به المقام تردد على الشيخ وأخذ عنهم وسمع "من خلائق من أصحاب أبي المباسم أحمد بن أبي طالب الحجار ومن قبله مثل القاسم بن عثمان" (١٢) . كذلك كان من الشيخ الذين تردد عليهم بدمشق وصالحيتها ابن منيع ، ويدر الدين محمد بن محمد بن قوام البرالسي وفاطمة بنت محمد [بن أحمد بن المنجالتنوخية وفاطمة وعائشة بنتا محمد بن عبد الهادي ، ومحمد بن عبيد

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) الجواهر ص ١٤١ | (٢) المصدر السابق ص ١٤١ |
| (٣) نفس المصدر ص ١٤٢ | (٤) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧١ |
| (٥) الجواهر ص ١٤٢ | (٦) المصدر السابق ص ١٤٢ |
| (٧) الشذرات ج ٧ ص ٢٧١ | (٨) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٧١ |
| (٩) المصدر السابق نفس الصفحة | (١٠) الجواهر ص ١٤٢ |
| (١١) المصدر السابق ص ١٤٨ | (١٢) المصدر السابق ص ١٤٢ |

الرحمن الذهبي — حفيد الذهبي — (١) ، ولم يكن كل همه — خلال اقامته بدمشق — التردد على الشيوخ والسماع منهم والأخذ عنهم فحسب بل "وصل هناك على جاري عاداته من الكتب الكبار والأجزاء القصار وغيرهما أشياء كثيرة جدا كانت قد انقطعت من مـسـدـر مطالعة" (٢) . كذلك "حصل له في هذه المدة مع قضاء اشغاله ما بين قراءة وسماع من الكتب المجلدات خاصة من المعجم الأوسط للطبراني ثلاثة ومن الكبير مجلد والصنير بتمامه والسنن للدارقطني ومسنند أحمد وغير ذلك الكثير من المجلدات" (٣) وفضلا عن هذا كله فقد "علق في غضون هذه المدة بخطه من الأجزاء الحديثية والفوائد النثرية والتتمات التي يلحقها في تصانيفه ونحوها ثمان مجلدات نأثر" (٤) . وقد وهبه الله من المهارات ما ساعده على كل ما قام به من جليل الأعمال والأشغال وذلك كسرعة القراءة الحسنة "وأسرع شيء وقع له في ذلك أنه قرأ في رحلته الشامية — هذه — معجم الطبراني في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر وهذا الكتاب في مجلد مشتمل على نحو ألف وخمسمائة حديث لأنه خرج فيه عن ألف شيخ عن كل شيخ حديثا وحديثين" (٥) وأيضا سرعة الكتاب جمع حسنها ، يقول السخاوي "سمعت يقول كنت أكتب في تلخيصي لتبسيط الجزء إلى الزوال كراسا بالكامل" (٦) كذلك يقول "سمعت أنه كان يكتب من البخاري جزءا من ثلاثين في اليوم" (٨) . بجانب هذا وذلك كانت هناك أمور أخرى خارجة ، هيأت له الظروف المناسبة وخلقت له الجو الملائم حتى استطاع أن يتم وينجز ما قام به من أعمال واشغال منها أنه "لم يتردد في غضون هذه الفترة على أحد من رؤساء الشام" (٩) . ولم يتول "القضاء" بها (١٠) . وضرب عن كل هذا صفحا وإنما كانت همهته المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والافادة (١١) "بحيث لم يكن يخلو أوقاته عن شيء من ذلك" (١٢) وقد أضي بدمشق مائة يوم" (١٣) ، كان خلالها ملازما "طريقته في التصنيف والقراءة

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) الجواهر ص ١٤٦ ، الشذرات ص ٢٧١ | (٢) الجواهر ص ١٤٤ |
| (٣) المرجع السابق ص ١٤٨ | (٤) نفس المصدر ص ١٤٩ |
| (٥) المصدر السابق ص ١٥٠ و ١٥١ | (٦) الجواهر ص ١٥٧ |
| ، ابن فهد لحظ الألفاظ ص ٣٣٦ | ، الفاسي "الذيل على التقييد ص ١٦٣ ب |
| (٧) المصدر السابق ص ١٥٨ | (٨) المصدر السابق ص ١٥٩ |
| (٩) المصدر السابق ص ١٦٣ | (١٠) المصدر السابق نفس الصفحة |
| (١١) المصدر السابق ص ١٦٣ | (١٢) رفع الاصر ص ٨٥ ، الجواهر ص ١٤٨ |
| (١٧) المصدر السابق نفس الصفحة | |

والاملاء والكتابة بل لم يهرسل سماعه على التصحيح والأصحاح " وبعد أن أنهى أمره
من دمشق خرج منها في أول يوم من سنة ٨٠٣ هـ " ولعل ما استجد من الظروف
والأحداث هو الذي دفعه إلى أن يعجل بالرحيل عنها يقول البخاري " ولما كثرت الاغاثه
في دمشق بقدم اللئك اليها وأرجف بذلك رجع الى بلاده " (١)
وأما كان فإنه لم يفارقها الا " وقد اتسمت معارفه كثيرا وظهر لعلما الشام وفعلاتها
منه حفظ كثير واعتبروا به وشهدوا له بالتقدم في فنون الحديث إلى أعلى رتبة (٢) ، وفي
طريق عودته - من دمشق - عرج على نابلس وأقام بها أياما (٣) ، أخذ خلالها وسمع
من ابراهيم وعلى ابني محمد بن العفيف وغيرهما (٤) ، ومن نابلس توجه الى بيت المقدس
فأخذ عن أحمد بن محمد بن عبد الكريم وامام المسجد الأقصى الشهاب أحمد بن محمد
ابن مثبت المالكي والباعوني الشافعي وامام قبة الصخرة عبد الرحمن بن محمد بن حامد
وعبد الهادي بن عبد اللطيف البساطي (٥) ، وكذا سمع من المفتي شمس الدين محمد بن
القلقشندي ، ومحمد بن محمد بن علي المنبجي وغيرهم (٥) ، ثم رجع الى بلده وزاوى ما كان
مشتغلا به من قبل .

رحلته الثانية الى بلاد اليمن

وفي سنة ٨٠٥ هـ ، ذهب الى بلاد الحجاز فحج وأقام هناك أياما مجاورا ثم
سافر الى بلاد اليمن وتنقل بين مدنها وقراها ولقى بها بعض من لقيهم في المرة الأولى
وغيرهم فحطوا عنه وحملوا عنهم (٦) ، ثم رجع الى بلده واشتغل بما كان مشتغلا به آنفا .

رحلته الى البلاد الحلبية

وفي شهر رجب من سنة ٨٢٦ هـ - خرج من القاهرة - هو ورفاقه من القضاة
صحبة السلطان الأشرف برسباي اذ كان متوجها الى بلاد آمد لدفع أذى التركمان الذين

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) الجواهر ص ١٤٧
(٣) المصدر السابق ص ١٤٢ او ١٤٣
(٤) ابن الحماد " شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧١
(٥) الجواهر ص ١٣٣

تغلبوا على بلاد آمد وماردين وغيرها ونهبوا أموال الرعايا وأكثروا في تلك الجهات الفساد وعلى جاري عادة صاحبنا — أحمد — لم يخل سفره من فائدة فكتب عن رفيقه البسطامي قاضي المالكية أثناء نزولهم بلبليس — في المذاكرة بحث — وكذا كتب بالصلحية عن قاضي المنصورة شمس الدين بن كميل وسمع بظاهر نيسابن من المصنف أحمد بن نصر الله البنداد ^{بالبسطامي} قاضي الحنابلة حديثا من سنن أبي داود (١)

وكتب أيضا عن رفيقه قاضي الحنفية بمر الدين محمود الهيني أشياء من نظمه وسمع عليه حديثا بالغ حتى كتب عن أحد تلامذته البرهان البقلى (٢) ، وفي منتصف شعبان تسامما وصلوا إلى دمشق فنزل هناك بالمدرسة العادلية الصغرى فلما كان اليوم التالي — وهو السادس عشر — عقد مجلس الأملاء بجامع بني أمية وكان المستملى عليه برهان الدين إبراهيم المجلوني تلميذ شمس الدين محمد بن ناصر الدين شيخ الحديث بالديار الشامية (٣)

وقد حضر ابن ناصر الدين نفسه مجلس الأملاء وأكرم المستملى غاية الأكرام حتى قال "يقبح بنا أن نتكلم بحضرتك" ، كما حضر أيضا هذا المجلس قضاة مصر والشام كذلك حضر فقيه الشام ابن قاضي شهبه "وجمع وافر من الأعيان والفضلاء والطلبة" (٤)

وقد أُملى في هذا المجلس الحديث المسلسل بالأولية (٥) حديثا بن عباس — أحفظ الله يحفظك — وحديث ابن مسعود — نصر الله امرأ — الخ ... وظلوا بدمشق حتى المشرين من شعبان ثم رحلوا عنها (٦) ، متوجهين إلى حلب

(١) الجواهر من ١٧٤ و ١٧٥ (٢) المصدر السابق ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر ص ١٨٠ (٤) نفس المصدر ص ١٨٠ و ١٨١

(٥) الحديث المسلسل — هو ما تتابع رجال أسناده على صفة أو حالة للرواة تارة وللرواية تارة • وصفات الرواة أقوال وأفعال وأنواع كثيرة غيرها كمسلسل التشبيك باليد والعد فيها وكاتفاق أسماء الرواة أو صفاتهم أو نسبتهم كأحاد يشربونها كن رجالها دمشقيون ومسلسل الفقهاء •

وصفات الرواية كالمسلسل بسمعت أو بأخبرنا أو أخبرنا فلان والله وأوله صالح على الاتصال ومن فوائد زيادة الضبط قلما يسلم عن خلل في التسلسل وقد ينقطع مسلسلة في وسطه •

ومعنى كونه بالأولية (التقريب والتفسير للنووي ص ٣٢) أن يكون أول حديث سمعه من شيخه • ويكون أول حديث شيخه من شيخه • وهكذا إلى انتهاء السند •

(٦) الجواهر ص ١٨١

فلما وصلوا حماه كتب بها عن شاعرها "التقى لبحجه" أشياء من نظمته وعن انشراح نور الدين على النيساني عشرة أحاديث وغيرها . ثم رحلوا الى حمص فكتب بها عن محمد ابن محمد بن القواس فلما رحلوا عنها وانتهوا الى حلب دخلوها في الخامس من شهر رمضان وأقاموا بها خمسة عشر يوما سمع في اليوم الأول منها على برهان الدين سبط ابن المجنى الحديث المسلسل بالأولية بقراءة البرهان البقاعي — تلميذه وقرأ هو نفسه على ابن المجنى مشيخة الفخر بن البخاري (١) . ولقد كان حريصا كدأبه على "التقاط الفائدة والسماع ممن هو أعلى سندا منه ولو كان دونه في المرتبة" (٢) ولم يقتصر على السماع والكتابة والقراءة بل ألقى أثناء إقامته بحلب مجلسا افتتحه بالحديث المسلسل بالأولية — حديث الرحم — وكان ذلك بالجامع الكبير بالجهة المعدة لطلبة الحنابلة وكان ذلك في شهر رمضان . كما حدث خلال هذه الفترة بأشياء من ذلك كتاب الحديث الفاصل بين الراوى والواعى للرامهرمزي قرأه عليه البرهان البقاعي (٣) .

ثم رحل من حلب صحبة السلطان حتى وصلوا الجسر الممد على الفرات وهنا أذن له السلطان بالرجوع مع البدر العيني الى بلده عينتاب وسمع عليه بظاهاها بقراءة تلميذه ورفيقه ناصر الدين محمد بن المهندس ثلاثة أحاديث أحدها من مسند أحمد والآخران من صحيح مسلم . ثم رجع في ثالث شوال الى حلب وعقد بها مجلسا لأملاء وحفصه أعيان الحلبيين والمصريين من بينهم البرهان الحلبي والقاضي العيني وبلغت عدة مجالس أملائه في هذه المدة ستة مجالس غير الأول وقد انتهى من ذلك يوم الثلاثاء ١٨ ذي الحجة ثم رحل عن حلب صحبة السلطان راجعا الى القاهرة . (٤)

فلما وصلوا الشام ونزلوا دمشق سمع بها على المسندة عائشة بنت خليل ابن الشرايحي المسلسل بالأولية ومنتقى الذهبى من مشيخة الفخر بن البخاري (٥) . وكذا سمع على يحيى ابن يحيى القبانى وغيره ، وروى هو أيضا لأهل الشام جزء أبي الجهم سمعوه عليه بقراءة ابن ناصر الدين حافظ الشام (٦) .

- | | |
|-----------------------|-----------------------------|
| (١) الجواهر عن ١٨٤ | (٢) المصدر السابق عن ١٨٥ |
| (٣) نفس المصدر عن ١٨٨ | (٤) نفس المصدر عن ١٩١ و ١٩٤ |
| (٥) نفس المصدر عن ١٨١ | (٦) نفس المصدر عن ١٨٢ |

ولقد كتب بخطه أثناء إقامته بالشام وحلب أشياء كثيرة تزيد على مجلدين وكذا بين في هذه
السفرة بسائر البلاد التي مربها فساد ما بينه الشيخ محمد بن أحمد الفريابي المفسري
من الأسانيد المركبة المختلفة في تلك النواحي حتى رجع كثير عن الرواية عنه (١)
ومعد هذه الرحلة رجع إلى القاهرة يوم الأحد العشرين من المحرم سنة ٨٣٧ هـ . وشار
ما كان قائما به قبل ذلك من أعمال وأشغال ، وبالجملة فقد "رحل وانتقى وحصل" (٢)
"وأكثر جدا من المسموع والشيخ" (٣) "فسمع العالي والنازل وأخذ عن الشيخ والأقران
فمن دونهم" (٤) حتى انتهت "إليه معرفة هذا الشأن — أي فن الحديث — وصار
إمام الناس فيه بعد وفاة شيخه" (٥) . وكان "في أكثر طلبه مفيدا في هيئة مستفيد" (٦)
"ولا ينتبه لطريقته في ذلك كثير أحد" (٧) .

(١) الجواهر ص ١٩٦

(٢) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧١

(٣) البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨

(٤) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٧

(٥) بهجة الناظرين ص ١٦٤ مخطوط

(٦) عنوان الزمان ص ٣٨

(٧) الجواهر ص ٢٨٣

الفصل الثالث

مناصبه التي تولاها ووظائفه التي شغلها وأعماله التي قام بها

المبحث الأول : توليته منصب القضاء (١)

تمهيد :

لما كانت طباع الناس مجبولة على التنازع والتنافس وحسب الحال وغير ذلك دعت الحاجة الى حملهم على الحق والزامهم اياه باليد القاطعة للنزاع ، ولا يكون ذلك الا عن طريق مسن يتولى الفصل فيما يقع بينهم من خصومات ومنازعات لذا فقد دعت الحاجة الى وجود هذه الوظيفة حتى ينظر من يتولاها في جميع هذه المهام وقد لقيت وظيفة القضاء اهتماما بالغا وعناية خاصة من السلاطين في ذلك العصر — مما يدل على رفعة منصب القضاء وفخامته بسين المناصب الكبرى الموجودة حينذاك — اذ كان تعيين القضاة وعزلهم منوطا بارادة السلطان وحده كما كان الشخص الذي يقع عليه الاختيار يمثل بين يدي السلطان بالقلعة ويكتب له كتاب الانشاء أمرا "تقليدا" بتوليته القضاء يذكر فيه عادة الأسباب التي أدت الى اختياره والصفات الطيبة التي يتحل بها وأنه أهل لهذا المنصب ثم بعد ذلك يسوق الوصايا والنسائح التي يجب عليه أن يتبناها ويلتزمها حتى تحقق على يديه العدالة والانصاف بين الناس ويخلص عليه السلطان خلع المنصب "التشريف" ثم ينزل من القلعة في موكب حافل ومعهد ذلك يياشر مهام منصبه ويختار لنفسه مكانا يجلس فيه للفصل في الخصومات وعادة يكون المسجد أو المدرسة في الحي الذي يختاره ويكون هو المتصرف الوحيد في دائرته في كل ما يتصل بالقضاء فتعرض عليه القضايا على اختلاف أنواعها سواء كانت قضايا مدنية أم جنائية وكسان يقضى ويحكم فيها بأحد المذاهب الأربعة (٢) .

(١) يطلق القضاء على معان منها ابرام الأمر والفراغ منه ومنها الأداء ومنها الحكم وهو المراد هنا والحكم في مادته بمعنى المنع ومنه سمي القاضي حاكما لنفسه الظالم من ظلمه .

وفي اصطلاح الشرعيين قول ملزم يصدر عن ولاية عامة أو هو الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالتزام فيقال قضى القاضي أى ألزم الحق أهله .
أو هو فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق "الناصر محمد بن قلاوون" ص ٤٣ و ٤٤

ملاحظ أنه في العصر الأيوبي وسنين من صدر العصر المملوكي كان يقضى بسين الناس بالذهب الشافعي ، فلما كانت سنة ٦٦٤ هـ أيام سلطنة الظاهر بيبرس جعل قضاء مصر أربعة من كل مذهب قاض (١) ويذكر القلقشندي السري في ذلك فيقول " ان القضاء بها — أي الديار المصرية — كان بيد القاضي تاج الدين بن بنت الأعز وكان شافعيًا فكانت تأتيه المكاتيب المخالفة لمذهبه فيتوقف فيها فشق ذلك على السلطان والأمراء (٢) " وازاء هذا اجتمع السلطان والأمراء واشتروا فيما بينهم " فأشار الأمير جمال الدين الأيوبي الغزنوي على السلطان بأن يولى من كل مذهب قاضيا مستقلا يحكم بمقتضى مذهبه فأجابه الى ذلك (٣) " على أن القاضي الشافعي ظل له في هذا العصر مكانة ممتازة عن زملائه اذ كان يقدم عليهم في الخطابة والبايعات والمحاكمات المهمة ببيت المال (٤) كما أنه في شوال من سنة ٦٧٨ هـ أيام سلطنة المنصور قلاوون اختار قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية بالتولية في أعمالها دون رفقة الثلاثة (٥)

ويبدو أننا قد أطلنا — في ذلك — ولكن يشفع لنا أننا أردنا بذلك أن نقدم للقارئ صورة واضحة عن مركز هذه الوظيفة بين الوظائف الأخرى بالاضافة الى مركز القاضي الشافعي ومكانته بين اخوانه القضاة اذ كان — صاحبنا احمد — شافعي المذهب .

محمد ما قدمناه يجل بنا بل يجب علينا أن نعود الى مانحن بصدد من الحديث على تولية — صاحبنا احمد — القضاء فنقول : —

لقد عرض عليه القاضي صدر الدين المناوي أن ينوب عنه في القضاء وكان ذلك قبل انتهاء القرن الثامن فأبى وامتنع (٦) لأنه حينئذ كان لا يؤثر على الاشتغال — بالعلم — شيئاً (٧) كما أن السلطان المؤيد فوض اليه أمر القضاء بالملكة الشامية مرارا فأبى وأصر على الامتناع (٨) فلما كانت سنة ٨٢٢ هـ ولاه السلطان المؤيد الحكم في قضية خاصة بين

-
- | | | | |
|-----|--------------------------------------|-----|--------------------------------|
| (١) | ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٦ | (٥) | القلقشندي صبح الأعشى ج ١ ص ٤١٩ |
| (٢) | القلقشندي صبح الأعشى ج ١ ص ٤١٩ | (٦) | السغاوي ذيل رفع الاسر ص ٨٤ |
| (٣) | ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٦ | (٧) | السغاوي الجوارر والدرر ص ٧٩٥ |
| (٤) | ابن خلدون التصريف ص ٢٥٤ | (٨) | ابن فهد لحظ الألفاظ ص ٣٣٠ |

شمس الدين الهروى قاضى الشامية وبين خصوصية الخليليين والمقاد (١٧٩٤) وكانت هذه له من بداية قبوله الحكم والقضاء فى بعض المسائل والقضايا ثم عرض عليه المؤيد بعد ذلك الاستقلال به فأبى ولم يجبه الى طلبه (٢) وكذلك عرض عليه فى أيام الظاهر طهر لكتسه أيضا لم يقبل وأصر على الامتناع (٣) غير أنه كان بين — صاحبنا احمد — وبين جلال الدين البلقينى من الود والصحة ما اشتهر بين الناس فلما ولي جلال الدين القضاء سأل — صاحبنا احمد — أن يلى نيابة القضاء عنه بل وألح عليه حتى قبل لكنه لم يياشر من الأحكام الا اليسير مما لا يستغنى عنه فيه (٤) ثم لما توفى القاضى جلال الدين — المذكور — وأصبحت وظيفة القضاء شاغرة شغلها بعد القاضى ولي الدين العراقى — وهو ابن شيخه — وطلب منه أيضا أن يلى نيابة القضاء عنه فلم يجد بدا من اجابته دفعا لتوهم مزية للقاضى جلال الدين عليه (٥) ثم لما تولى القضاء علم الدين البلقينى بعد ولي الدين العراقى — وهو ابن شيخه سراج الدين — طلب منه النيابة عنه فى القضاء فأجابه الى ذلك ولم يمتنع وما زال كذلك حتى عرض عليه قضاء الديار المصرية فقبله واستقر فيه فى السابع والعشرين من المحرم سنة ٨٢٢ هـ بعد علم الدين المذكور (٦) بتفويض من السلطان الأشرف برسبى (٧) كما أنه ألزم من أعبائه بقبوله (٨)

فتولى مهام منصبه ما شر ذلك بعفة ونزاهة وتواضع زائد واستجلاب لخواطر الصغير قبل الكبير لكن كان بنكد وعناء وتعب وكثرة معارض وقلة انصاف (٩) وحينذاك أنشد شمس الدين محمد بن على الهيتى لنفسه •

عزلوا صالحا عن الحكم لما حصل العدل فهو ممنوع صرف
أبى الله احمد التشريف
ثم لا زال صالحا مصروفا (١٠)

- | | |
|--|--|
| (١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٢٩٥ | (٦) ابن حجر رفع الاصر ج ١ ص ٨٥ ، |
| (٢) الشوكانى البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩١ | التقى القاسى الذيل على التقييد |
| (٣) السخاوى الجواهر والدرر ص ٢٩٦ | ص ١٢٤ ب |
| (٤) المصدر السابق ص ٢٩٥ | (٧) ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٣٠ |
| (٥) المصدر السابق ص ٢٩٥ | (٨) الشوكانى البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩٢ |
| | (٩) السخاوى الجواهر ص ٢٩٦ |

وعلى الرغم من رفعة المنصب وعظمته وطبع الناس فيه فان — صاحبنا احمد — قد ندم بل وتزايد ندمه على قبوله (١) لكون أرباب الدولة لا يفرقون بين أولى الفضل وغيرهم وبالقانون في اللوم حيث ردت اشاراتهم وان لم تكن على وفق الحق بل يعادون على ذلك واحتياج القاضى بسببه الى مداراة الصغير والكبير بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يروونه على وجه العدل (٢) وليت الأمر وقف به عند حد الندم بل قد صرح بأنه جنى على نفسه بذلك (٣) وظل في المنصب قرابة تسعة أشهر وعشرة أيام حتى عزل في السابع من ذى القعدة وتولى بعده شمس الدين الهروى ويحقب ابن فهد على ذلك فيقول " ولو استمر على ذلك لكان خيرا له في دينه ودنياه " (٤) ونحن نوافق على أن ذلك خير له في دنياه أما فسيدينه فلم يؤثر عنه أنه قضى بخلاف الحق أو ارتكب ما حرم الله أثناء توليته حتى يكون قد أفسد دينه فيكون بعده عن القضاء خيرا له في دينه أيضا وعقب عزله تكلم معه دوا دار السلطان يومئذ واسمه جاني بك في وزن مال ليعود فأشدد قوله :-

الدويدار قال لى أنا أقضى ماربك

لاحفظ الله جانبك (٥)

قم زن المال قلت

وفي هذه الولاية كانت له قومة صادقة في الحق ووقف بجانبه لا يخشى في الله لومة لائم حتى أقره وأثبتته ورفع الظلم الذى كاد ينزل بطائفة التجار في ولايته فلقد عقد مجلس بسبب أخذ الزكاة منهم (٦) فقام معهم ودافع عنهم وعن غيرهم فقال " وأما التجار فانهم يؤدون الى السلطنة من المكوس أضعاف مقدار الزكاة وهم مأمونون على ماتحت ايديهم من الزكاة وأما زكاة الماشية فليس في الديار المصرية غالبا سائمة وأما زكاة النبات فغالب من يزرع من فلاحى السلطان أو الامراء " (٧) وذهبت الأزمة وانفجرت عن التجار وعن غيرهم (٨) ومن أراد مزيدا من وقفات بجانب الحق ودفاعه عنه وان كان على غير هوى السلاطين (٩) " فليراجع الجواهر والدرر بعنوان الزمان " وفي النصف الثاني من شهر رجب سنة ٨٢٨ هـ أعيد الى المنصب بعد عزل الهروى المذكور (١٠) وكان يوما مشهودا وحصل للناس يومئذ

- | | |
|--|----------------------------------|
| (١) الشوكاني البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩٢ | (٦) السخاوى الجواهر والدرر ص ٨١٥ |
| (٢) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٩٨ | (٧) المصدر السابق ص ٨١٥ |
| (٣) الشوكاني البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩٢ | (٨) المصدر السابق نفس الصفحة |
| (٤) ابن فهد لحظ اللاحظ ص ٣٣٠ | (٩) المصدر السابق ص ٨١٥ |
| (٥) السخاوى الجواهر ص ٨٠٠ | البقاعى بعنوان الزمان ص ٤٥ |
- (١٠) التقي القاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب

سروران عظيمان أحدهما بولايته لأن محبته مفروسة في القلب والثاني بعزل المهروى فان القلب قد اتفقت على بفضه لإسائه في ولايته وارتكابه الأمور الذميمة ^(١) وزيد له نفسى تقليد البلاد الشامية في هذه الولاية فيقال قاضى القضاء بالبلاد المصرية والشامية غير أن هذا — كله — قد أثار كوامن الحقد في قلوب منافسية فقام ونازعه الولاية في القضاء القاضى نجم الدين بن حجب وسعى عليه جهده لكنه لم يتم له أمر ^(٢) وظل في المنصب الى أن صرف عنه في يوم الخميس ^{المعتمد} لسادس عشر من صفر سنة ٨٣٣ هـ وتولى عقبه علم الدين صالح البلقينى .

وفي ليل سادس عشر من جمادى الأولى سنة ٨٣٤ هـ أعيد الى القضاء بعد عزل علم الدين المذكور ثم عزل في يوم الخميس الخامس من شوال سنة ٨٤٠ هـ بعلم الدين السالف الذكر ثم في السادس من شوال سنة ٨٤١ هـ أعيد الى المنصب ^(٣) غير أنه في التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٢ هـ عند قراءة تقليد السلطان الظاهر جقمق بالقصر عزل نفسه بحضرة السلطان لكلام جرى بينه وبين قاضى القضاء سمعد الدين الديرى الحنفى فأعاد السلطان وخلع عليه وعلى رفقة ومجدد له ولايته وأغاف اليه نظر الأوقاف التى كانت خرجت قبل في الأيام الأشرفيه — وذلك في ولايه ولى الدين العراقى والبلقينى — بتوقيع جديد وتم ذلك في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها ^(٤) واستمر في ولايته الى المحرم من سنة ٨٤٤ هـ حيث عزل بالشيخ شمس الدين الوقافى لكنه لم يمكث طويلا في الولاية إذ لم يلبث أن سعى تلميذه الناصرى محمد بن السلطان جقمق لدى والده فأعاد الى المنصب وتم ذلك في السادس عشر من صفر وكان يوما مشهودا ^(٥) وحدث في هذه الولاية أن عين السلطان جقمق بعض الأمراء في نظر شىء من الأوقاف التى كان نظرها موكولا اليه ووصل الرسول الى السلطان بأنه لم يستجب لرغبته ولم يتنازل عن شىء منها وقال " غير الحمار كان بشهوة الحمارى " ^(٦) فمزله السلطان

-
- (١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٩٩ ٨٠٠٠
 (٢) المصدر السابق ص ٨٠٠
 (٣) ابن فهد لحظ اللاحاظ ص ٣٣٠ ، التقى الفاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب
 (٤) السخاوى الجواهر ص ٨٠٢ ، التقى الفاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب ،
 ابن فهد لحظ اللاحاظ ص ٣٣٠
 (٥) السخاوى الجواهر والدرر ص ٨٠٢ ، ٨٠٣ (٦) المصدر السابق ص ٨٠٣

من أجل ذلك في يوم الاثنين الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٨٤٦ هـ غير أنه لم يدم الأمر طويلاً حيث رُسل بالاجتماع بالسلطان فأجلب إلى ذلك واجتمع به بعد يومين ومين له عذره فيما نسب إليه فقبل منه واعتذره وأعادته إلى منصبه في يوم الخميس ثامن عشر الشهر المذكور وكان بعد العزل الأخير قد عزم وصمم على عدم قبول المنصب إلا أن قاضي المالكية وكان من تلامذته أشار عليه بخلاف ذلك حفظاً لماله وعرضه وولده فقبل ما شرع له ومكث فيه إلى يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ ثم عزل ٠٠٠ ثم أعيد في اليوم التالي (١) وفي الثامن من شهر المحرم سنة ٨٤٩ هـ حدثت فاجعة اليمّة وهي أن منارة المدرسة الفخرية القديمة سقطت وهلك تحت الرديم جماعة وبلغ ذلك السلطان فتغيظ منه وطلب السلطان الناظر على المدرسة نور الدين القليوبي أمين الحكم وأحد النواب فعنفه وأنبه وظن أنه ينوب عن — صاحبنا بن حجر — في ذلك إلى أن ظهر الأمر بأنه ليس له ولاية ولا نيابة ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولى لكن أعداءه انتهزوا الفرصة وأوصلوا إلى السلطان أنه يقول لولا أنما لما كان للسلطان قدم في الحكم ولما ولى السلطنة وأنه ينسب إلى السلطان الظلم والجور بل ألقوا في سمعه أنه سوف يصدر الحكم بخلعه والتمس من رفيقه القاضي سعد الدين الديري الحنفى أن ينفذ ما يصدره فازداد غضب السلطان عليه وراسله بالعزل في يوم الاثنين الحادى عشر من الشهر المذكور ٠ وأخذ السلطان في مقاهرته فلم يملك إلا أن كتب رسالة شهيدة اللهجة إلى السلطان مع العلاء بن أقبرس ومضمونها ٠

« إن القاضي جلال الدين البلقينى قتيل ططر والقاضى ولى الدين المراقسى قتيل الأشرف برصباى وأنا قتيلك وأرجو أن يقتص الله للمظلوم من الظالم لكن العلاء استشار الخليفة فيها فمنعه من أن يطلع السلطان عليها خوفاً وخشية عليه من غشهم السلطان (٢) وتولى بعده شمس الدين محمد القاياتى إلى أن توفى في المحرم سنة ٨٥٠ هـ ويرى أنه لما عزل بالقاياتى سلم عليه وأنشده ٠

(١) السخاوى الجواهر والدرر ع ٨٠٣ ٠ ٨٠٤

(٢) المصدر السابق ع ٨٠٤ ٠ ٨٠٥ ٠ ٨٠٦

عندى حديث ظريف
عن قاضيين يعزى
هذا يقول اكرهوننا
وكذا يقول اسـترحنا
بمثلـه يتفـنى
هذا وهذا يهـنى
فمن يصدق منا (١)

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من المحرم سنة ٨٥٠ هـ أعيد الى المنصب ففرح الناس بذلك وسروا سرورا عظيما (٢) واستمر فى منصبه الى أن عزل فى أواخر ذى الحجة بالشـيخ علم الدين البلقينى ثم عزل وقرر فى المنصب ولى الدين السفطى وذلك فى العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨٥١ هـ ثم عزل السفطى وأعيد ابن حجر — الى المنصب وذلك فى الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ ثم صرف عنه فى الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة وأعيد البلقينى محمد توليته ذهب اليه — صاحبنا احمد — للسلام عليه واسطه وأعلمه أنه لم يعد له رغبة فى المنصب ليطمئن فكره ويردأ خاطره (٣) وظل منفصلا عن القضاء مخلصا فى عدم الرغبة الى العود اليه الى أن توفي ٠٠٠ وذلك لكثرة ما توالى عليه من المحن والأنكاد بسببه وصـرح بأنه لم يبق فى بدنه شعرة تقبل اسمه وجميع مدد ولاياته احدى وعشرون سنة وأشهر (٤) بسقى علينا ونحن ما زلنا بهذا الصدد أن نسوق ما ذكره أحد المؤرخين المعاصرين لابن حجر حيث يقول " وكان يتخلله فى غضون ذلك — أثناء توليته القضاء — من الملك قلة رضا وشاع صـرفه فيهدى اليه ما يليق به من المال فيرده فى المنصب فلو تنزه عنه ولزم الاشتغال بالملم ليلا ونهارا وحج الى بيت الله وزار قبر نبيه صلى الله عليه وسلم وجاور بالحرمين الشريفين لازداد بذلك وجاهة ورفعة عند الله والمسلمين لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك (٥)

ويمعق أحد المحققين الباحثين على ذلك فيقول " كأن المصنف — ابن فهد — يريد أن يجعل جميع العلماء من المجاورين بالحرمين الشريفين مثله غير ناظر الى ما يترتب على ذلك من اختلال مصالح المسلمين بتوسيد الأمور الى غير أهلها — وابن حجر — قد

(١) المناوى اليواقيت والدرر ص ١٠

(٢) السخاوى الجواهر ص ٨٠٩

(٣) المصدر السابق ص ٨٠٩

(٤) المصدر السابق ص ٨١٣ ، ٨١٥ ، الشوكانى البدر الطالع ج ١ ص ٩٢

(٥) ابن فهد لحظ اللاحاظ ص ٣٣٠ ، ٣٣١

نفع المسلمين بقبوله القضاء مدة طويلة " ثم يقول بعد ذلك " وأما كونه يصرف المال فسي
 هذا السبيل فما لانمول عليه من غير دليل " (١) ويكفي في الرد على هذا المؤرخ
 فيما ذهب اليه أن نقول انه قد انفرد بهذه الرواية وحده ولم يشر اليها أحد من الذين
 أرخوا — لابن حجر — على كثرتهم مما يدعو الى التشكيك فيها وعدم قبولها وتصديقها
 فاذا أضفنا الى ذلك أن هناك نصوصا صريحة تشير الى أنه رفض بذل المال من أجل
 منصب القضاء والمواد اليه تبين لنا وهم ذلك المؤرخ ومجانبته للصواب فيما ذهب اليه فقد
 ذكر السخاوى أنه عقب صرفه من منصب القضاء في المرة الأولى " تكلم دوا دار السلطان
 يومئذ واسمه جاني بك فأنشد يومئذ قوله : —

الدوا دار قال لى أنا أقضى مآربك
 قم زن المال قلت لا حفظ الله جانبك " (٢)

فهل بعد هذا نصدق أنه كان يبذل المال من أجل الاحتفاظ والبقاء في منصب القضاء ؟
 كما أنه اذا كان يبذل المال للسلطين من أجل البقاء في منصب القضاء لا يستطيع
 أن يقف في وجوههم ويقرر الحق على الرغم منهم لكن ثبت أنه كان له قومات في الحق ووقفات
 في وجه السلطين فدعوى أنه كان يبذل المال من أجل البقاء في المنصب باطله (٣)
 وأما قول المؤرخ " أنه عجن قلبه بمحبة ذلك " — أى القضاء — فيكفي في الرد
 عليه ان ابن حجر نفسه صرح " بأنه لم يبق في بدنه شعرة تقبل اسمه " " لكثرة ما توالسى
 عليه من الأنكاد والمحن بسببه " (٤) فكيف اذن يفتن به ويعجن قلبه بمحبة الله الا اذا
 كان انسانا غير طبيعى .

وأيا فانه قد عزل نفسه من هذا المنصب وترفع عنه كثيرا فهل يعقل ممن هذا
 شأنه أن يعجن قلبه بمحبة القضاء ويفتن به كما أنه روى عنه أنه قال

-
- (١) محمد زاهد الكوثرى هامش لحظ الألفاظ ص ٣٣١ ٣٣٢
 (٢) السخاوى الجواهر والدرر ص ٨٠٠
 (٣) يراجع في ذلك الجواهر والدرر ص ٨١٥ ، عنوان الزمان ص ٤٥
 (٤) الشوكاني البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩٢

حملت على القضاء فلم أرد ه
وكان على أثقل من ثبير
فلما أن عزلت جعلت أشد و
لقد أنقذت من شر كثير (١)

فهل بعد هذا الشمر الصريح الواضح الذي يكشف لنا دخائل نفسه يحق لأحد أن يقول
أنه فتن بمنصب القضاء وعجن قلبه بحبته .

ومجمل القول أن ابن حجر قد باشر القضاء بعفوة ونزاهة وقضى بالحق ولم يبدل
مالا في سبيل ذلك المنصب وأنه " كان ذا دراية بالأحكام وخبرة بالمصطلح " (٢) " مشكورا في
ولايته مع الديانة والتحرى في الأحكام الشرعية " (٣) ويكفيه شرفا وفخرا شهادة العلامة تاج
الدين ابن الغرابيلي حيث قال " وعندي أنه ما ولي قضاء الشافعية بعد ابن دقيق العيد
أعلم منه " (٤) وأن هذا المنصب على فخامته وضخامته " لم يزد رفعة بل منصب القضاء
تشرف به " (٥)

المبحث الثاني : توليته منصب التدريس

لقد كانت وظيفة التدريس في المساجد أو المدارس الكبرى في ذلك العهد تعتبر
من المناصب العلمية والدينية الرفيعة وكان الأستاذ يعين بمرسوم خاص من السلطان تفدق
عليه فيه الألقاب العلمية ويسدى إليه النصح برعاية مصالح الطلاب والعطف عليهم وتوزع هذه
المراسيم بالمسجد أو المدرسة ذات الشأن (٦) ولقد تها — لصاحبنا احمد — أن يشغل
هذه الوظيفة الهامة ويقوم بتدريس بعض العلوم الدينية الشائعة آنذاك مثل الحديث ، الفقه
التفسير ، في كثير من المدارس الكبرى الموجودة في عصره .

ويبدو أنه غنى عناية خاصة بهذه الوظيفة إذ لم يصرفه عنها أي شيء ، البتة
حتى أيام توليته القضاء والافتاء وكان لا يقدم عليها أي منصب مهما بلغ من الرفعة (٧)

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) السخاوي الجواهر والدرر ص ١ | (٥) البقاعي عنوان الزمان ص ٤٥ |
| (٢) المصدر السابق ص ٨١٥ | (٦) عبد الوهب حمود صفحات من |
| (٣) المصدر السابق ص ٣٤٣ | من تاريخ مصر ص ٨٨ |
| (٤) المصدر السابق ص ٣٣١ | (٧) حسن حبشي مقدمة الانباء ص ٢١ |

وسنعرض في هذه الصفحات القليلة القادمة لذكر العلوم التي كان يقوم بتدريسها فنقول والله التوفيق :

تدريس علم الحديث (١)

لقد تولى صاحبنا — أحمد — تدريس الحديث بعد أن اكتملت له أسبابه بمدة أماكن أولها بالشيخونية (٢) وذلك في شوال سنة ٨٠٨ هـ فلقد عهد إليه السلطان فرج ابن برقوق بهذا المنصب عوضا عن محمد بن علي بن معبد المدني بحكم نزوله له عندها وهي أول مكان ولى فيه تدريس الحديث (٣) ويشير القلقشندي إلى أن وظيفة التدريس به — المدرسة كان يعهد بها من قبل السلطان إلى أبرز رجالات هذا العصر (٤) وهذا يدل على أن هذه المدرسة كانت من أعظم المدارس في ذلك العصر .

وفي سنة ٨٠٩ هـ ولى تدريس الحديث بالمدرسة المحمودية (٥) حيث كان مفوضا إليه قراءة الحديث بها وذلك بعد وفاة البدر أحمد بن عمر الطنبدي وكان في بعض الأحيان يستخلف في القاء الدروس بها بعض تلامذته الذين يثق بهم ويأمن فيهم أنهم يمدون الفراغ ويمثلون المنصب (٦)

وفي سنة ٨١١ هـ ولى تدريس الحديث بالمدرسة الجمالية المستجدة (٧) وذلك بأمر واقعها عند افتتاحها — وقد عقد فيها مجلس حضره الأكابر والأعيان من العلماء وواقف المدرسة وتكلم فيه صاحبنا — أحمد — عن حديث من بنى لله مسجدا ثم قال عندي من طرقه وذكر عددا فقال له الامام بدر الدين العيني — مخلصه — وكان حاضرا قل ما شئت فلا ينازعك فيه أحد وهو يشير إلى أن صاحبنا — أحمد — تغرد بهذا ٠٠ ثم ان

-
- (١) هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أحوال رواته ضبطا وعدالة ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك
 - (٢) يراجع تاريخها في الباب الأول الفصل الثالث أثناء الحديث على تاريخ بعض المدارس
 - (٣) السخاوي الجواهر والدرر ص ٢٥٤
 - (٤) نقلا عن حسن حبشي مقدمة الانباء ص ٢١
 - (٥) يراجع تاريخها أيضا في الفصل الخامس منها قبل
 - (٦) السخاوي الجواهر والدرر ص ٢٥٩ ، ٢٦٠
 - (٧) يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالمدارس أثناء الحديث على الحياة الفعلية .

صاحبنا — أحمد — حينما استشعر بأن في مقالة العيني شيئاً قال له أحضر محبره واكتب كل ما أقول يظهر لك صحتـه (١)

وفي سنة ٨١٢ هـ ولى تدريس الحديث بقبة الخانقاه البهبهرسية (٢) بحدنور

الدين على ابن عبد الرحمن الرشيدى (٣)

وفي سنة ٨٢٩ هـ ولى درس الحديث نيابة عن ولده (٤) بحدنور السلطان حسن (٥)

وفي سنة ٨٣٣ هـ ولى تدريس الحديث بجامع ابن طولون (٦) عوضاً عن التقي على خفيد

المراقى بحكم وفاته (٧)

وكذلك قام بتدريس الحديث بالقبة المنصورية (٨) ثم ترك هذا المنصب للفقيرة

البدر ابن الأمانة (٩)

تدريس الفقه

لقد فتن صاحبنا — أحمد — بعلم الحديث ومتعلقاته وأغرم بذلك وزاول تدريسه

بعدة أماكن كما أسلفنا •

غير أنه لم يكن العلم الوحيد من نوعه الذى باشر تدريسه بل نسراه قد جاوزه

الى تدريس الفقه بعدة أماكن من القاهرة ومصر •

-
- (١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٢٥٥
 - (٢) يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالمدارس عند الحديث على الحياة العقلية
 - (٣) السخاوى الجواهر والدرر ص ٢٥٥
 - (٤) المصدر السابق ص ٢٥٨
 - (٥) يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالمدارس
 - (٦) هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر وابتدأ في بناءه احمد بن طولون سنة ٢٦٢ هـ وكمليت عمارته في شهر رمضان سنة ٢٦٥ هـ
 - (٧) السخاوى الجواهر ص ٢٥٨
 - (٨) تقع هذه القبة بخط بين القصرين تجاه المدرسة المنصورية وقد أنشأها الملك المنصور قلاوون ورتب بها درسا للحديث ودرسا للقرآن الكريم ودرسا للنقهاء على المذاهب الأربعة وانتهت عمارتها سنة ٢٥٣ هـ — وقال اليوسفي في ذلك قصيده مظهرها
 - (٩) أنشأت مدرسة وميمارستانا لتصحح الأيدان والأديانا السخاوى الجواهر والدرر ص ٢٥٨

ففي سنة ٨٠٨ هـ ولى تدريس الفقه بالشريفية الفخرية (١) التي بمسجدة الجودرية (٢) وفي سنة ٨١١ هـ تولى تدريس الفقه بالشيخونية السالفة الذكر بعد أن ترك له نور الدين علي بن يوسف الأنباري هذا المنصب (٣)

وفي سنة ٨٢٢ هـ ولى تدريس الفقه بالمدرسة المؤيدية (٤) وفي جمادى الأولى من نفس السنة نزل السلطان المؤيد وأقبل عليه ليحضر عنده أثناء القائه الدرس ففهم بالقيام له فمنعه السلطان من ذلك واستمر فيما هو عليه وجلس السلطان عنده مليا وظل به في المدرسة الى أن ولى القضاء في سنة ٨٢٧ هـ فأنتهى الشيخ شمس الدين البرماوى السى السلطان الأشرف برسباى أن الملك المؤيد واقف المدرسة اشترط ألا يكون المدرس من مدرسته قاضيا فأقبل من التدريس ثم لما تبين أن الواقف لم يشترط ذلك أعيد ثانية وهذا ان دل على شئ • فانما يدل على أن أقرانه كانوا ينفسون عليه ويحسدونه على ما هو فيه وكل ذى نعمة محسود (٥) وفي سنة ٨٣١ هـ استقر في تدريس الفقه بالمدرسة الخرمية البدرية بمصر (٦) رغب له عن هذا المنصب المحب محمد بن علي بن أحمد البكرى (٧)

كما انه في سنة ٨٣٣ هـ ولى تدريس الفقه بالصالحية (٨) عوضا عن علي حفيد ولى الدين المراقسى •

وفي سنة ٨٤٦ هـ ولى تدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية (١٠) المجاورة للامام الشافعى وذلك بعد انفصال العلامة أبرو الفتح القلقشندي عنها (١١)

-
- | | |
|------|--|
| (١) | يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالمدارس أثناء الحديث عن الحياة العقلية |
| (٢) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦١ |
| (٣) | المصدر السابق ص ٧٦١ |
| (٤) | يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا |
| (٥) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٢ |
| (٦) | يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا |
| (٧) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٣ |
| (٨) | يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا |
| (٩) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٣ |
| (١٠) | يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا |
| (١١) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٤ |

تدريس التفسير

وفي مستهل سنة ٨٢٩ هـ ولي تدريس التفسير بالمدرسة الحسينية بالرميلة وذلك أنه قد اطلع على كتب الواقف فوجد فيه مدرسا للتفسير وآخر للحديث ولم يكن يباشر العمل بهاتين الوظيفتين فالتمس من الناظرين عليها تقريره في تدريس التفسير وتقريبه ولده في تدريس الحديث فأجيب الى ذلك وافر الوظيفتين الأولى بالأصالة والثانية نيابة عن ولده وظل كذلك الى أن رغب عن درس التفسير لأحد جماعته — زين الدين السندبيسي (١) وولى كذلك تدريس التفسير بالقبة المنصورية رغب له عنه الشيخ شمس الدين البرماوى وظل بيده حتى مات (٢)

ومعد فقد كانت دروسه في كل هذه العلوم متممة محققة كثيرة الفوائد والفروع المنقحة والقواعد المحررة كما كان في القائه الدروس يسير على منهج بديع " يأتي في كل فن من بنات فكره استنباطا واستدراكا بما ييسر علماء ذلك الفن بحيث يقضون له بالسيادة فيه " (٣)

هذا مع الانصاف والرجوع الى الحق في الباحث ولو على لسان أحد الطلبة (٤)

البحث الثالث : توليته منصب الافتاء (٥)

- | | | | |
|-----|--|-----|---------------------|
| (١) | السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٢ | (٢) | المصدر السابق ص ٧٥٣ |
| (٣) | المصدر السابق ص ٧٦٦ هـ ٧٨٣ | (٤) | المصدر السابق ص ٧٨٣ |
| (٥) | الفتاى والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام والواقع أن الافتاء " تبليغ الناس عن حكم الله والفرق بين القضاء والافتاء " وأن كان في كل منهما اخبار بحكم الله إلا أن القضاء ملزم وتقوم الدولة بمآلها من سلطان على تنفيذه وأن الفتوى مجسود اخبار وأن التزم بها المستفتى ديانة إلا أن الدولة لا سلطان لها على تنفيذ هذه الفتوى على المستفتى .. | | |

لقد شغل منصب الافتاء بدار العدل في سنة ٨١١ هـ (١) واستمر معه الى أن
قضى نحبه (٢) على أن فتاويه كانت تبلغ النهرية في الایجاز مع حصول الفرض لا سيما
المسائل التي لا نقل فيها فإنه كان أحسن علماء عصره فيها تصرفاً . . . يخرجها على
القوانين المحررة بالدلائل المعتبرة (٣)
ولقد كان يكتب في كل يوم على ثلاثين فتوى غالباً وقد جمع المهرم من فتاوى شهر
فخرجت مجلدة عظيمة سماها "عجب الدهر في فتاوى شهر" (٤) ولا غربة في ذلك فقد
شرب ماء زمزم كي تتيسر له الكتابة على الفتاوى من سن القلم بغير مراجعة فيسر الله ذلك (٥)
وكان في فتياه لا يحدل بالحق بديلاً ولا يحابي أحداً يشهد لذلك أنه كان بينه وبين الشيخ
جلال الدين البلقيني من الود والمحبة ما اشتد ريبين الناس ولكن هذا لم يمنعه من مخالفته
في بعض فتاويه تقديماً لحق الله تعالى وعدم المحافظة في دينه (٦)
وها كم بعض نماذج من فتاويه التي ذاعت في الآفاق وطارت شهرتها كل مطار

(١) هناك دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ وكان
يجلس فيها أولاً لمرض العساكر ثم رفعت إليه بعد ذلك الحكايات والظلمات
فكان ينظر فيها وذلك ابتداءً من سنة ٦٦٢ هـ وما زالت دار العدل هذه موجودة
حتى بنى المنصور قلاون الديوان فهجرت إلى أن هدمها الناصر محمد سنة ٧٢٢
وكان في أيام عمارتها يجلس فيها في أيام معينة نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع
الدار والأمراء فينظر نائب الدار في أمور المتظلمين وتقرأ عليه القصص ثم تحسول
الأمر بعد ذلك إلى الديوان المعروف بدار العدل وقد أنشأ المنصور قلاون
الألني الصالحى واستمر جلوس نائب دار العدل به إلى أن أنشأ الناصر محمد
الروك فأمر بهدم الايوان ثم بناه ثانية وظل يجلس فيه يوم الاثنين والخميس
وعنده أمراء الدولة والقضاة وظل هذا الايوان داراً للعدل يجلس فيها النائب
بعد ذلك .

(٢) السخاوي الجواهر ص ٧٦٧ و ٧٦٨

(٣) المصدر السابق ص ٧٨٨ و ٧٨٩

(٤) السخاوي الجواهر والدرر ص ٧٨٩ و ٧٩٠

(٥) المصدر السابق ص ١٥٦ و ١٥٧

(٦) المصدر السابق ص ٧٩٢ و ٧٩٣

النموذج الاول

سئل مرة عن لبس الأحمر من الصوف والكتان والجوخ حرام أم مكروه
فأجاب لا يحرم لبس الأحمر وإنما الخلاف في الكراهية بين العلماء فيه مشهور
فلبسه خلاف الأولى عند من يعتقدان لا كراهية فيه للخروج من الخلاف **والقائل بتحريمه**
ينظر فيه فان كان من أهل العلم سئل عن مستنده فيه وأزيلت شبهته وان كان بخلاف ذلك
فإنه يوجب بما يليق به لاقدامه على القول بما لا علم له به (١)

النموذج الثاني

سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس
بأعور وأشار بيده الى عينه وان المسيح الدجال أعور عين اليمنى"
هل يجوز لقارى هذا الحديث أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومشير بيده أيضا الى عينه *

فأجاب انه ان حضر عنده من يوافقه على معتقده وكان يعتقد تنزيه الله تعالى
عن صفات الحدوث وأراد التأسي محضا جاز والأولى به الترك خشية أن يدخل على من
يراه شبهة التشبيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (٢)

وقد عقد السخاوى تليذه ومريده الفصل السادس من كتابه الجواهر وخصصه
للفتاوى وذكر فيه كثيرا من فتاويه بعد أن رتبها ونوعها الى مكية ومدنية ومغربية ومن أراد
تفصيل ذلك والوقوف على شيء * منه فليراجع (٣)

البحث الرابع : توليته مشيخة خانقاه البيهرية

وفي ربيع الأول سنة ٨١٣ هـ تولى مشيخة خانقاه بيهر من الجاشنكير وخب له عنها
الملاء الحلبي غير أنه قد عزل عن هذا المنصب مرارا وأعيد اليه آخر الامر في ربيع الثاني

- (١) السخاوى الجواهر والدرر ص ١٢٣٩ هـ ١٢٤٠
- (٢) فتح البارى كتاب التوحيد هـ باب قول الله تعالى ولتصنع على عيني ج ١٣ ص ٣٠٤
- (٣) السخاوى الجواهر ص ١١٨١ وما بعده

سنة ٨٥٢ هـ وظل به حتى مات وقد رتب أثناء مباشرته الخانقاه أسماء المستحقين
والنازليين بها على حروف المعجم وذلك سهل الكشف عن أسمائهم ومعرفتهم من غير
ماتع أو نصب (١)

توليته مشيخة دار الحديث الأشرفية

كذلك ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق بعد أن شغل هذا المنصب
بموت الجمال بن الشرايحي فلما دخل الشام صحبة الأشرف برسباي سنة ٨٣٦ هـ تنازل
عنه للعلامة العافظ محمد بن أبي بكر بن أحمد القيسي الشهير بابن ناصر الدين (٢)

المبحث الخامس : قيامه بأمانة المكتبة المحمودية

سبق أن أشرنا إلى أن - صاحبنا أحمد - تولى التدريس بالمدرسة المحمودية
سنة ٨٠٩ هـ وإلى جانب هذا تولى أمانة مكتبتها التي زخرت بالآلاف المجلدات في شتى
فنون المعرفة السائدة يومذاك . ولنفاضة كتبها رغب في مباشرتها بنفسه وعمل لها فهرستين
أحدهما بالحروف الهجائية والأخرى حسب الموضوعات وكان لشغفه بها يقيم فيها يوما كل
أسبوع غالبا وظل قيما على هذه المكتبة حتى قضى نحبه (٣)

المبحث السادس : اشتغاله بوظيفة الخطابة

لا يخفى ما لهذه الوظيفة من أثر بارز في توجيه الحياة العامة وحث الروح الدينية
والمعنوية بين أفراد الأمة لذا فهي وظيفة لها مكانتها ومنزلتها لا يتولاها إلا من أوتي
بسطة في العلم والقدرة على البيان وقد كان حظ - صاحبنا أحمد - منهما مؤثرا فنبهوا
هذا المنصب عن جدارة واستحقاق وولى الخطابة بعدة أماكن كالأزهري (٤)

(١) السخاوي الجواهر ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧٥

(٢) المصدر السابق ص ٧٦٠

(٣) المصدر السابق ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، البقاعي عنوان الزمان ص ٤٩

(٤) يراجع تاريخه في الفصل الخاص بالمدارس والمساجد .

جامع عمرو ، جامع القلعة

(١) الخطابة بجامع القلعة

بعد أن تولى القضاء في سنة ٨٢٧ هـ ولي الخطابة بجامع القلعة جريا على عادة

قضاة الشافعية (٢)

(٣) الخطابة بجامع عمرو

وفي سنة ٨٣٨ هـ ولي الخطابة بجامع عمرو بن العاصي وظلت هذه الوظيفة

بيده الى أن توفي (٤) وقد كان لخطبه التي القاها بجميع الأماكن أثر في النفوس وصمدح

في القلب كما كان لها أثرها الواضح في احياء السنة وامانة البدعة وقد تألف من مجموع خطابه

ديوان الخطب القلمية وديوان الخطب الأزهرية (٥)

اشتغالة بوظيفة الوعظ بجامع الظاهر (٦) بوظيفة الوعظ بجامع الظاهر

كما تولى صاحبنا أحمد وظيفة الوعظ بجامع الظاهر بالحسينية عوضا عن الشيخ نور الدين

الرشيدى وظل بها حتى مات (٧)

(١) انشاء الملك المنصور بقلمه الجبل سنة ٧١٨ وعمره احسن عمارة وجعل له من

الاوقاف ما يفضل عن مصارفه وقد كان يتولى الخطابة فيه وصلاة الجمعة القاسمي الشافعي .

(٢) السخاوي الجواهر ص ٧٧٨

(٣) يراجع تاريخه في الفصل الخاص بالمدارس والمساجد

(٤) السخاوي الجواهر ص ٧٨٩ ، ٧٨١

(٥) المصدر السابق ص ٧٩٣

(٦) انشاء الملك الظاهر بغيرس خارج القاهرة على ارض ميدان فسيح بالحسينية

وابتدا في عمارته في ربيع الآخر سنة ٦٦٥ وتمت في شوال سنة ٦٦٦ ورتب به

خطيبا ووقف عليه أوقافا وتطرى في كل أموره بنفسه

(٧) السخاوي الجواهر ص ٧٠٣ ، ٧٠٤

(١) البحث السابع : مجالس الاملاء

كذلك كان من أهم أعماله التي قام بها عقد مجالس الاملاء فلقد كان الاملاء من وظائف العلماء قديما لاسيما الحفاظ من أجل الحديث وقد عقد صاحبنا أحمد املاء بعدة أماكن

الاملاء بالشيخونية (٢)

لقد شرع صاحبنا أحمد في عقد مجالس الاملاء سنة ٨٠٨ بالشيخونية التي أشرنا اليها آنفا وقد بلغت عدة مجالسه فيها ستة عشر مجلسا قد تنقضى قليلا باستملاء المحدث أحمد بن أبي بكر البوصيري تألف منها فيما بعد كتابه "الاملاء بالاربعين المتباينة بشرط السماع" وهي أربعون حديثا متباينة الأسانيد بشرط السماع (٣)

الاملاء بالجمالية

وفي رجب سنة ٨١١ هـ عقد مجالس املاء بالمدرسة الجمالية المستجدة التي أشرنا اليها فيما سبق وكان المستملى تلميذه كمال الدين محمد الشسني المالكي (٤)

الاملاء بالمدرسة المنكوتورية (٥)

وفي مستهل جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ عقد مجالس املاء بالمدرسة المنكوتورية المجاورة لمنزله الذي يقيم فيه وكان المستملى البوصيري تلميذه السالف الذكر (٦)

- (١) هو أن يجلس المحدث ويسمى المولى في المسجد او المدرسة يوما في الاسبوع والمستحب أن يكون يوم الجمعة ويكتب عنه التلاميذ ويتخذ وجلا منهم يبلغ عنه يسمى المستملى ... ويشترط فيه أن يكون معصلا يقطا ومهمته تفهيم السامع على بعد واذا فرغ المولى من الاملاء قابله وأتقنه والاملاء كما يقول علماء الحديث أعلى مراتب الرواية لانه أحد قسمي سماع لفظ الشيخ فانه يكون املاء وغيره وثقاو أرفسح الأقسام عقد المصنف وقد تحدث النووي في كتابه التقريب عن الاملاء وآداب مجالسة وما يجب على المولى والمستملى وكيف تفتح وكيف تختم الخ ..
- (٢) يراجع تاريخها في الفصل السابع بالمدارس والمساجد
- (٣) السخاوي الجواهر ص ٧٤١
- (٤) المصدر السابق ص ٧٤١
- (٥) هذه المدرسة تقع بحارة بهاء الدين من القاهرة بجوار باب الفتوح بناه الأمير سيف الدين منكوتر الحسامي وقد كملت عمارتها في صفر سنة ٦٩٨ وقسف عليها أوقافا كثيرة وجعل فيها خزانة كتب وحى من المدارس الحسنة كما يقول المقرئ في الشطط
- (٦) السخاوي الجواهر ص ٧٤٢

الاملاء بالخانقاه البيروسية (١)

وفي صفر سنة ٨٢٧ هـ عقد مجالس الاملاء بالخانقاه البيروسية وأُملئ بها مجالسه المطلقة التي لم يتقيد فيها بكتاب بل في الغالب يحرض على المناسبات في الأزمان والنواحي وكان المستمل تلميذه المحدث ابو النعيم رضوان الخقي (٢)

الاملاء بجامع بني أمية وحلب

وفي سنة ٨٣٦ هـ ستافر صاحب السلطان الأشرف الى آمد فأملئ بدمشق بمسجد المروم بها بمسجد بني أمية مجلسا حافلا حضره العلماء والقضاة والأعيان وكان المستمل سي برهان الدين المعجلوني ، كذلك أملئ بحلب ستة مجالس ابتدأها في رمضان وختمها في ذي القعدة من السنة المذكورة سنة ٨٣٦ هـ وكان المستمل القاضي نور الدين علي بن سالم المارديني (٣)

ثم لما رجع الى وطنه بعد رحلته مع الأشرف عقد مجالس الاملاء بالبيروسية ثانية وابتدأ ذلك في صفر سنة ٨٣٧ هـ (٤) ثم ترك ذلك ثم عاد اليه مرة ثالثة حتى ذي القعدة سنة ٨٥٢ هـ فابتدأ به الوعك وانقطع الاملاء واستمر ذلك حتى مات (٥) ومدة الاملاء بهما نحو من عشرين سنة (٦)

الاملاء بدار الحديث الكاملية (٧)

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٣٧ هـ عقد مجالس الاملاء بدار الحديث الكاملية بين القصرين وأنها هافت ربيع الثاني سنة ٨٥٢ هـ (٨)

- (١) يراجع تاريخها في الفصل الخامس بالمدارس والمساجد
- (٢) السخاوي الجواهر ص ٧٤٢
- (٣) المصدر السابق ص ٧٤٣
- (٤) المصدر السابق ص ٧٤٤
- (٥) المصدر السابق ص ٧٤٤
- (٦) ابو المحاسن المتهل الصافي ترجمة بن حجر
- (٧) هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة أنشأها الملك الناصر محمد سنة ٦٢٢ هـ ووقف عليها أوقافا كثيرة كما وقفها على المشتغلين بالحديث النبوي
- (٨) السخاوي الجواهر ص ٧٤٤

وقد بلغت جملة أماليه ألف مجلس تزيد قليلا أو تنقص قليلا يطليها من حفظه مهذبة محسرة
مقتنه كثيرة الفوائد الحديثة (١) كما كانت مجالس الملاء خاصة بالأئمة والعلماء والفضلاء
من الطلبة (٢) وقع فيها من الأبحاث والفوائد المبهمة والتكثف النفيسة ما يفوق الوصف وعليها
من الوفاق والهيبة ما لا يوجد في مجالس غيره من العلماء (٣) وقد نظم قبل موته بثلاث سنين
فيها أبياتا وذلك في شهر شعبان سنة ٨٤٩ هـ افتتحها بقوله

يقول راجي الله الخلق احمد من ألقى حديث نبي الحق متصلا

يقلوه تخريج أصل الفقه يتبعهم ——— تخريج أذكار رب قد دنا وظل (٤)

ومحمد ما تقدم لا سمعنا الا أن نسوق ما ذكره عنه معاصروه ومن أرخوا له من أن الله قد
أحيا به مشيخه سنة الاملاء بعد انقطاعه من دهر كثير (٥)

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | السقاوي البواهر ص ٧٤٥ |
| (٢) | المصدر السابق ص ٧٤٧ |
| (٣) | المصدر السابق ص ٧٤٨ |
| (٤) | السيوطي نظم العقيان ص ٥٠ |
| (٥) | المصدر السابق ص ٤٥ ، المناوي اليواقيت والدرر ص ٤ |

الفصل الرابع

تمهيد :

سنتناول في هذا الفصل مباحث متفرقة وهي على بعد ما بينها ينتظمها أنها جميعها ذات صلة وثيقة بابن حجر واليكم هذه المباحث .

البحث الأول : صفاته الخلقية

لقد خط المعاصرون لابن حجر صورة له واضحة الملامح محددة المعالم تدل على هيئته وسمته حتى ليكناد القارىء يراه متمثلاً أمام عينيه من دقة التصوير و مراعاة التعبير يقسول السفاوى " كان فوق السرممة أبيض اللون منور الصورة كث اللحية حسن الهيئة مليح الشكل صحيح السمع والبصر ثابت الأسنان نقيها صغير الفم قوي البنية خفيف المشيئة ذا رشاقة زائدة " (١) ويزيدنا صاحب المنهل الصافي في معجمه توضيحاً ملامحه وإبرازاً لصورته فيقول " كان ذا وجه صبيح وفي الرامة نحيف الجسم " اذا تحدث كان " فصيح اللسان شجي الصوت " محمد هذا فلملى أكون قد وفقت الى عرض صورة لابن حجر ليس عليهم اطلال تحول دون رؤية اى جانب من جوانبها . .

البحث الثانى : اخلاق ابن حجر

أما عن أخلاقه فقد كان " تاركاً ما لا يعنيه طارحاً للتكلف كثير الصمت الا لضرورة شديد الحياء لا يواجه أحداً بما يكره فاشياً للسلام " (٢) هذا " مع ماحتوى عليه من الحلم والسكون والسياسة ومداواة الناس مع الاحسان لمن أساء اليه " كما يقول صاحب المنهل الصافي ، كذلك كان ضابطاً للسانه لا يقع فى أحد وان جهل عليه (٣) كما ظم للشيطان صبورا

(١) السفاوى الجواهر والدرر عى ١٤٤٠ هـ ١٤٤١

(٢) المصدر السابق عى ١٤٤١

(٣) المصدر السابق عى ١٣٢١

على ما يعرض له من الحوادث البدنية والمالية لا يعلم أحدا بذلك (١) يخالف الناس
 ويصبر على أذاهم ويخالفهم بخلق حسن ويستجلب قلوبهم وموادتهم بليين الكلام ويستعبد
 رقب أحرارهم بالاحسان (٢) ثابت الجنان غير طائش القلب (٣) كريما جوادا والشواهد
 على هذا يعسر إحصاؤها واستقصاؤها وحسبنا في هذا المقام أن البرهان البقاي قد سأل
 "حدثني الشيخ تقي الدين المقرئ أنه شاهد به يرب وهو صبي أمرد المائتي درهم الفضة
 دفعه " (٤) ناشقه بخلق الله خصوصا طلبة العلم (٥) مع تواضع زائد (٦) وخشوف
 من الله تعالى ومحاسبة لنفسه (٧) ينسبط مع جلسائه خصوصا في أوقات الفراغ والتسنى
 حلوا النادرة لطيف الطبع اذا وقعت له الكلمة المستحسنه لا يكتف عنها ومن ذلك أنه جاءه
 سائل مرفع اليه قصة فكتب له عليها بقدر ثم جاءه بعد قليل بقصة أخرى غانا أنه يخفى عليه
 قرب مجيئه فكتب له بها مشيها :

اذا ماجئت جنى نخله فلا تقرنوها الى قابل (٨)

البحث الثالث : خبراته ومهاراته

لم يكن توفر صاحبنا - أحمد - وانصرافه الى طلب العلوم انصرافا غير مجزوء
 عائقا ولا حائلا بينه وبين أن يكتسب خبرات ببعض الشؤون الدنيوية لذا فقد كان وهذا
 على سبيل التمثيل " ذا بصر جيد بتفصيل الثياب " (٩) كما كان خبيرا بالتجارة ومن
 أجل ذلك " كان قليل الرغبة في العماره بل وفي شراء العقار " (١٠) لأن في ذلك تجميدا

-
- | | |
|------|------------------------------------|
| (١) | البقاي عنوان الزمان ص ٥٥ |
| (٢) | المصدر السابق ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ |
| (٣) | السقاوي الجواهر ص ١٣٥٣ |
| (٤) | عنوان الزمان ص ٤٧ |
| (٥) | الجواهر ص ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ الى ١٣٧١ |
| (٦) | الجواهر ص ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ |
| (٧) | المصدر السابق ص ١٤٣٢ |
| (٨) | المصدر السابق ص ١٣٩٦ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ |
| (٩) | المصدر السابق ص ١٤٤٦ |
| (١٠) | المصدر السابق ص ١٤٤٧ |

وتعطيلا للمال عن الداولة وادرار الربح الوفير أما حتى المهارات فقد كان لديه منها ما يندر ويميز وجوده وتوفره في غيره من ذوي رحمه في العلم .

وذلك كسرعة القراءة الحسنه يشهد لذلك أنه قرأ البخارى في عثورة بمجالس

من صلاة الظهر الى العصر ومسلم في خمسة . (١)

وأسرع شي . وقع له في ذلك أنه قرأ في رحلته الشاميه معجم الطبراني في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر وهو يشتمل على ألف وخمسمائة حديث (٢)

قال ابن طولون في أربعين الأربعين " هذا غاية في الاسراع " ويعلق بعض

الباحثين على ذلك فيقول " وما يبلغ هذا الحد من السرعة في القراءة يفوت الضبط ويقع

في التخليط . (٣) وينعن لاندرد بأكثر من أننا نقول أن سرعة القراءة أصبحت عنده مهارة

ملكه فلا يفوته شيء مما يقرؤه لفظا كان أو معنى ومن جهة أخرى فإن عدم الضبط والوقوع

في التخليط مما يستبعد وقوعه منه لأنه لم يكن جاهلا باللغة العربية وقواعدها وأساليبها

المتنوعه .

وفى هذا وذالك فان السخاوى تليذه وصف قراءته بالحسن (٤) وهو هذه

شهادة مؤرخ ماهر له فكيف يستساغ بعد ذلك أن يقال أن سرعة القراءة تؤدي به الى

عدم الضبط والوقوع في التخليط اللهم الا اذا كان هناك اتباع للجرى وميل الى حفظ النفس

كما كان من مهاراته " سرعة الكتابه مع حسنها " (٥)

يشهد لذلك أن السخاوى قال " سمعته يقول كنت أكتب في تلخيصاتهم يسب

المزى الى الزوال كراسا بالكامل (٦) ويذكر أبو المحاسن في المنهل النحاسي أنه

كان سريع الكتابه الا انه كان ردى الخط ويكفينا في الرد على أبي المحاسن وتفنيد ما ذهب

(١) - بن نهد لحظ الألفاظ ص ٣٣٦

(٢) - الفاس الذيل على التقييد ص ١٢٣ ب

(٣) - محمد زاهر الكوشى ناشر ص ٣٣٧ لحظ الألفاظ

(٤) - الجواهر ص ١٥٠

(٥) - الفاس الذيل على التقييد ص ١٢٣ ب

(٦) - الجواهر ص ١٥٨

إليه أن المؤرخين على كثرتهم لم يشر أحد منهم إلى رداة خرفه إلا أبو الحسن وهذا بالطبع - يدعونا إلى الشك في هذه الرواية بل ونرفضها لهذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البقاعي صرح بأنه "كتب الخط المنسوب الذي هو غاية في الرثاثة كأنه - سأل من الذهب وأجيز به" (١)

كذلك وصف النقي القاسي أيضا كتابته بالعسن. (٢) وأيضاً فإنه كان قد جرد أكتابه وأغنها على شيوخها والعارفين بها فوجد أولاً على نور الدين الدمشقي سنة ٧٨٠هـ ثم على شيخ الكتاب أبي علي محمد الرفقاوي المصري وعده على مكتب الوقت الزين عبد الرحمن الصايغ الذي كتب عنده يسيراً وأذن له في أن يكتب على طريقة الكتاب (٣) فهل بعد هذا كله يسهل لأبي الحسن أن يقول أنه كان رديء الخط والكتابة .

المبحث الرابع : عاداته الاجتماعية والدنيوية

وأما ما أثر عنه من عادات اجتماعية فقد كان "لا يتأنق في الرفيع من الثياب مسمع تقصيرها حسن العمة لطيف العذبة" (٤) كذلك كان لا يتأنق في الفاظه بل يعيب على من يقهر في كلامه وخير شاهد على ذلك أنه قال مرة لمن تكلم معه وأمعن في ذلك تكلم معي بالكلام المتعارف ولا تقهر" (٥) كذلك "لا يتأنق في مأكله ومشربه" (٦) مع شدة تحريره في ذلك وعده عن كل ما فيه تشبهة وبلغ به الأمر أنه إذا اضطر إلى حضور الولائم والمهرجات التي يغلب على أربابها عدم الشوق من المحرمات أنه يوهم ويتظاهر بالأكل على حين أنه يعطى هذا وذلك ويفرق ما أمامه عليهم بحيث يسر صاحب المهر ولا يدخل في جوفه شيء من ذلك (٧) .

(٢) الذيل على التقييد ص ١٢٢ ب

(٤) المصدر السابق ص ١٤٤٢

(٦) نفس المصدر ص ١٤٤١

(١) عنوان الزمان ص ٣٦

(٣) الجواهر ص ١٥٨

(٥) نفس المصدر ص ١٤٤٥

(٧) نفس المصدر ص ١٣٠٧ و ١٣١٢

كما كان لا يأكل من هدايا الاخوان ولا من مرتبات السلطان وكان اذا سافر صحبة السلطان يشتري أكلا من ماله الخاص على حين أن من معه من الرفقة يأكلون اللحم العرب لهم على مائدة السلطان (١) - وهذا بالطبع يدلنا على ورعه ووفره ديانتته - كما كان حريصا على شهود الجناز وعبادة المرضى خصوصا من له به صلة ومن لم يتيسر له أن يزوره تفقد به بشي من الدنيا (٢) فاذا ما تجاوزنا ذلك كله الى عاداته الدينية لوجدناه ملازما للتعبد لا يتركه سفرا ولا حضرا حتى انه لم ينقطع عن أدائه الا قبل موته بأربعة أيام كثير الصوم يفطر يوما يصوم يوما بعد أن كان يسرده ولعله قصد الناس بداود عليه السلام في ذلك (٣) تاليا للكتب الله كثيرا لذلك خصوصا في أوقات السفر ومعد صلاة الصبح مع تدبر وتأن وسكون ووقار (٤) كذلك أثر عنه انه كان يسفر بصلاة الصبح وسر القنوت مع تخفيفه جدا (٥)

المبحث الخامس : موقفه من الصوفية

لقد انتشر التصوف في هذا العصر وخر بعدد كبير من المتصوفة ويسندو من كتابات المؤرخين المعاصرين لصاحبنا - أحمد - أنه كان حسن الاعتقاد فسي الصالحين ومن ثبت عنده انجوا به وظهرت مكاشفاته من هؤلاء المتصوفة كما كان شديد الرغبة والميل لمن لم يخرج منهم عن الكتب والسنة وقد أدى به ذلك الى انه كان يزور جماعة منهم ويبرهم من وقت لآخر وخير شاهد على انه كان يودهم ويحبهم وينجذب اليهم تقديره واجلاله لرجل من بين هؤلاء المتصوفة كان يحضر مجلسا املائه ولم يبد عليه اعتراضا وبلغ به الأمر أن أنشد هذا الصوفي مرة شعرا فقال لابن فهد تلميذه أكتب عن هذا (٦)

- | | |
|-------|-------------------------------|
| { ١ } | عنوان الزمان ص ٥٥ |
| { ٢ } | الحجوة ص ١٤٢٥ |
| { ٣ } | المصدر السابق ص ١٤٢٣ و ص ١٤٢٤ |
| { ٤ } | نفس المصدر ص ١٤٢٤ |
| { ٥ } | نفس المصدر ص ١٣٠٦ |
| { ٦ } | نفس المصدر ص ١٤٢٦ و ١٤٢٧ |

الا أنه مع هذا كان شديد الانكار على من يدعى التصوف ولا تجذب من مكشوفى السموات
 المتضمخين فى النجاسات المتلذذين بالشهوات ممن لم يعلم صلاحه قبل هذه الحالات
 (١) يقول " نص أهل العرفان من علماء الشأن على أن مكان قبل طرو مثل هذا على الكتاب
 والسنه فهو وارد ربانى والا فهو شيطانى (٢) ولا يفوتنا ونحن ما زلنا بصدد الكلام على
 الصوفية وموقفه منهم أن نشير الى أنه قد روى أن وقعت له مع أحدهم وهو سيدى محمد بن
 أحمد الفرغى دفين أبوتيج وأحد الصوفية المعتقدين نادرة تلخص فى أن ابن حجر — مر
 عليه فى الرملة تحت القلعة والخلق يقبلون يديه ورجليه فأنكر عليهم وقال ما اتخذ الله من ^{مولى}
 جاهل فقال له قف يا قاضى القضاة فتسمرت به البغلة فعصار يغمره على وجهه ويقول أتخذنى
 وعلمنى ثم أطلقه فعزله السلطان فى يومه (٣) ويسوق الشمرانى هذه الحادثة فى طبقاته
 (٤) ولكنه يذكر أنه حينما مر عليه بمصر قال فى سره مقكرا ولم ينطق بشئ كما جاء فى الرواية
 الأولى وسواء كان هذا أو ذاك فإننا نميل الى رفض هاتين الروایتين ولن نجزم بصدقهما
 لما يأتى

أولا — أن الروایتين مختلفتان فى الطريقة التى اعترف بها ابن حجر على ابن فرغى —
 فاحداهما تذكر أنه أنكر ذلك فى سره والاخرى تصرح بأنه نطق بذلك واختلافهما
 فى هذا من شأنه يجعلنا نشك فى صحتهما ^{وحدق} تلك الحادثة الطرفية
 ثانيا — إن هذه الواقعة لم يشر اليها أحد من الذين أرخوا لابن حجر على كثرتهم ولو
 كانت لذكروها ولم توجد الا فى كتب طبقات الصوفية الذين أقرم أهلها وهاموا بكل
 ما من شأنه أن يرفع قيمة الصوفى ومثبت له كرامات وهذا أدنى بالطبع الى أن يشتوا
 كثيرا من الأخبار التى لم يتحققوا صدقها

ثالثا — ان هذه الحادثة بعينها تشبه تماما تلك الحادثة التى تروى عن الشمرانى نفسه
 — أحد أصحاب كتب الطبقات — مع شيخه سيدى على الخواصر فإنه كان يحترق

(١) الجواهر ١٤٢٨ ١٤٢٩

(٢) نفس المصدر ١٤٢٩

(٣) المناوى — الكواكب الدرية فى تراجم الأئمة الصوفية ص ٣٣٨ ب ٥ ص ٣٣٩ مخطوط

(٤) طبقات الشمرانى المسماة بلواقح الأنوار ١٤٣

عليه بقوله ما اتخذ الله من ولي جاهل فمهل جمع بين الحادثتين محض الصدفة وهذا مستبعد
طبعاً وتكرر حادثتين متشابهتين تماماً على بعد ما بينهما من الزمن يدعونا الى التشكيك على
الأقل في احدهما والأقرب أن حادثة ابن حجر هي الجديرة بأن نتشكك فيها لأنها لـم
تستفرض على الألسنة ولم تشتهر بين الناس شهرة حادثة الشعراني مع شيخه الخواص
رابعاً — أنه أثر عن ابن حجر أنه كان يكرم الصوفية ويجلهم وحصلت له منهم بركات ونفحات فكيف
يعترض على أحدهم ممن ثبت له — أنه منهم •

خامساً — الشعراني لم يولد إلا بعد وفاة ابن حجر بسنين (١) مطاولة فكيف وصلت اليه
أخبار تلك الواقعة علماً بأن كتب التراجم التي أرخت لابن حجر لم تشر الى شيء منها • فمن
أين أتى الشعراني بذلك وما يقال في حق الشعراني يقال في حق المناوي لأنه متأخرون عنه
ولم توجد كتب طبقات قبلهما تهتم بالصوفية إلا طبقات السلمي وهو متقدم جداً على ابن حجر

البحث السادس : منزلته عند السلاطين وموقفه منهم ومن الحياة العامة

سبق أن قلنا — أن صاحبنا — أحمد — قد شغل كثيراً من الوظائف السامية والمراكز

المرموقة في الدولة المملوكية •

وهذا بالطبع قد أتاح له فرصاً طيبة للاتصال بالسلاطين ومخاطبتهم والتردد على مجالسهم
التي لم يكن يغشاها إلا من أتى بسطة في العلم ورفعة في المنزلة •

ولقد كان هؤلاء السلاطين يكونون له كل احترام وحب وتقدير يقول السخاوي متحدثاً عن ذلك

كان " ذا حظوة ومكانة عند المؤيد لما عرفه من علمة ودينه وفقهه " (٢)
بلغ من حب الظاهر طاهر له ووثوقه به ومنزلته عنده أنه كان يسر اليه بدقائق أمره وخفي مكنياته
التي لم يكن ليطلع عليها أحداً سواه فمثلاً أسر اليه " أنه قبل أن يتسلطن في أوخر الد ولـه

(١) ولد سنة ٨٩٨ هـ

(٢) الجواهر ص ٨٥٤

المؤيدية في الليلة التي مات في صبيحتها المؤيد ضاقت يده لكثرة مصروفه وقلة ماله
حتى أن شخصا قدم اليه مأكولا فأراد مكافأته عليه فلم يجد في حاصله خمسة دنانير حتى
أرسل يقترضها من بعض خواصه فكلهم إلا واحدا يحلف أنه لا يقدر عليها (١) غير أن
حب السلاطين له وتقديرهم إياه لم يكن ليفعل عينيه عن الحق وحول بينه وبين الوقوف
في وجههم والإنكار عليهم إذا رأى منهم حيدة عن الصواب وهذا عن الحق احقاقا للحق
وأزهاقا للباطل وتقديما لحق الله تعالى على حق السلاطين وما موقفه في وجهه -
برسبای - مع التجار حتى أزاح الظلم عنهم عنا ببعيد (٢) على أن منزلته العامية
والاجتماعية وكخطوته لدى السلاطين كل ذلك لم يكن ليحمله يعيش في برج عاجي
بعيدا عن الحياة العامة بل نراه يسايرها ويماشيها ويتبع أحداثها الهامة ويشترك
فيها .

يشهد لذلك أنه لما مات الأشرف برسبای وقعت الفتنة بين مماليكه والأتابكي جقق سنة
٨٤٢ هـ (٣)

حتى كاد نظام الأمن يختل وأوشك عقد السلطنة أن ينفطرط أساس الأمر بحكمه وعزم
" واستفرغ في اصلاح ذات البين جهده وثبت أساس الأمن بعد اختلاله وهم شمل
المسلمين بعد انحلاله (٤) وعلى بذلك على الفتنة الرعناء التي كادت تؤدي بهطلة
الدولة العامة .

البحث السابع : - قيمة الوقت في نظره وكيف كان يقضيه

لئن كان الوقت من ذهب " كما يقولون فإنه عندنا - أحمد - أغلى وأثمن
من ذلك إذ هو حياته التي يحياها وعمره الذي يميشه .
لذا فقد حرص كل الحرص على أن لا يضيع منه برهة أو يترك لحظه تذهب سدى دون
أن يباشر فيها عملا نافعا يشهد لذلك " أنه ذهب مرة الى مدرسة محمود - التي

- ٨٥٤
(١) الجواهر ص ٨٥٤
(٢) المصدر السابق ص ٢٢
(٣) بن اياس ج ٢ ص ٢٢
(٤) عنوان الزمان ص ٤٨

كان أميناً لمكتبتها ... ليكشف عن شيء فلما وصل تذاكر أنه نسي الاقتراح فأرسله من يحضر
نجاراً ليفتح فقام يتنقل بالصلاة (١)

ولم يلبث الأمر في ذلك أنه حتى في مجلس ضيفانه كان لا يترك الكتابة ولا يدعها جانباً "وربما
التمس منه أكابر أصحابه البطالة حينئذ فيقول ما تأخذه ذلك إلا محاد ثتم ومشاركتم حسي
جميع ما أنتم فيه فان قدتم مني شيئاً من ذلك تركت ما أنا فيه فلم يفوتهم شيء من أمسه" (٢)
هذه هي قيمة الوقت عنده أما كيف كان يقضيه فيتضح من كلام تلميذه السخاوي أنه كان يعقد
للطلبة يوماً ثلاثة مجالس علمية للقراءة والذاكرة والمباحثة ، أحدهما بعد صلاة الضحى
وينتهي قبيل صلاة الظهر والثاني بعد صلاة العصر وينتهي قبيل الغروب والثالث حينئذ
المجلسين كان يكتب على الفتاوى الحديثية والفقهية ، والثالث بعد أذان المساء وقبل
صلاتها ويستمر قدر ساعة (٣) .

كذلك كان يجهل للتصنيف مجلسين أحدهما بعد صلاة الصبح والفراغ من أذكارها وتلاوة
القرآن ان لم يشتغل بالأذكار ويفرغ منه وقت صلاة الضحى . والثاني بعد صلاة الظهر
وينتهي بعد أذان العصر بنحو ثلث ساعة يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً (٤) وهذا هو الغالب
وقد يختل هذا النظام خلال شهر رمضان وأيام توليته القضاء (٥)

وماعدا ذلك فهو لقضاء حوائجه الدنيوية من أكل وشرب ونوم وما يشتغل به من أذكار وتلاوة
وتعبد ومن أراد تفصيلاً فليراجع (٦)

والجملة فأوقات جلها "مستحونة بالعبادة إما بالعلم أو الصلاة أو التلاوة أو الذكر" (٧)
وقد يخفف عنه ما يلحقه من نصب وتعب بسبب ذلك أنه "جعل نصب عينيه أن يحفظ هذه الدنيا
دار ليس فيها راحة" (٨) على أنه في بعض الأحيان كان يرفع عن نفسه كي يزيل عنها ما قد
يلحقها من سأم أو ملالة ويقوم ببعض الرحلات إلى الأماكن الخلوية للتنزه وزيارة بعض الآثار
كالأهرام (٩) ، كذلك كان في القليل النادر يلعب الشطرنج مع بعض أصدقاءه والمقربين
إليه بعيداً عن أعين الناس من أجل هذا الغرض (١٠)

- (١) عنوان الزمان ص ٤٩ (٢) المصدر السابق ص ٤٩
(٣) الجواهر ص ١٤٣٥ و ١٤٣٦ (٤) المصدر السابق ص ١٤٣٣ و ١٤٣٤
(٥) نفس المصدر ص ١٤٣٥ و ١٤٣٦ (٦) نفس المصدر ص ١٤٣٤ إلى ص ١٤٣٧
(٧) نفس المصدر ص ١٤٣٩ (٨) عنوان الزمان ص ٤٩
(٩) المصدر السابق ص ٥٦ ويراجع أيضاً الجواهر ص ١٠٤٢ (١٠) الجواهر ص ١٣٩٦

البحث الثامن : عقيدة ابن حجر

لقد اقتفى المالكية أثر الأبيمين في القضاة على المذهب الشيعي وكل من نحلة أو مخالفة المذهب السني حتى صارت له السيادة وأعصى المذهب انزعاج المسلمون وابن حجر كما هو معلوم من تاريخه ، قد عاشر في خاتمة هذا العصر فلا عجب ان أنشأ على هذا المذهب وتغذى بلبائنه وكان عقيدته التي يستمسك بها ويدافع عنها منافع وليس هذا عن تقليد بل بعد أن درس قواعد وأصوله وثبت لديه صحته واشتهر ذلك عنه فيما بعد ومع هذا فان الجمال ابن عبد الرهمن قال في الرياض الباقية عند ترجمته لابن حجر انه " كان مجابا للشيخ تقي الدين تيمية معظما له جاريا في أصول الدين على قاعدة الحديثين " (١) وقد رد الشيخ زاهد الكوثري على هذا بقوله " لم يكن - أبا ابن حجر - من يسائر ابن تيمية في مفرداته حتما بل رأيه فيه ما قاله ... إن الواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من السنة من يوثق به من أهل النقل فيفرز من ذلك ما يكثر فليحذر منه على قصد التصحيح ويغني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء " (٢) ، ونحن اذا ما طالعنا ترجمة ابن تيمية في الدرر الكامنة لابن حجر لوجدناه يقول عنه " إن كل رجل يؤخذ من قوله ويترك " (٣) واننا لنسأل هل قال ابن حجر بمثل مقالة ابن تيمية حتى يكون من أتباعه امثال ذلك لا يقتصر عنه ولكن التاريخ لم يثبت عنه شيئا من هذا

وفوق هذا كله فان من يطالع كلام ابن حجر في كتاب الإيمان والتوحيد من فستح الباري وتقريره لمذهب أهل السنة أحسن تقرير والرد على مخالفها تبين له بوضوح وجلاء عقيدته .

(١) أهل الحديث يقولون ان الإيمان قول وعمل وهذا مخالف لمذهب أهل السنة

(٢) لاحظ الألفاظ ص ٣٣٨ هامش رقم ٣

(٣) ج ١ ص ١٥٨

المبحث التاسع : ألقابه العلمية

لقد طُوف - ابن حجر - في آفاق المعرفة والعلم ما طُوف وطُوف في سماء فنونيه كل مطار وخاصة فن الحديث الذي عكف عليه سنين طويلة حتى "انتهت إليه معرفته" (١) وصار "إمام زمانه فيه" (٢)

الألقاب

لذا فقد خلع عليه محاصروه - عن جدارة واستحقاق - الألقاب تدل على التكريم والتبجيل وسمو منزلته العلمية والأدبية وعلو كعبه في فن الحديث خصوصا ، فمن هذه الألقاب : -

أولا : أمير المؤمنين

لقد ذكر صاحب هدية المغيث ما خُلفه غيره من الألقاب على ابن حجر حيث قال :
ونجل علان المحقق ذكر ٠٠ من أمراء المؤمنين ابن حجر (٣)

ثانيا : الحافظ

لقد أصبح كما يقول الشوكاني "إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع" (٤)

ثالثا : شيخ الإسلام

يقول السخاوي شيخ الإسلام لقب به جماعة منهم "التقي أبو العباس وأحمد بن تيمية والشهاب أحمد بن علي بن حجر" (٥)

ومجدربنا أن نشير إلى أن إطلاق هذين اللقبين في زمنه لا ينصرفان إلا إليه (٦)

(١) الفزى "بهجة الناظرين" ص ١٦٤

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) الشنقيطى "هدية المغيث" ص ٨

(٤) البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨

(٥) الألقاب والكنى والنسبة ص ٨٨

(٦) السخاوي "الجواهر والدرر" ص ١٤

المبحث الحاشي : تقدير علماء عصره له

لقد كان - ابن حجر - موضع تقدير علماء عصره وأهلا لتكريمهم وتبجيلهم بفضل ما أوتي من بسطة في العلم والمعرفة وما أصهم به من مؤلفات في تراث الانسانية .
ونحن اذا ما ذهبنا لنحصى كل ما أثنوا به عليه وما قالوه في حقه مما يدل على رسخ قدمه في كثير من فنون العلم والمعرفة وشهد لسمو منزلته العلمية بين علماء عصره لضايق بنا المقام .
لذا سوف نكتفي بإيراد ما ينمض دليلا على ذلك من أقوال العلماء المعاصرين له ومن جاء بعدهم . .
ولنبدأ بما قاله شيخه العراقي وقد سئل قبيل وفاته من تخلف من بعده فقال " في الشيخ شهاب الدين نقاية " (١) .

قرأ ابن حجر على شيخه سراج الدين البلقيني حديثا في سنده تمام فقال له الشيخ من تمام هذا فقال ابن حجر هو محمد بن غالب وتمام لقبه وهو في كتب شيخنا فرجع البلقيني اليها فوجده كما قال . عند ذلك اعترف له بالفضل وقال " يا شيخ شهاب اقرأ فقد أقررنا لك " (٢) .
وعلق جلال الدين ابن سراج الدين على ذلك مخاطبا والده بقوله " عالم فلا تمتحنه بعدها " (٣) .
وقال تاج الدين ابن الخرازمي " ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه " (٤) .
وقال أيضا " وعندى أنه ما ولي قضاء الشافعية بعد ابن دقيق العيد أعلم منه " (٥) .
وقال المجد اسماعيل البرماوي " بموته تموت الشريعة " (٦) .
وقال تقي الدين القفطشندي " حجة الله على العباد " (٧) .
وقال جلال الدين السيوطي " أن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة المزي والذهبي والعراقي وابن حجر " (٨) .

وقال أيضا " قد أغلق بعده الباب وختم به في هذا الشأن " (٩) .
وقال البدر البشتكي " لله دره من شاعر ما أعلمه ولا أعلم ما أشعره " (١٠) .

- | | | | |
|-------|--------------------------------|--------|------------------------------------|
| (١) | السخاوي - الجواهر والدرر ص ٢٩٤ | (٢) | المصدر السابق ص ٢٨٦ |
| (٣) | ابن حجر المجمع المؤسوس ص ٢٢٠ | (٤) | البرهان البرقاعي عنوان الزمان ص ٣٩ |
| (٥) | السخاوي الجواهر والدرر ص ٣٢١ | (٦) | المصدر السابق ص ٣٢٥ |
| (٧) | المصدر السابق ص ٣٧٢ | (٨) | السيوطي ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤٨ |
| (٩) | المصدر السابق ترجمة ابن حجر | (١٠) | السخاوي الجواهر والدرر ص ٣٢١ |

ومع هذا التقدير من العلماء فقد كان متوافقا يعيل الى عدم نفسه يدلنا على ذلك ان بعض أصحابه سألته أنت أحفظ أم الذهبي فسكت وهذا منه تواضع لأنه مشرب ماء زمزم مرتين مرة لينال مرتبة الذهبي فبلغها ومرة لينال رتبة أعلى من ذلك فسيرها الله له (١) . كما يشهد لذلك أيضا أن تفرج برمش الفقيه سألته "أرأيت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٢) . وعلق السخاوي على ذلك فيقول وأفرج جواب شيخنا أنه لم ير مثل نفسه والا لكان يقبول رأيت فلانا وما أشبهه (٣) .

المبحث الحادي عشر : مرضه وفاته

بعد حياة طويلة حافلة بالأعمال العظيمة والآثار الجليلة وعمر امتد قرابة ثمانين عاما تقلب خلاله في مختلف المناصب الهامة والمراكز المرموقة في الدولة ومهد أن تسدج في سلم الرقي وارتقى في معارج المجد العلمي والأدبي حتى أصبح في قمته لا ينازعه فيه بل ولا يدانيه أحد بلغ كتابه أجله ، وباءه النذير ووفاه حمامه بعد مرض امتد أكثر من شهر حصل له منه اسهال مبع روى دم وذلك ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ (٤) - ولكل شيء إذا ما تم نقصان - بحزنه بمحارة بهاء الدين قرب بلب القنطرة بالقاهرة ومحل تابوته الى مصلى المؤمنين بالرميلة تحت القلعة . وتلقى السلطان جنازته ليشهد الصلاة عليه ورام قاضي القضاء علم الدين الباقلاني الصلاة عليه اما فأعزاه السلطان وأدار الى أمير المؤمنين الخليفة العباسي بالتقدم وقال انسه قال هو أمير المؤمنين وأنت أمير المؤمنين فصل بالناس عليه . ومهد الصلاة عليه مشي أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان والقضاة والأمرء والعلماء في جنازته ويقال أن بعض الأذكياء قدر من مشي في الجنازة أكثر من خمسين ألف انسان ، وتحدث كثير من الصالحاء وأرباب الأخوان بشهود الفخر وغيره جنازته (٥) .

(١) البهائم ص ١٥٦ (٢) ذيل رفع الإصر ص ٩٢ (٣) الجواهر ص ١٥٥
(٤) ويشير ابن أبي شير في بدائع الزهر الى أن وفاته كانت في سنة ٨٥٤ حيث ذكره في حواشيها وهذا خطأ بين لما نقلته لاجتماع المؤرخين
(٥) الغزالي "بهيجة الناظرين" ص ١٦٥

ودفن بالقرافة الصغرى بترية بني المغرمين بين مقام الامام الشافعي وسيدى مسلم المصطفى
مقابلة جامع الديلمي والسرويتين قريبا من الليث بن سعد .

وكان موته مصيبة يالها من مصيبة نزلت بالمسلمين وظل الناس يحمد دفته أياما يتنامون قبره
ويدعون عنده ويتضرعون ويغثون ما شاء الله لهم من العتبات (١)
وشوي ذلك الدالم الجهمي في جدته وأضحى رفاتا الا أن روحه وذكره المطر لا تزال شالدة
بخلود مؤلفاته باقية ببقاء كتبه ومصنفاته .

ومن الشريب غروب شمس في الشرى
ونيناؤها باق على الأسماء

البحث الثاني عشر : وصية ابن حجر

ما كان لشيخ الاسلام وحافظ سنة سيد الأنام أن يطالع حديث رسول الله " صلى
الله عليه وسلم " (مساحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتومة
عنده) (٢) ثم لا يعمل به ولا يستجيب له .

لذا فقد عهد وصايا كلمها في أبواب الخير وسائر القربات وسوف نورد احداها لتتكون
شاهدا على أنه أحصى سنة الرسول " صلى الله عليه وسلم " عملا كما أحياها قولاً ومضمونها
كما ذكره السخاوي " أنه أوصى في مختلف جهات البر والأقارب وبين الودائع وأصحابها
كما أوصى بالاعطاء لكل من يستحق ولطلبة العلم المشتغلين بالحديث النبوي وهم مسنون
تلاميذته " ثم ذكر السخاوي قوله بعد ذلك " وجميع ما أقررت به يخرج من رأس المال
وما أوصيت به يخرج من ثمن الفلفل الذي بالاسكندرية ومصر وان كان لا يوفى ذلك فليكمل من
سائر التملكات (٣)

(١) يراجع القلائد الجوهريه ص ١٤٥ و الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا

(٣) السخاوي " الجواهر والدرر " ص ١٦٢١ و ١٦٢٣ و ١٦٢٥

المبحث الثالث عشر : رثاء ابن حجر

لقد كان ابن حجر علما بين علما عصره عن راية نشر السنة والدفاع عنها زمننا طويلا فلا عجب أن كان لفقده أثر في النفوس وصدع في القلوب خصوصا عند ألباقه وتلامذته الذين تعشقوه وهاموا به فانطلقت المستنهم لتترجم وتمبر عما في نفوسهم من أسسى وما في قلوبهم من لوعة وحزن على فراقه نشر كان هذا التعبير أو شعرا ولذا فقد كثر عدد الذين أنشدوا القصائد في رثائه وهذا الرثاء يمبر عن الماطنة المادقة والتقدير العظيم لشيخ الاسلام وحافظ العصر فمن ذلك قصيدة تلميذه البقاعي التي مطلعها :

رزء ألم فقلت الدهر في وهج وأغل الناس منسوب الى الهج

وللميون انه مال كالعيون بقاء وكفى نوح به عال من اللجج

يا واحد العصر يا من لا نظير له اذ كل شخص من الأمثال في لجج

وقال : قاضي القضاة المندي ابن حجر من خلقه ليس في شيء من الحرج

وهي قصيدة تبلغ أربعين بيتا كلها مدح وثناء كما ذكر فيها صفاته وألقابه ومعارفه ومجالس أملائه وغير ذلك (١)

ومنهم أيضا الشهاب الحجازي الذي أنشد قصيدة مطلعها :

كل البرية للمنية صائرة وتقولها شيئا فشيئا سائرة

والنفوس ان رضيت بذارحت وان لم ترض كانت عند ذلك مناسرة

وقال وهو شيخ الاسلام المعظم قدره من كان أوجد عصره والنادرة

قاضي القضاة المسقلاني الذي لم ترفع الدنيا نصيبا ناظره

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها محاسنة ومناصبه وصفاته الخلقية وعلومه الى غير ذلك (٢)

ومنهم شاعر العصر الشهاب المنصوري وكان قد حضر جنازته فأمرت السماء على نهمسه

ولم يكن وقت مطر فأنشد يومئذ قصيدة مطلعها :

قد بكت السحب على قاضي القضاة بالمطر

وانهدم الركن الذي كان مشيدا من حجر (٣)

(١) الجواهر ص ١٦٦٢ و ١٦٦٣ (٢) ابن فهد "لغة الألفاظ" ص ٣٣٩

(٣) السيوطي "حسن المحاضرة" ج ١ ص ١٥٣

ومنهم أيضا عبد الرحمن بن علي النقاش الأصم قال قصيدة مالمعها :

قفا نبعك بالقاموس الغامض الرجل والعريسات بجاء الذبيح والمطر

مذكرا لك بالأذكار ذا أسف على المحاهد والروعات والأثر

على رباع خلا درس الحديث بها والريح عاف ومحتاج إلى الحجر (١)

وهي قصيدة تقارب خمسين بيتا في فضائله ووظائفه ودروسه ووفاته وغير ذلك .

ولو ذهبنا نحصى هذه المراثي لشاق بنا المقام فانها لكثرتها يتعذر احصاؤها

واستقصاؤها لذا فقد آثرنا أن نقتصر على القدر الذي ذكرناه فيه الكفاية ولله الحمد والمنة

في البداية والنهاية .

فرحم الله حافظ العصر وأمير المؤمنين الذي كرس حياته ووهب نفسه لنشر سنة

سيد المرسلين ودحض شبهة المفتريين .

الفصل الخامس

شيوخه وأثره وتأثيره

تصحيحه :

لقد تلقى ابن حجر علومه الأولية على مشايخها وأساتذتها الذين تخصصوا فيها فحفظ القرآن الكريم في المكتب وجوده على شيوخه وقرأ النقه والأدب والتاريخ وغير ذلك على من تخصصوا فيها أيضا ولقد كان هناك عامل له أكبر الأثر في حياته منذ صغره وهو عناية وصيه زكي الدين الخرومي بتربيته ودرسه على تعليمه حيث كان يحضر له مدرسين خصوصيين يلقنونه ويعلمونه كما كان يصحبه معه في أسفاره ومجالاته وسمعه الكثير من كتب السنة ودواوينها مثل البخاري على مشايخها ومن نبغوا فيها ومحدثا المروخون أنه سمع بمكة أثناء مجاورته وهو حدث — مع وصيه الخرومي السالف الذكر — صحيح البخاري على شيخ الحديث الحنيف النشاري كذلك بحث في عدة الأحكام لعبد النبي المقدسي على جمال الدين بن تلمسبيرة في هذه الرحلة وسمعه بمصر بعد ذلك على عبد الرحيم بن رزين وغيره من علماء الحديث بمصر ثم لما شب عن الطوق اتصل بالعلماء والمشايع وتردد عليهم وتلقى عن كل شيخ من شيوخ مصر والقاهرة أبرز ما تخصصوا فيه وطلب بنفسه قراءة وسماعا من أناس كثيرين .

الا أنه كان حريصا كل الحرص على أن يأخذ من الشيخ ما لا يؤخذ الا بالسماع — ولا الحديث — لتستند رواية الحديث إلى من قرأه عليه أو سمعه منه ، فمن هم هؤلاء الشيخ اذن ؟

المبحث الأول : شيوخه

لقد أخذ ابن حجر عن شيخ كثيرين عددهم المروخون بأربعمئة وأربعين نفسا بالاجازة والسماع وفي اصطلاح المحدثين يعتبر كل واحد من هؤلاء شيئا له غير أن أقصد بالشيخ في هذا الصدد " أولئك الذين كان له بهم فضل اختصاص وطول مزاولة يمكن أن أجد أثرها في شخصيته العقلية " (١)

(١) شوقي خضر — الحافظ الذهبي ص ٥٥

ولذلك سوف أنتقى من هؤلاء الشيخ أبرزهم وأوضحهم أثرا فيه لنكتب عنهم كلمات مجملة
توضح لنا عن درجة اتصاله بهم ومدى تأثيره بشخصياتهم وسوف نذكرهم مرتبين على حروف
المعجم مع توضيح ما أخذ عنهم — بن حجر — فنقول والله التوفيق :

التنوخى

ابراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلى الأصل الدمشقى نزىل
القاهرة برهان الدين الشافى وقد نسب به بعضهم الأقربى لأقامته بجامع الأقمر دحرا طويلا
الى أن مات ، ولد بدمشق سنة ٧٠٩ وتفق عليه شيوخها ورجل الى ما وراء حلب
والقاهرة والاستدريّة وتفق به شايخ هذه البلاد وسمع فى غضون ذلك إلا أنه عنى بالقراءات
خلال إقامته بالقاهرة ، ثم رجع الى دمشق وحدث بها بالأربعين المتباينة بشرط السماع
ثم رحل عنها الى القاهرة وحدث فيها بالكثير غير أنه تصمس فى أواخر عمره الى أن اجتمعت
به وخرجت له المائة المشارية ففرج بها وانبط فى التحديث ، وكان معظما عند العلماء حتى
أن العراقى كان يمتنع عن التحديث بما هو من عوالمه ويحيل عليه فى ذلك .

لازمته زيادة على ثلاث سنين ووصلت عليه بالأجازة شيئا كثيرا ، قرأت عليه المسائل بالأولية
بسماعه بشرطة على المبدوى ، قرأت عليه أول القرآن الى قوله " الفلاحون " فى البقرة
جامعا للقراءات السبع قرأت عليه الشاطبية تامة وقرأت عليه خلاصة الألفية فى المربعية
نظم عبد الله بن مالك وسمعت عليه صحيح البخارى وقرأت عليه الموجود من مسند محمد
ابن حميد بن نصر الكشى و قرأت عليه الجامع لأبى عيسى الترمذى ، وقرأت عليه جميع
السنن للنسائى ، وقرأت عليه أحاديث صحيح أبى حاتم بن حبان البستى والموطأ لمالك
وقرأت عليه المعجم لأبى بكر أحمد بن ابراهيم الأسطعلى وتلپ اختلاف الحديث للإمام الدانقى
كما سمعت عليه قطعة من الأذكار للنووى وشيئا من صحيح مسلم كذلك قرأت عليه المحدث الناصل
بين الراوى والواعى للرائى رمزى وغير ذلك من المشيخات والأمالى والأجزاء .

مات فى ثامن جمادى الأولى سنة ٨٠٨ هـ ونزل أهل مصر بموته درجة (١)

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٤ و ٥ و ٦ الى ١١

المسراقي

هو عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل المسراقي زين الدين الحافظ شيخنا ولد في جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ بجنشأة المهراني بين مصر والقاهرة وأسمع على كثير من مشايخ عصره مثل تقي الدين الاخشائي والنجاشي ، اشتغل بسائر العلوم وأحب الحديث وتنبه له عز الدين بن جماعة لما رأى من حرصه على الحديث وجمعه على طريقة أهله فحبب له ذلك وأكب عليه من سنة ٧٥٢ هـ ورحل في طلبه إلى بلاد كثيرة وتخرج به شيخ لا يعصى عددهم وتقدم في فن الحديث بحيث كان شيخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة كالسيكي وابن جماعة وتوفل فيه حتى صار لا يحرف إلا به وانصرفت أوقاته فيه ألف كتيبا من الكتب قرأته كلها عليه وأملى ما ينيف على أربع مائة مجلس استلمت عليه بعضها لازمته في شهر رمضان سنة ٧٩٦ هـ إلى أن حججت في شوال سنة ٨٠٥ هـ سوى ما تعلق ذلك من سفراتي السرى الشام وغيرها اجتمعت بمكة في رمضان سنة ٧٩٦ هـ وحدثني من لفظه بالأولية بسماعة من أبي الفتح السبيعي ثم قرأت عليه كتاب الأربعين العشارية من جمعه وقرأت عليه مسند محمد بن محمد أبي عمر العدني وكتاب القراءة نلف الامام البخاري ومن أول كتاب السنن الكبير للبيهقي إلى باب جهر الامام بالثلاثين وكتاب رفع اليدين في الصلاة للبخاري وقطعة من حلية الأولياء لأبي نعيم وكتاب الشمائل لأبي عيسى الترمذي وغير ذلك من الأجزاء والأحاديث والأمالى وقرأت عليه الادب والسابع من أمالي أبي القاسم هبة الله بن الحسين وفوائد أبي القاسم تمام بن أبي الحسين بن عبد الله الرازي في ثلاثين جزءا ، وقرأت عليه كتاب المحبين مع المحبين لأبي نعيم يشتمل على طرق حديث المرء مع من أحب ، وقرأت عليه كتاب الرحلة للخطيب ، وسمعت عليه جزءا من حديث شبيب بن منبه من مسند الامام أحمد والجزء من انتقاء الحافظ المزى وقرأت عليه جزءا من أمالي أبي عمرو محمد بن عثمان وسمعت عليه مجلس الختم من صحيح مسلم ، وقرأت عليه جزءا من فضائل أبي بكر الصديق من حديث أبي طالب العشاري ، وقرأت عليه قطعة من أبي عوانه ، وسمعت عليه مجلس التتم من البخاري ومواقع متفرقة منه بعضها بقراءتي والمجلس الأخير من سنن أبي داود وثانست لي مراجعات مع الشيخ كثيرة . مات سنة ٨٠٦ هـ . (١)

(١) ابن حجر "المجمع المؤيد" ص ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٠ و ١٩٢

ابن الشيعة

هو عبد الله بن أحمد بن المبارك بن حماد الفزاري الأديب المعروف بابن الشيعة ولد سنة ٧١٥ هـ وكان له اشتغال بعدة علوم وعلى ذهنه أشياء حسنة وكان مشغولاً بالصالح والديانة محباً في الاسماع صبراً على الطلبة وكانت له خصوصية بأبي قنبر بعد ذلك يبالغ في اكرامه وأول ما عرفته سنة ٧٧٩ هـ بعد موت أبي وأنا في الكتاب وسمعت عليه الحديث في سنة ٧٩٢ هـ سمعت عليه جزءاً انتقاء أبو زرعة ابن شيبان العراقي ثم لم يزل يقرأ عليه من سنة ٧٩٦ هـ إلى أن مات قرأت عليه الجزء الثامن من أمالي المعاملين وجزءاً لا يفا فيه أحاديث من رواية أبي أحمد القرضي وغير ذلك من الأجزاء العسان وقرأت عليه جميع المستخرج لأبي نعيم الأصبهاني على صحيح مسلم ومسند أبي داود الطيالسي والجزء الأول من السنن لأبي داود وكتاب غرر الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن داود والأربعين للحاكم وكثيراً من المشيخات وسمعت عليه أزيد من الثلث الأول من صحيح ابن حبان وتفسير قليلاً . مات في ربيع الأول سنة ٧٩٩ هـ (١) .

المهيني

علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح أبو الحسن المهيني صهر شيبان العراقي ولد سنة ٧٣٥ هـ وصحب الشيخ في حدود الخمسين كان خيراً سائماً كثير الانكسار للمعكر محباً للحديث وأهله كثير الاستحشار للفتون يسر الجواب يحضره الشيخ فيسبحه ذلك وكان يودني كثيراً ولفه أنني تبيحت أوهامه في مجمع الزوائد نعمتني فترك ذلك إلى الآن واستمر على المحبة والمودة ، سمعت عليه المسلس ، وقرأت عليه الكثير مع الشيخ وقرأت عليه وحده مجمع أبي الحسن بن جميع ، وقرأت عليه من أول مجمع الزوائد التي قدسدر الثلث منه ونحو الثلث من السنن الكبير للبيهقي . مات في رمضان سنة ٨٠٩ هـ . (٢) .

(١) ابن حجر "المجمع المؤس" ص ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٥

البليقيني

عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن مسافر البليقيني ، ولد في ٢٢ من شعبان سنة ٧٢٤ هـ وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكذا حفظ المحرر في الفقه وغيره من الكتب وأقدم القاهرة وسمع على كثير من شيوخها وأجاز له العاقلان المزي والذهبي ، وولّى نيابة المحكم مدة ثم استقل به بعد ذلك ودرس بمدة أماكن وكتب على الفتاوى من سن القلم وكان قهراً حليماً مهيباً سريع البادرة سريع الرجوع له شمة عالية في مساعدة أصحابه ، لازمه مدة وقرأت عليه عدة أجزاء حديثية وسمعت عليه أشياء وعضرت دروساً فقهية وقرأت عليه الكثير من الروضة ومن كلامه في حواشيها وقرأت عليه كتاب دلائل النبوة للبيهقي وقرأت عليه المسلسل بالأولية وسمعت من لفظه أيضاً وسمعت عليه جزءاً أخرجه له ولي الدين السراقسي من عواليه والأربعين التي خرجها له عن مشايخه عشرين بالسماع وعشرين بالاجازة وجزءاً فيه الصلاة على النبي "صلى الله عليه وسلم" لاسماعيل بن اسحاق القاضي وكثيراً من الأجزاء والسماعات ، وسمعت عليه الكثير من صحيح البخاري والكثير من صحيح مسلم وسمعت عليه الكثير من سنن أبي داود . مات في ذي القعدة سنة ٨٠٥ هـ . (١)

ابن الملقن

عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي الأحمدي المصري سراج الدين بن الملقن ، ولد في أواخر سنة ٧٢٣ هـ ، وأسمع على أبي الفتح بن سيد النسايب وقطب الديار الحلبي وغيرهما ولازم الشيخ زين الدين الرحبي وعلاء الدين مغلطاي ، واشتغل بالتصنيف حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً وقد وصفه الأئمة بالحفظ وهو لا الثلاثة العراقي والبليقيني وابن الملقن كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن الأول في معرفة المسند في فنونه ، والثاني — البليقيني — في التوسع في معرفة مذهب الشافعي ، والثالث في كثرة التصنيف ، كان حسن الذوق كثير المروءة ، قرأت عليه قطعة كبيرة من شرحه على التمهيد وقرأت عليه جزءاً فيه السادس والسابع من أمالي المخلص ، وسمعت منه المسلسل بالأولية تخريجه والجزء الخامس من مشيخة ابن النجيب تخريج أبي العباس بن الناهري وغير ذلك كثير . مات في ربيع الأول سنة ٨٠٤ هـ . (٢)

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢١ و ٢٢٢
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ و ٢٢٦

ومجمل القول أنه قد "اجتمع له من الشيخ الذين يشار إليهم ويحول في حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره لأن كل واحد منهم كان متبحرا في علمه رأسا فسي منه الذي اشتهر به لا يلحق فيه" (١)

ولاريب أن كل واحد منهم قد ترك أثرا محمودا في شخصيته وعقليته يظهر ذلك واضحا في كثرة مؤلفاته ومصنفاته خصوصا في فن الحديث بمختلف أنواعه •

المبحث الثاني : أقرانه وتلامذته

تمهيد : لقد توفّر لابن حجر من الصفات والمزايا ما جعله خليقا بأن يلتصق بحوله الراغبون في العلم من الطلبة للأخذ عنه والسماع منه حيث كان فصيح اللسان شجي الصوت حسن القراءة متواضعا محبا للعلم والعلماء رحيما بطلبته يحثهم على السماع مسن المشايخ ويرشدهم إلى أممات الكتب كما كان واسع الاطلاع كثير التنايف منقطعا للعلم وهذه الصفات من شأنها أن تلفت أنظار المبتدئين إلى الشيخ وترفع من مكانته ومنزلته عندهم وتجعلهم يلتفون حوله وهميمون حبا به فلا عجب أن كثر أتباعه وتلامذته والآخذون عنه غير أننا إذا أمعنا النظر وجدنا أن هؤلاء الآخذين عنه نوعان :

أولا : نوع يؤمه ويقصد ليتحصن ويسروى عنه ما سمع أو صنف أو يرائقه في السماع وهؤلاء هم أقرانه وأهل طبقة الذين عاش معهم وتأثر بهم وأثر فيهم •

ثانيا : النوع الثاني هم الذين أكثروا ملازمته والجلوس إليه حتى تغرّجوا به ونقلوا عنه علمه وآثاره إلى من بعدهم وهؤلاء هم تلامذته •

وسوف أفرد لكل نوع من هذين النوعين فرعا خاصا •

(١) السخاوي "ذيل رفع الامر عن قضاة مصر" ص ٨٣

الفرع الأول : أقرانه ورفاقه في طلب العلم

لو ذهبنا نحصى هؤلاء الرفاق لظال بنا الحديث ولما استطعنا أن نحصيهم
نظرا لكثرتهم ومن هنا سوف أقصر على ذكر نادر منهم فأقول والله التوفيق :

الطنتدائي

أحمد بن عبد الرحمن بن عمر الطنتدائي الشافعي ولد سنة ٧٥١ هـ ، اشتغل
وهو كبير ولازم كثيرا من الشيخ مثل العراقي والابن ماضي وابن الملقن ولحقه تلاميذ كثير وصنف
كثيرا اجتمعت به كثيرا وطالت مجالسته له والسماع منه ومن فوائده وكتب بخطه من تصانيفي
الكثير وكتب عن أكثر مجالس في الاملاء وسمع كثيرا على . مات في شوال سنة ٨٣٢ هـ (١)

ابن البلقيني

عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن شيخ الاسلام البلقيني ، ولد في رمضان
سنة ٧٦٣ هـ ، ولم يكن لأبيه عناية بتسميته سمع من أبيه وحضر شيخ غيره ، كان ذكيا
قوى الحافظة ، انتهت اليه رئاسة الفنسوس بعد موت أبيه وابتلى بحب القضاء ، لازمه
كثيرا وكتب عن كثيرا من مقدمة فتح الباري وغير ذلك من الفوائد الحديثية وطارحنى بأئلة
من المنظوم والمنثور وطارحته بأشياء كثيرة وغالب ما كان يبعث فيه كان يقرؤه بلنظفه وأسمعه
منه . مات في شوال سنة ٨٢٤ هـ (٢)

الفرع الثاني : تلامذته ومريده

لقد كثر تلامذة ابن حجر ، كثرة تستلفت النظر وتسترعى الانتباه بفضل ما قام به
من رحلات إلى مختلف البلدان كالاستندرية واليمن ومصر وحلب ومختلف بلاد الشام
والبلاد المصرية مع عتوفه وانكباؤه المستمر الدائم على التتب والبحث والدراسة الأمر الذي أدى
إلى أن كثر تلامذته في جميع البلاد ومختلف الجهات وقد كانوا علماء أفذاذ ا أتصفوا بعظم
المدارة وسعة المعرفة والاطلاع ما أنزلهم وجلهم جديريين بحمل رسالته من بعده

(١) ابن حجر "المجمع المؤقت" ص ٣٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٣

وخلفاؤه وأمناءه على تركته وصنفاته العلمية الضخمة ولقد ظل ابن حجر يتولى مؤلفاته وبراعته
ومتحمدهم ويلقى عليهم دروسه العلمية دون أن يكل أو يمل حتى قبيل وفاته ببسائر مؤلفاته
التلاميذ لكثرتهم وتفرقتهم في البلاد ومختلف الأنحاء يتعذر على الباحث احصاؤها
واستقصاؤها بيد أن هذا لا يمنعنا من أن نشير إلى بعضهم ممن تأثروا به وظهر أثره
واضحاً فيهم ، فنقول :

ابن خضر

ابراهيم بن خضر بن أحمد بن عثمان وينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان رضي
الله عنه * القاهري المولد والدار ولد في شوال سنة ٧٩٤ هـ وعفظ القرآن والمجسدة
والتنبيه وغير ذلك وأقبل على السرية والأصول وعمر على الزمن الحراتي وخلق كثير
واشتهر بجميع العلوم السائدة في عصره وأخذها عن شيوخها ، ولازم شيخنا في الحديث
واشتدت عنايته بجلالته بحيث أنه قرأ عليه كتب الاسلام والكثير من تصانيفه خصوصاً فستح
الباري فما أعلم أحداً قرأه عليه تاماً غيره ولم يقدم شيخنا في القراءة في رمضان أحداً غيره
وكتب بخطه الكثير من الكتب خصوصاً مؤلفات شيخنا ولم يكن عنده أجل من شيخنا ، بسبب
قصر نفسه على صحبتته والانتفاء اليه ومحبتة حتى كان شيخنا يشبط بذلك ولم يكن شيخنا
يقدم عليه من أصحابه غيره وربما استحل عليه وقد وصفه بالامام العالم الفاضل مفيد الطالبين
جمال المدرسين كما قال عنه في موضع آخر ولم يخلف بعده في مجموعة مثله صيانة وديانة
وفهما وحافظة وحسن تصور وقال عنه أيضاً لازمني كثيراً نحو أربعين سنة وقرأ على جميع فتسح
الباري وتلقاه مني استملاء في الجبدي ثم عرفنا وتحريراً وقرأ على الثب الكبار في عدة سنين
من شهر رمضان من كل منها ، وحد شباليسير وربما كتب على الفتاوى من كان شيخنا
كثيراً ما يصرغر عليه أجوته في المسائل الفقهية وغيرها وربما أرسل اليه بالمسائل الدقيقة
لا لمجزه عنها بل لا شغاله بما هو أهم مما تصين عليه ، كان وفياً أميناً متصفاً بجميع
الصفات الحسنة . توفي في منتصف المحرم سنة ٨٥٢ هـ ، وعظم تأسف الناس عليه سيما
شيخنا . (١) " ابن حجر " .

(١) السخاوي " المشو اللامع " ج ١ ص ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧

ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي نزيل القاهرة ولد تقريبا سنة ٨٠٩ هـ بقرية خربة من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها الى بيت المقدس والقاهرة واشتغل بها يسيرا أخذ بالقاهرة عن الشرف السبكي والملاء القلقشندي والقياياتي وشيخنا (١) وتحدث البقاعي عن تلمذته لشيخه ابن حجر بعد مجيئه اليه ومثوله بين يديه بالقاهرة سنة ٨٣٤ هـ فيقول زلا زمته فلم يمسس كبري محيى حتى عدت من أصحابه الذين يحتنون اليه ويعلمهم اذا أراد التنزه وحصل لى منه حفظ وافر من الاقبال والعلم والمال والشهرة بين الناس ولم أزل حريصا على مجالسته حضرا وسفرا سوى أوقات يسيرة لا تعد قادحا في الملازمة ولا زمته طويلا فلم أعدل به بدىلا وسمعت عليه بقرايتى وقراءة غيرى من الكتب الكبار والأجزاء القصار شيئا كثيرا (٢) يقول السخاوى وسافر فى خدمة شيخنا الى حلب وأخذ من شيخ الرواية بها وقد رقاہ شيخنا فعينه امام الظاهر جقمق لقراءة الحديث بالقلعة ثم منحه الظاهر بعد ذلك وكان هجاء لم يسلم أحد من لسانه حتى شيخه وصاحب الفضل عليه - ابن حجر - فقد قال فى حقه ما لا ينبغى أن يقال وله مصنفات عديدة منها عنوان الزمان فى تراجم الشيخ والأقران والأسد الناهضة لمعتدى المقادسة وديوان شعر وغير ذلك من المصنفات رحل الى دمشق ومات بها فى رجب سنة ٨٨٥ هـ (٣) .

أبو النعيم رضوان

رضوان بن محمد بن يوسف الحنبلى ولد فى رجب سنة ٧٦١ هـ بمعية عقبة بالجيزة ونشأ بخانقاه شيخوخة وحفظ القرآن والتنبيه وحضر دروس البلقينى ولحق الملقن والمزبن جماعة وغيرهم وتولى عدة مناصب كالتدريس والاسماع بالشيخونية والخطابة واعتدت عنايته بالرواية والتأليف وقسرا بنفسه الكثير وعرف المالى والنازل وخرج لنفسه ولغيره وكان دينيا غيرا محبا فى الحديث وأهله (٤)

(١) السخاوى "الضوء اللامع" ج ١ ص ١٠١

(٢) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٦٨

(٣) السخاوى "الضوء اللامع" ج ١ ص ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧

(٤) السخاوى "الضوء اللامع" ج ١ ص ٢٢٦ ٢٢٧

يقول شيخه — ابن حجر — وكان يراجعني فيما يقرأه ويسمعه وحصل كثيرا من تصانيفي و — وأمثل من تخرج على طريقة طلبة الحديث وقد استملى على من أوائل سنة ٨٢٧ هـ (١) وأصغر في ذلك حتى وفاته وصفه شيخنا بالامام الفاضل شيخ القراء والتحديث ولم يزل على طريقته حتى مات في رجب سنة ٨٥٢ هـ (٢)

السخاوي

محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي الأصل القاهري الشافعي ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ بالقاهرة بحارة بهاء الدين بمنزل مجاور لمدرسة الشيخ سراج الدين البلقيني ثم تحول عنه الى منزل اشتراه والده بجوار سكن شيخه — ابن حجر — وحفظ القرآن وكثيرا من الكتب والمتون وعرضها على شيوخها وسمع الحديث مع والده ليلا على شيخه — ابن حجر — وكان أول ما وقف عليه من ذلك في سنة ٨٣٨ هـ وأوقع الله في قلبه محبة فلازم مجلسه وحادث عليه بركته في هذا الشأن وأقبل عليه بكلية اقبالا يزيد عن الوصف بحيث تقلل مما عداه ودام الملازمة لشيخه حتى حمل عنه جما واختص به كثيرا بحيث كان من أكثر الآخذين عنه — وأعانه على ذلك قرب منزله منه — فكان لا يفوته ما يقرأ عليه الا النادر ولم شيخه شدة حرصه على ذلك فكان يرسل غلته أسبانا بعض خدمه يأمره بالمجيء للقراءة وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه وسمع عليه جل كتبه وأثر تصانيفه في الرجال وغيرها كالتقريب وتصجيل المنفعة واللسان وغير ذلك وقرأ بنفسه النخبة والأربعين المتباينة والقول المسدد وبلوغ المرام وسمع من لفظه أشياء كالمشورة المشاريات وسلسل الأبراهيمي وهذا خارج عما كتبه عنه في الاملاء مع الجماعة من سنة ٨٤٦ هـ الى أن مات شيخه — ابن حجر — وأذن له شيخه في الاقراء والافادة والتصنيف وتدريبه في طريق القوم ومعرفة العالي والنازل والكشف عن التراجم والمتون وسائر الاصطلاحات وغير ذلك (٣)

(١) ابن حجر "المجمع المؤسّع" ص ٣٨

(٢) "السخاوي" الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢٨

(٣) "السخاوي" الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦

ولم ينفك عن ملازمة شيخه ولا عدل عنه بملازمة غيره من علماء الفنون خوفا على ^{مكره} ولا ارتحال
 الى الأماكن النائية ولا حج الا بعد وفاته وكان شيخه يمد به بالأجزاء والكتب والفوائد التي لا تحصى
 ربما نبهه الى عوالي لبعض شيخ العصر ^{كذلك} وخفضه على قرائتها وتنقل بعد وفاة شيخه بين بلدان
 كثيرة وأخذ عن شيوخها وألف كثيرا في الحديث وأثنى عليه كثير من الشيخ وصفوه بالحفظ كما
 وصفه أقرانه بذلك وتولى التدريس بمدة أماكن توفي بالمدينة في شهر شعبان سنة ٩٠٢ (١)
 ومجمل القول أن ابن حجر قد كثرت طلبته ومآلت تلامذته الأفاق وصار رؤوس العلماء في كل مذهب
 وكل قطر من تلامذته ولم يجتمع عند أحد من الشيخ مجموعهم (٢) يقول السخاوي بعد وفاته
 أسماء تلامذته " هذا آخر ما أوردنا ذكره من تحرير أسماء من أخذ عنه رواية أو دراية وهم
 نحو الستائة من غير التزام لاستيفاء ما علمته من ذلك فضلا عن الجمع الذي لا تمكن الإحاطة به "

(١) "السخاوي" النور اللامع ج ١ ص ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

(٢) "البقاعى" عنوان الزمان ص ٤٥

(٣) "السخاوي" الجواهر ص ١٥٨٧

المبحث الثالث : في سرد مؤلفاته وصنفاته وميان موضوعاتها .

تمهيد :

في سرد

لقد جلس - ابن حجر - بادي ^{في سرد} شأن كل متعلم - بين يدي كثير من العلماء والشيخ يرشدونه ويوجهونه ويأخذ عنهم من علمهم ومعرفتهم وما زال يتردد عليهم مكثراً لملازمهم الى أن انتفع بهم وتخرج عليهم في كثير من أنواع العلوم الشائعة آنذاك - ولما شب عن الطبع ^{والتفكير} واستقل عقلياً أكب على الكتب وعكف عليها درسا واستيمابا بحثاً وتنقياً خصوصاً وأنه عاش في عصر توفرت فيه الكتب وكثرت المؤلفات كنتيجة طبيعية لانتشار الخط والخطاطين وكثرة طيبة لجهود العلماء - في مصر والشام - في احياء التراث الاسلامي الذي ^{لخصه} ^{في} ^{سرد} ^{مؤلفاته} ^{وصنفاته} ^{وميان} ^{موضوعاتها} التتار أيام سقوط بغداد ومحاولتهم استدراك ما فات وقد وجد ابن حجر في هذه الكتب طلبته وشر فيها على بخيته ومن الأخذ عن الشيخ والسماح منهم ومن النظر في الكتب والمداومة على مطالعتها تكونت عنده مادة علمية غزيرة استطاع - ابن حجر - أن يستنبط منها ويبني عليها بل وضيء اليها جديداً من نتاج فكره وخلاصة دراساته ، يتجلى ذلك بوضوح في مؤلفاته الضخمة الجديدة التي لم تجد يد الزمان حتى الآن يمثلها في الدقة والشمول ^{في سرد} ^{مؤلفاته} ^{وصنفاته} ^{وميان} ^{موضوعاتها} الى أنها تنقسم الى مؤلفات - في الفقه والأصول ، مؤلفات في الأدب ، مؤلفات في الفرائض ، مؤلفات في التاريخ والتراجم ، مؤلفات في الحديث وعلومه الا أنه مما يستلفت النظر ويستحق الانتباه أن غالب هذه المؤلفات كانت في علم الحديث رجاله ، مصالحة ، شرحه ، تخريجه .

على أن أكثر هذه المؤلفات الآن مفقود وما هو موجود منها لا يزال معظمه في بطون

المخطوطات لم ير النور ولم تمتد اليه أيدي المحققين والباحثين بالتصحيح والتدقيق ولم ينفصوا عنه غبار السنين حتى يقدموه للإنسانية تراثاً نقياً خالصاً يسهل الأخذ منه وتيسر الانتفاع به - ولقد بدأ - ابن حجر - في التأليف والتصنيف في أواخر العقد الثالث من عمره وذلك في حدود سنة ٧٩٦ هـ وأول مؤلفاته (١) .

(١) - نظم اللاكى بالمائة الموالى وهى المائة المشاربات الأسناد والكل يدرط الصحة أو الحسن خرجها لشيخه التنوخى "مخطوط حديث"

(٢) - تعليق التعليق ويشتمل على وصل ^{في} ^{سرد} ^{مؤلفاته} ^{وصنفاته} ^{وميان} ^{موضوعاتها} التعليق المرفوعة والآثار الموقونة والمقروعة الواقعة في صحيح البخارى ولم يسبق الى جمعه في تأليف وقف عليه كبار مشايخه وشهدوا بأنه لم يسبق الى

وضع مثله في سنة ٨٠٧ هـ . "حديث مخطوط"

(٣) — التشويق الى وصل المهم من التفليق وهو مختصر التفليق — واقتصر في هذا على .

الأحاديث التي لم يصل اليها في مكان آخر من جامعة الصحيح حديث .

(٤) المطالب الحالية بزوائد الحاشية الثمانية وهي مسند البابا السعيد بن حميد والحقاق بسن

راهمة وابن أبي شيبة ومحمد بن مهران وابن أبي عمير وأبي يعلى الموصلي — طبع أخيراً بالهند

(٥) — المطالب بالبناء المصم — حققه الدكتور حسن حبشي "تاريخ"

(٦) — الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — حققه محمد سيد جاد الحق "تاريخ"

(٧) — الأحاديث المشاريات الأسانيد — مخطوط — حديث

(٨) — أربعون حديثاً في شرح المجمع وعن سب المسلم وفي أولها ما يفيد أنه ألفها لما تزايد جور

القاضي السفطي وفي آخرها أنه فرغ من تأليفها في رجب سنة ٨٥١ هـ . مخطوط — حديث

(٩) — الأجوبة المشرقة عن الأسئلة المفرقة . . . حققه محمد ناصر الدين الألباني .

(١) — المنبهات — طبع في الأستانة

(١١) — الايثار بمعرفة رواة الآثار (١)

(١٢) — رسالتيين فيها أسماء من عرف أسمائهم ممن أبهم في كتابه القاري "مصطلح مخطوط"

(١٣) — المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس بجمع فيه شيوخه بالسماح والأجازه والأفاده (٢)

(١٤) — الأمتاع بالاربعين المتباينة بشرط السماع واشترط فيها اتصال السماع في جميعها وترتيبها

على أحاديث العشرة المبشرين بالجنة ثم على حروف المعجم من الصحابة ثم العبادلة الأربعة ومنها

أحاديث أصحاب الكتب الستة والمذاهب الأربعة وغير ذلك (٣)

(١٥) — القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد (٤)

(١٦) — الاصابة في تمييز أسماء الصحابة ذكر في مقدمته أنه جمع فيه بين ما في أسد الغابة (٥)

وكتاب الاستيعاب وزاد عليهما ثلاثة عشر ألف ترجمة وقد قسمه الى أربعة أقسام مرتباً كل قسم على

حروف المعجم .

القسم الأول من ردت روايته وذكره من طريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو منقطعة .

(١) مخطوط حديث (٢) مخطوط مصطلح

(٣) مخطوط مصطلح (٤) طبع بالهند "حديث"

(٥) مصطلح

القسم الثاني من له رؤية فقط

القسم الثالث من أدرك الجاهلية والاسلام ولم يرو في غير أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
القسم الرابع من ذكر في كتب مصنفي الصحابة أو مخرجي المسانيد خطأ مع بيان ذلك وتحقيقه لما لم
يسبق اليه وهذا القسم هو المقصود بالذات من هذا الكتاب • مطبوع

- (١٧) - تهذيب التهذيب وهو يشتمل على اختصار تهذيب الكمال للمزى مع زيادات كثيرة عليه • مطبوع
- (١٨) - تقريب التهذيب وهو مختصر التهذيب وهو كتاب عجيب الوضع يشتمل على رجال تهذيب
الكمال لا تزيد الترجمة على سطر - أو سطرين يشتمل على اسم الراوى وشهرة نسبه وحفته من القبول
وعدمه وبيان طبقته مع ضبط ما يحتاج الى ضبطه من ذلك بالعروف • مطبوع
- (١٩) - لسان الميزان يشتمل على تراجم من ليس في تهذيب الكمال من الميزان مع زيادات كثيرة
في أحوالهم من جرح وتمديد وبيان وهم على خلق كثير لم يذكر في الميزان أصلاً (١) •
- (٢٠) - تسجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية (٢) •
- (٢١) - بذل الطاعون في فضائل الطاعون جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والأدب
المتعلقة بالطاعون (٣) •
- (٢٢) - رفع الأصغر عن قضاة مصر مرتباً على حروف المعجم (٤) •
- (٢٣) - بلوغ المرام من أدلة الأحكام لخص فيه الأعلام لابن دقيق العيد وزاد عليه كثيراً (٥)
- (٢٤) - ديوان شعره الكبير وآخر مختصر منه السبع النيرات وقد تناول في هذا الديوان جميع
أغراض الشعر مما يدل على أنه كان ذا طبيعة شاعرية (٦) •
- (٢٥) - نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثرين فيها مقاصد الأنواع لأبن الصلاح وزاد أنواعاً لم
يذكرها فاحتوت على أكثر من مائة نوع من أنواع الحديث (٧) •
- (٢٦) - نزهة النظر بشرح نخبة الفكر (٨) •

- | | | |
|------------------|---------------------|----------------|
| (١) مطبوع | (٢) طبع الهند مصطلح | (٣) مخطوط حديث |
| (٤) تراجم مطبوع | (٥) حديث مطبوع | (٦) مخطوط أدب |
| (٧) مصطلح مطبوع | (٨) مطبوع | (٩) مخطوط |
| (١٠) تراجم مطبوع | (١١) مطبوع | (١٢) مخطوط |

- (٢٧) - تخريج أحاديث الأذكار للنووي (١) .
- (٢٨) - التمييز في تلخيص أحاديث شرح الوجيز للرافعي (٢) .
- (٢٩) - الخصال الوترية للذئب المقدمة والمؤخرة (٣) .
- (٣٠) - الهداية في تخريج أحاديث الهداية اختصره من نصب الراية (٤) .
- (٣١) - رسالة في أحاديث رميت بالوضع في مصابيح السنة للهيتمي وهي سؤال أجاب عنه ابن حجر (٥)
- (٣٢) - الفهية في مسألة الرؤية وهي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء (٦) .
- (٣٣) - تبين المذهب بما ورد في فضل رجب (٧) .
- (٣٤) - تلخيص الهيتمي في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٨) .
- (٣٥) - جزء ابن حجر بروايته (٩) .
- (٣٦) - تخريج حديث الليث بن سعد (١٠) .
- (٣٧) - رسالة في الكلام على الحديث المشهور (ماء زمزم لما شرب له) (١١) .
- (٣٨) - الكاف الشاف في تخريج الأحاديث الكشاف (١٢)
- (٣٩) - كتاب في علم الحديث بخط ابن حجر نفسه (١٣) .
- (٤٠) - كشف الستار عن حكم الصلاة بعد الوتر (١٤) .
- (٤١) - معجم الشيخه مريم بنت الأنور في تخريج ابن حجر (١٥) .

| | |
|-----------------|--------------------|
| (١) مخطوط حديث | (٢) طبع الهند حديث |
| (٣) مخطوط حديث | (٤) الهند حديث |
| (٥) مخطوط حديث | (٦) مخطوط حديث |
| (٧) مخطوط حديث | (٨) مطبوع حديث |
| (٩) مخطوط حديث | (١٠) مخطوط حديث |
| (١١) مخطوط حديث | (١٢) مخطوط حديث |
| (١٣) مخطوط حديث | (١٤) مخطوط حديث |
| (١٥) مخطوط حديث | (١٦) مخطوط حديث |

(٤٢) فتح الباری بشرح صحیح البخاری ومقدمته هدی الساری (١) .

(٤٣) — انتقاد الاعتراضات الجلب به عن اعتراضات المعنى عليه في شرح البخاری (٢)

(٤٤) — تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للذهبي ضبط الأسماء بالحروف واستدراك ما فاته منها

اشتمل عليه أصوله كابن ماكولا وابن نقطة (٣) .

ولو ذهبت نهجى كل مؤلفاته لطلال بنا الحديث وضاق بنا المقام وفي هذا القدر الذى أردناه خير

شاهد على علو قدره وكثرة مصنفاة وعظيم مؤلفاته التى ترهب على مائة وخمسين مصنفا وقد اشتهرت في

حياته بل في زمان شيوخه وصارت بها الركبان شرقا وغربا ومع هذا كله يقول السخاوى (سمعته

يقول لست راضيا عن شئ من تصانيفي لأنى عملتها في ابتداء الأمر ثم لم يتمنى لى من يحررها منى

سوى شرح البخاری ومقدمته ولسان الميزان والمشتبه والتهذيب) على أن أعظمها وأجلها فتح

البارى ومقدمته وهذا ما سنتناوله بالبحث والدراسة في الباب التالى ان شاء الله . .

(١) مطبوع حديث

(٢) مخطوط حديث

(٣) مصطلح مطبوع

((الباب الثالث))

* ^{ابن حجر} ~~ابن حجر~~ وجهه سؤده في صحيح البخاري *

- الفصل الاول -

تمهيد :-

سوف نتناول بالابض والبيان في هذا الباب جهود * ابن حجر * في كتاب الجامع الصحيح للإمام ابن عبد الله البخاري غير أنه ينبغي لنا بل يجب علينا أن نقدم بين يدي هذه الجهود طرفة من حياة صاحب الصحيح ونبذة عن كتابه حتى يكون القارئ على بصيرة بالكتاب وما فيه قبل التوصل والتعرض لبيان جهود ابن حجر فيه بالتفصيل فنقول

- المبحث الاول * (التعريف بالامام البخاري) *

هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المفسر بن برد بن البجع مولى لهم امام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الاطلاق أسلم المفجرة وكان مبعوثاً على يد الميمان البجع والى بخاري فنصيب اليه وكان أبوه اسماعيل من خيار الناس وعلماهم سمع أنس بن مالك وراى حماد بن زيد وصالح بن المبارك وحدث عن جماعة وروى عنه أنه قال عند موته * لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهه * (١)

في الثالث

ولد البخاري يوم الجمعة بعد صلاتها ثلثية عشر من شهر شوال سنة ١٩٤ هـ (٢) ماله اسم حفظ الحديث في صفه مثل البخاري كيف كان بدء أمره في طلب الحديث قال الهمني اللهم حفظ الديث وأنا في الكتاب قبل له وكم عمره اذ ذاك قال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من التيساب بعد العشر فجلست أعتلج إلى الدخلى وغيره (٣) وقد نسب بخله في صفه فرأت أمه في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام وقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو دعائك فاصبح بصيراً (٤) سمع الحديث في سنة ٢٠٥ هـ وذلك أوزر المهد به وقد حبه الله اليه وأعانه على حفظه ذكاه المفرد وأباه في طلبه حتى حفظ كثيرا من تانيف ابن المبارك وغيره *

(١) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٤٦ (٢) المصدر السابق ص ٦

(٣) البكي طبقات الشافعية ص ٢١٦ (٤) المصدر السابق ص ٢١٦

تاريخ بغداد ج ١ ص ٢

وسمع الكثير على علماء بلده مثل محمد بن سلام البيهكندی ومحمد بن يوسف البيهكندی وطائفة

غيرهم ثم في سنة ٢١٠ نراه ظام برحلات واسعة في طلب الحديث الى مختلف الأمصار الإسلامية مثل مكة وبغداد وبلخ ومصر ودمشق وغير ذلك وكتب عن شيوخ كثيرين وأئمة متوافرين (١)
قال رحمه الله كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب الا عن قال الايمان نول وعميل (٢)

وكان لا يسمع بشيخ في الحديث الا رحل اليه وأخذ عنه وكان أمة في الحفظ وقوة الذاكره والبصر يعمل الأسانيد ومتونها ونصه في بغداد حين امتحنه علماءها وطلبوا له الأسانيد والمتون وتصحيحها لها في ساعته تدل على مبلغ حفظه وإمامته في هذا الفن وقد كافأ الله على صبره وجلده وتحمله المشاق في سبيل السنه باقبال الناس عليه وإشاداتهم بذكره وفضله قال محمود بن النضر الشافعي ؟ دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضله على أنفسهم (٣) وقال يعقوب بن مزعل الدورقي محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة وقال أبو عيسى الترمذي (٤) لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فسي معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل (٥) وبعد حوار جرى بين مسلم وبينه قال له مسلم " لا يهضنك الا حاسد وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك " (٦)

وقهل بين عهزيه وقال " دعني أنبل رجلك يا أستاذ الاستاذين ومسد المحدثين ويا طبيب الحديث في علله " ولقد كان رحمه الله تقياسنمها ورعاف اللسان والقلم معالم يفتب أحدا يشهد لذلك كلامه في الجرح والتعديل فانه ابلغ ما يقول في الرجل المتروك فيه نضر أوسكتوا عنه ولا يكاد يقول فلان كذاب أو فلان يضع الحديث وجهما وقعت الفتنة واشتدت المحنة في مسألة خلق القرآن رجع من بغداد الى بلده بخارى وهو الذي قد فارقتها ولا يزال في الخاصه عشر من عمره فلتقاء أهلها في تجميل عظيم ومقدم كريم وبقى بها مدة تحدثهم في مسجده الى أن أرسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الزهلي يتطلب معه ويسأله أن يأتيه بالصحيحه وحديثهم به في قصره فاستمع للبخارى من ذلك وقال بلهجه العالم الواقف من ربه وعلمه ونفسه " انا لا اذل العلم ولا احطه الى ابواب الناس فان كانت لك الى شي منه حاجة فاحضرنى في مسجدى أو في دارى وان

(٢) بن الصماه شذرات ج ٢ ص ١٣١
(٤) بين حجر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥١
(٦) تاريخ بغداد ص ٢٧ ع ٢١
(٨) المصدر السابق ص ٢٢٤

(١) طبقات الشافعية السبكي ص ٢١٣
(٣) بن خلطان وفيها علامان ج ٣ ص ٣٢٩
(٥) نضر الصدر السابق والصفحة
(٧) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٢٣

لم يعجبك فامنعني من الجلوس لي عند الله غد يوم القيامه لاني لا اكنم العلم
 لتعلم النبي صلى الله عليه وسلم " من سئل عن عام فكتفه الجم بلجام من نار فكانت
 هذه سبب الروحته بينهما ولم يصح خالد بن محمد أمير البلاد الا مكايده واستعان
 على ذلك ببعض علماء بخارى وزعموا أنه يتكلم في مسألة خلق القرآن واتخذوا من ذلك
 ذريعة حتى أخرجوه من بخارى^(١) ولما ظم أهل سمرقند بذلك كتبوا اليه يتقدمونه اليهم
 قولي وجهه شطر بلدكم فلما كان بقية خوتك وهي على بعد فرسخين من سمرقند بلف
 أنه أهل سمرقند وقع بينهم وبينه فتد فيهمهم ويبدأون دخوله وآخرون يكرهونه كذلك
 جاء رسول إلى سمرقند يأمرهم بإخراجه منها عند ذاك عظم عليه الخلة ولشتد عليه الأمر
 فدعا الماء بكفه حتى قلبه محزون وقال " اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فمضت
 إليك " فاستجاب الله له ومات في ذلك الشهر ليلة عيد الفطر من سنة ٢٥٦ ودفن من
 الغير وحدث له كرامات توحى بأن الله قد رفعه ذكره وجعل له لسان صدق في
 الآخرين وقد ورث أمير عبد الله الفقيه الاسلاميه مؤلفات ^(٢) منه مثل التايخ الكبير والأدب
 المفرد والجامع الصحيح وغير ذلك كثير ولكنها تشهد له بسعة اطلاع وغزارة العلم والامانه فيه

* * *

البحث الثاني

كتاب الجامع الصحيح - وفيه عدة أمور

الأمر الأول : البواغث على تأليفه وطريقته البخارى في التأليف .

تمهيد :

لقد انتشرت الفتوحات واستمت رقعة الدولة الاسلاميه وتبعها لذلك تفرق كثير من
 الصحابه في المدن والأحبار وكثير منهم بلغ كتابه^(٣) كذا شاعت المدع والاهواء وشبه
 مفكرى القدر حيث أن فلان افضط لخلافه الى الامام العادل عمر ابن عبد العزيز الهيمه
 (١) تايخ بغداد ص ٣٢٠

(٢) السبكي طبقات شافعيه ص ٢٣٢

(٣) لقد كان الصحابه يعتمدون في حفظ السنه على سيلان قرائحهم ولم تكن هناك كتب للسنه
 الا صحيفه عبد الله بن عمرو وصحيفه على أبي طالب وبعض صحف كانت عند أبي هريره .

ويشرف درجته من الصحة أو غيرها كما يعسر عليه أيضا أن يستبطن منها الأحكام الشرعية لأن أحاديثها مفرقة في صفحات الدواوين مبثورة في بطونها إذ لم يكن يقصد بهذه الدواوين إلا جمع الأحاديث وحفظها على الأمة ولا شيء وراء ذلك يضاف إلى ذلك أنه رأى أن رواة الأحاديث قد أهملوا فقهها وما تدل عليه ألفاظها من الفوائد والمعاني ولم يشغلوا أنفسهم إلا بحفظها وروايتها فقط وبجانب هذا وذاك فإنه قد سمع مرة من استأذنه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن رَاهِيَه يقول لتلاميذه لوجعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح وروى عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧} ^{٣٥٨} ^{٣٥٩} ^{٣٦٠} ^{٣٦١} ^{٣٦٢} ^{٣٦٣} ^{٣٦٤} ^{٣٦٥} ^{٣٦٦} ^{٣٦٧} ^{٣٦٨} ^{٣٦٩} ^{٣٧٠} ^{٣٧١} ^{٣٧٢} ^{٣٧٣} ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} ^{٣٧٦} ^{٣٧٧} ^{٣٧٨} ^{٣٧٩} ^{٣٨٠} ^{٣٨١} ^{٣٨٢} ^{٣٨٣} ^{٣٨٤} ^{٣٨٥} ^{٣٨٦} ^{٣٨٧} ^{٣٨٨} ^{٣٨٩} ^{٣٩٠} ^{٣٩١} ^{٣٩٢} ^{٣٩٣} ^{٣٩٤} ^{٣٩٥} ^{٣٩٦} ^{٣٩٧} ^{٣٩٨} ^{٣٩٩} ^{٤٠٠} ^{٤٠١} ^{٤٠٢} ^{٤٠٣} ^{٤٠٤} ^{٤٠٥} ^{٤٠٦} ^{٤٠٧} ^{٤٠٨} ^{٤٠٩} ^{٤١٠} ^{٤١١} ^{٤١٢} ^{٤١٣} ^{٤١٤} ^{٤١٥} ^{٤١٦} ^{٤١٧} ^{٤١٨} ^{٤١٩} ^{٤٢٠} ^{٤٢١} ^{٤٢٢} ^{٤٢٣} ^{٤٢٤} ^{٤٢٥} ^{٤٢٦} ^{٤٢٧} ^{٤٢٨} ^{٤٢٩} ^{٤٣٠} ^{٤٣١} ^{٤٣٢} ^{٤٣٣} ^{٤٣٤} ^{٤٣٥} ^{٤٣٦} ^{٤٣٧} ^{٤٣٨} ^{٤٣٩} ^{٤٤٠} ^{٤٤١} ^{٤٤٢} ^{٤٤٣} ^{٤٤٤} ^{٤٤٥} ^{٤٤٦} ^{٤٤٧} ^{٤٤٨} ^{٤٤٩} ^{٤٥٠} ^{٤٥١} ^{٤٥٢} ^{٤٥٣} ^{٤٥٤} ^{٤٥٥} ^{٤٥٦} ^{٤٥٧} ^{٤٥٨} ^{٤٥٩} ^{٤٦٠} ^{٤٦١} ^{٤٦٢} ^{٤٦٣} ^{٤٦٤} ^{٤٦٥} ^{٤٦٦} ^{٤٦٧} ^{٤٦٨} ^{٤٦٩} ^{٤٧٠} ^{٤٧١} ^{٤٧٢} ^{٤٧٣} ^{٤٧٤} ^{٤٧٥} ^{٤٧٦} ^{٤٧٧} ^{٤٧٨} ^{٤٧٩} ^{٤٨٠} ^{٤٨١} ^{٤٨٢} ^{٤٨٣} ^{٤٨٤} ^{٤٨٥} ^{٤٨٦} ^{٤٨٧} ^{٤٨٨} ^{٤٨٩} ^{٤٩٠} ^{٤٩١} ^{٤٩٢} ^{٤٩٣} ^{٤٩٤} ^{٤٩٥} ^{٤٩٦} ^{٤٩٧} ^{٤٩٨} ^{٤٩٩} ^{٥٠٠} ^{٥٠١} ^{٥٠٢} ^{٥٠٣} ^{٥٠٤} ^{٥٠٥} ^{٥٠٦} ^{٥٠٧} ^{٥٠٨} ^{٥٠٩} ^{٥١٠} ^{٥١١} ^{٥١٢} ^{٥١٣} ^{٥١٤} ^{٥١٥} ^{٥١٦} ^{٥١٧} ^{٥١٨} ^{٥١٩} ^{٥٢٠} ^{٥٢١} ^{٥٢٢} ^{٥٢٣} ^{٥٢٤} ^{٥٢٥} ^{٥٢٦} ^{٥٢٧} ^{٥٢٨} ^{٥٢٩} ^{٥٣٠} ^{٥٣١} ^{٥٣٢} ^{٥٣٣} ^{٥٣٤} ^{٥٣٥} ^{٥٣٦} ^{٥٣٧} ^{٥٣٨} ^{٥٣٩} ^{٥٤٠} ^{٥٤١} ^{٥٤٢} ^{٥٤٣} ^{٥٤٤} ^{٥٤٥} ^{٥٤٦} ^{٥٤٧} ^{٥٤٨} ^{٥٤٩} ^{٥٥٠} ^{٥٥١} ^{٥٥٢} ^{٥٥٣} ^{٥٥٤} ^{٥٥٥} ^{٥٥٦} ^{٥٥٧} ^{٥٥٨} ^{٥٥٩} ^{٥٦٠} ^{٥٦١} ^{٥٦٢} ^{٥٦٣} ^{٥٦٤} ^{٥٦٥} ^{٥٦٦} ^{٥٦٧} ^{٥٦٨} ^{٥٦٩} ^{٥٧٠} ^{٥٧١} ^{٥٧٢} ^{٥٧٣} ^{٥٧٤} ^{٥٧٥} ^{٥٧٦} ^{٥٧٧} ^{٥٧٨} ^{٥٧٩} ^{٥٨٠} ^{٥٨١} ^{٥٨٢} ^{٥٨٣} ^{٥٨٤} ^{٥٨٥} ^{٥٨٦} ^{٥٨٧} ^{٥٨٨} ^{٥٨٩} ^{٥٩٠} ^{٥٩١} ^{٥٩٢} ^{٥٩٣} ^{٥٩٤} ^{٥٩٥} ^{٥٩٦} ^{٥٩٧} ^{٥٩٨} ^{٥٩٩} ^{٦٠٠} ^{٦٠١} ^{٦٠٢} ^{٦٠٣} ^{٦٠٤} ^{٦٠٥} ^{٦٠٦} ^{٦٠٧} ^{٦٠٨} ^{٦٠٩} ^{٦١٠} ^{٦١١} ^{٦١٢} ^{٦١٣} ^{٦١٤} ^{٦١٥} ^{٦١٦} ^{٦١٧} ^{٦١٨} ^{٦١٩} ^{٦٢٠} ^{٦٢١} ^{٦٢٢} ^{٦٢٣} ^{٦٢٤} ^{٦٢٥} ^{٦٢٦} ^{٦٢٧} ^{٦٢٨} ^{٦٢٩} ^{٦٣٠} ^{٦٣١} ^{٦٣٢} ^{٦٣٣} ^{٦٣٤} ^{٦٣٥} ^{٦٣٦} ^{٦٣٧} ^{٦٣٨} ^{٦٣٩} ^{٦٤٠} ^{٦٤١} ^{٦٤٢} ^{٦٤٣} ^{٦٤٤} ^{٦٤٥} ^{٦٤٦} ^{٦٤٧} ^{٦٤٨} ^{٦٤٩} ^{٦٥٠} ^{٦٥١} ^{٦٥٢} ^{٦٥٣} ^{٦٥٤} ^{٦٥٥} ^{٦٥٦} ^{٦٥٧} ^{٦٥٨} ^{٦٥٩} ^{٦٦٠} ^{٦٦١} ^{٦٦٢} ^{٦٦٣} ^{٦٦٤} ^{٦٦٥} ^{٦٦٦} ^{٦٦٧} ^{٦٦٨} ^{٦٦٩} ^{٦٧٠} ^{٦٧١} ^{٦٧٢} ^{٦٧٣} ^{٦٧٤} ^{٦٧٥} ^{٦٧٦} ^{٦٧٧} ^{٦٧٨} ^{٦٧٩} ^{٦٨٠} ^{٦٨١} ^{٦٨٢} ^{٦٨٣} ^{٦٨٤} ^{٦٨٥} ^{٦٨٦} ^{٦٨٧} ^{٦٨٨} ^{٦٨٩} ^{٦٩٠} ^{٦٩١} ^{٦٩٢} ^{٦٩٣} ^{٦٩٤} ^{٦٩٥} ^{٦٩٦} ^{٦٩٧} ^{٦٩٨} ^{٦٩٩} ^{٧٠٠} ^{٧٠١} ^{٧٠٢} ^{٧٠٣} ^{٧٠٤} ^{٧٠٥} ^{٧٠٦} ^{٧٠٧} ^{٧٠٨} ^{٧٠٩} ^{٧١٠} ^{٧١١} ^{٧١٢} ^{٧١٣} ^{٧١٤} ^{٧١٥} ^{٧١٦} ^{٧١٧} ^{٧١٨} ^{٧١٩} ^{٧٢٠} ^{٧٢١} ^{٧٢٢} ^{٧٢٣} ^{٧٢٤} ^{٧٢٥} ^{٧٢٦} ^{٧٢٧} ^{٧٢٨} ^{٧٢٩} ^{٧٣٠} ^{٧٣١} ^{٧٣٢} ^{٧٣٣} ^{٧٣٤} ^{٧٣٥} ^{٧٣٦} ^{٧٣٧} ^{٧٣٨} ^{٧٣٩} ^{٧٤٠} ^{٧٤١} ^{٧٤٢} ^{٧٤٣} ^{٧٤٤} ^{٧٤٥} ^{٧٤٦} ^{٧٤٧} ^{٧٤٨} ^{٧٤٩} ^{٧٥٠} ^{٧٥١} ^{٧٥٢} ^{٧٥٣} ^{٧٥٤} ^{٧٥٥} ^{٧٥٦} ^{٧٥٧} ^{٧٥٨} ^{٧٥٩} ^{٧٦٠} ^{٧٦١} ^{٧٦٢} ^{٧٦٣} ^{٧٦٤} ^{٧٦٥} ^{٧٦٦} ^{٧٦٧} ^{٧٦٨} ^{٧٦٩} ^{٧٧٠} ^{٧٧١} ^{٧٧٢} ^{٧٧٣} ^{٧٧٤} ^{٧٧٥} ^{٧٧٦} ^{٧٧٧} ^{٧٧٨} ^{٧٧٩} ^{٧٨٠} ^{٧٨١} ^{٧٨٢} ^{٧٨٣} ^{٧٨٤} ^{٧٨٥} ^{٧٨٦} ^{٧٨٧} ^{٧٨٨} ^{٧٨٩} ^{٧٩٠} ^{٧٩١} ^{٧٩٢} ^{٧٩٣} ^{٧٩٤} ^{٧٩٥} ^{٧٩٦} ^{٧٩٧} ^{٧٩٨} ^{٧٩٩} ^{٨٠٠} ^{٨٠١} ^{٨٠٢} ^{٨٠٣} ^{٨٠٤} ^{٨٠٥} ^{٨٠٦} ^{٨٠٧} ^{٨٠٨} ^{٨٠٩} ^{٨١٠} ^{٨١١} ^{٨١٢} ^{٨١٣} ^{٨١٤} ^{٨١٥} ^{٨١٦} ^{٨١٧} ^{٨١٨} ^{٨١٩} ^{٨٢٠} ^{٨٢١} ^{٨٢٢} ^{٨٢٣} ^{٨٢٤} ^{٨٢٥} ^{٨٢٦} ^{٨٢٧} ^{٨٢٨} ^{٨٢٩} ^{٨٣٠} ^{٨٣١} ^{٨٣٢} ^{٨٣٣} ^{٨٣٤} ^{٨٣٥} ^{٨٣٦} ^{٨٣٧} ^{٨٣٨} ^{٨٣٩} ^{٨٤٠} ^{٨٤١} ^{٨٤٢} ^{٨٤٣} ^{٨٤٤} ^{٨٤٥} ^{٨٤٦} ^{٨٤٧} ^{٨٤٨} ^{٨٤٩} ^{٨٥٠} ^{٨٥١} ^{٨٥٢} ^{٨٥٣} ^{٨٥٤} ^{٨٥٥} ^{٨٥٦} ^{٨٥٧} ^{٨٥٨} ^{٨٥٩} ^{٨٦٠} ^{٨٦١} ^{٨٦٢} ^{٨٦٣} ^{٨٦٤} ^{٨٦٥} ^{٨٦٦} ^{٨٦٧} ^{٨٦٨} ^{٨٦٩} ^{٨٧٠} ^{٨٧١} ^{٨٧٢} ^{٨٧٣} ^{٨٧٤} ^{٨٧٥} ^{٨٧٦} ^{٨٧٧} ^{٨٧٨} ^{٨٧٩} ^{٨٨٠} ^{٨٨١} ^{٨٨٢} ^{٨٨٣} ^{٨٨٤} ^{٨٨٥} ^{٨٨٦} ^{٨٨٧} ^{٨٨٨} ^{٨٨٩} ^{٨٩٠} ^{٨٩١} ^{٨٩٢} ^{٨٩٣} ^{٨٩٤} ^{٨٩٥} ^{٨٩٦} ^{٨٩٧} ^{٨٩٨} ^{٨٩٩} ^{٩٠٠} ^{٩٠١} ^{٩٠٢} ^{٩٠٣} ^{٩٠٤} ^{٩٠٥} ^{٩٠٦} ^{٩٠٧} ^{٩٠٨} ^{٩٠٩} ^{٩١٠} ^{٩١١} ^{٩١٢} ^{٩١٣} ^{٩١٤} ^{٩١٥} ^{٩١٦} ^{٩١٧} ^{٩١٨} ^{٩١٩} ^{٩٢٠} ^{٩٢١} ^{٩٢٢} ^{٩٢٣} ^{٩٢٤} ^{٩٢٥} ^{٩٢٦} ^{٩٢٧} ^{٩٢٨} ^{٩٢٩} ^{٩٣٠} ^{٩٣١} ^{٩٣٢} ^{٩٣٣} ^{٩٣٤} ^{٩٣٥} ^{٩٣٦} ^{٩٣٧} ^{٩٣٨} ^{٩٣٩} ^{٩٤٠} ^{٩٤١} ^{٩٤٢} ^{٩٤٣} ^{٩٤٤} ^{٩٤٥} ^{٩٤٦} ^{٩٤٧} ^{٩٤٨} ^{٩٤٩} ^{٩٥٠} ^{٩٥١} ^{٩٥٢} ^{٩٥٣} ^{٩٥٤} ^{٩٥٥} ^{٩٥٦} ^{٩٥٧} ^{٩٥٨} ^{٩٥٩} ^{٩٦٠} ^{٩٦١} ^{٩٦٢} ^{٩٦٣} ^{٩٦٤} ^{٩٦٥} ^{٩٦٦} ^{٩٦٧} ^{٩٦٨} ^{٩٦٩} ^{٩٧٠} ^{٩٧١} ^{٩٧٢} ^{٩٧٣} ^{٩٧٤} ^{٩٧٥} ^{٩٧٦} ^{٩٧٧} ^{٩٧٨} ^{٩٧٩} ^{٩٨٠} ^{٩٨١} ^{٩٨٢} ^{٩٨٣} ^{٩٨٤} ^{٩٨٥} ^{٩٨٦} ^{٩٨٧} ^{٩٨٨} ^{٩٨٩} ^{٩٩٠} ^{٩٩١} ^{٩٩٢} ^{٩٩٣} ^{٩٩٤} ^{٩٩٥} ^{٩٩٦} ^{٩٩٧} ^{٩٩٨} ^{٩٩٩} ^{١٠٠٠} ^{١٠٠١} ^{١٠٠٢} ^{١٠٠٣} ^{١٠٠٤} ^{١٠٠٥} ^{١٠٠٦} ^{١٠٠٧} ^{١٠٠٨} ^{١٠٠٩} ^{١٠١٠} ^{١٠١١} ^{١٠١٢} ^{١٠١٣} ^{١٠١٤} ^{١٠١٥} ^{١٠١٦} ^{١٠١٧} ^{١٠١٨} ^{١٠١٩} ^{١٠٢٠} ^{١٠٢١} ^{١٠٢٢} ^{١٠}

(١) أكثر وقال ما دخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لملال الطول وقال أيضا احفظ
(٢)
مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح *
(٣)

الأمر الثالث

عدد أحاديث الجامع الصحيح ومائته معلق به

قال النووي في التوقيف **ثعلب** لا ين الصلاح " وجمله ما في البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالمكره وبحذف المكرر أربع آلاف " وابن حجر في مقدمته تعقب ذلك وحروبه **بابها** **بابها** سياقي ذلك مفصلا في مبحث خاص عند الكلام على جهود ابن حجر في كتاب الصحيح هذا عدا المتابعات والعلاقات والموقوفات وإنما جمع في صحيحه هذه الأنواع وإن لم تكن من موضوع الكتاب لأنه قصد بها الاستئناس والاستشهاد لما ذهب إليه فحسب ولذلك غيّر في سياقها لتمييز وقد ذكر ابن حجر أن فيه من المتن المعلق المرفوع السني لم يضلها في موضع آخر مائة وتسعة وخمسون حديثا وفيه من المتابعات والتبعية على اختلاف الروايات ثلاثة آلاف وأربع مائة وأربعون حديثا وقد انتقده الحفاظ في عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا قال ابن حجر في مقدمته " وليست عليها كلها فادحه بل أكثرها الجواب عنه ظاهر وللقدر فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف " ومن راجع الأحاديث التي انتقدت وطالع النقد السني وجه اليها وجد أن هذا النقد لا يمس جوهر الصحيح وإنما هو نقد شكلي ناشئ عن شدة حذر العلماء ويقتطعهم وقد بسط القول فيها ابن حجر في مقدمته وسوف نذكر أمثله يتضح منها أن هذا النقد لا يعارض الصحيح عندما نتحدث عن جهود ابن حجر في كتاب الصحيح ، وفيه اثنان وعشرون حديثا غالبا وفيها ثلاث الأسناد كقوله حدثنا المكي **بن** **الكرائي** **الحديث** إبراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عدلت إلى ظل شجره فلما خف الناس قال يا بن الأكوع ألا يتابع الحديث **(٦)**

(١) الحازمي شروط الأئمة الخمسة ص ٤٣ ابن حجر مقدمه الفتح ص ١٨

(٢) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص ٨ (٦) كتاب الجهاد باب البيعة في الحرب

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة

(٤) النووي التوقيف ص ٣

(٥) كقوله في كتاب الإيمان في باب حسن إسلام المرء .. قال مالك أخبرني زيد بن أسلم أن عطاء ابن يسار أخبره أن أبا سعيد الحذري أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئه الحديث ..

وكقوله حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال النبي صلى الله عليه وسلم " من صبح فلا يصحح بعد ثلثين يوماً في بيته منه شيء الحديث " (١)

كتاب الإيمان

وهذا كتاب جامع مأثور في أي عدد قوله كتاب كذا كتاب كذا مثل كتاب الإيمان كتاب العلم الخ ومن شرف نظر البخاري أنه ختم كل كتاب من هذه الكتب في الفوائد بما يدل على انتباهه والفرع منه يقول ابن حجر " أنه يعنى غالباً بأن يكون في الحديث الأخير من كل كتاب من كتب هذا الجامع مناسبة لخدمته ولو كانت الكلمة في أثناء الحديث الأخير أو من الكلام عليه كقوله في آخر حديثه " الوحي فكان ذلك آخر شأن هرقل وقوله في آخر كتاب الإيمان ثم استغفر وتزل وفي كتاب العلم وليقطعها حتى يكونا تحت الكافرين - وفي آخر كتاب الرضا وأجعلهم آخر ما تكلم به الخ (٢)

وعدد الأبواب ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسون باباً مع اختلاف قليل في نسخ الأصول وعدد مشايخه الذين خرج فيهم مائتان وتسعة وثمانون .

وعدد من تفرد بالنرواية عنهم دون مسلم مائة وأربعة وثلاثون وقد ضعف الحفاظ من رجال الصحيح نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخه الذين اقيهم وجالسهم وعرف أئوالهم واطلع على أحاديثهم فهو بهم وبأحوالهم أعرف ولهم أخير (٣)

وقد اختلف العلماء فيما بينهم هل يفيد القطع بصحة ما فيه من الحديث ، فجزم ابن الصلاح في مقدمته بحصول القبح وقاله الغزوي فقال أنه لا يفيد إلا الظن ولو بلغ أعلى درجة في الصحة وهو هذا الجمهور

— عدد أبواب الجامع الصحيح —

لقد سمع من البخاري كتاب الجامع يرواه عنه نحو من تسعين ألف إنسان منهم كثير ممن أئمة الحديث كسلم وابن زرع وأفتوحزي وابن خزيمة ومن أشهرهم إبراهيم بن معقل النخعي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ .

وأبو عبد الله محمد بن يوسف الغزيري المتوفى سنة ٣٢٠ هـ

- (١) كتاب الاضاحي باب ما يؤكل من لحوم الاضاحي .
- (٢) ابن حجر فتح الباري نهاية المجزأ الأخير وخاتمة .
- (٣) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص ٧ ، النووي التقريب ص ٣٠٣ .

وابراهيم بن محمد بن علي بن مزينة المتوفى سنة ٣٢٩ هـ .

وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه كما جزم بذلك ابن حجر في مقدمته ولا يفوتنا أن نشير الى أن البخاري هو أول من ألف في الصحيح وتبعه مسلم بن الحجاج (١) .

- الأثر الرابع -

منزلة الجامع الصحيح بين كتب السنن

لقد اتفق العلماء على أن كتاب الجامع الصحيح أجل كتب السنن على الإطلاق يشهد بذلك ما روى عن أبي عبد الرحمن النعماني أنه قال " ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل قال الحافظ ابن حجر والنسائي لا يعنى بالجوده الا جودة الاسانيد كما هو التبادر الى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا من النسائي غاية في الوصف مع شدة تحريه وتقويه وتشبه في تفق الرجال وتقدمه في ذلك على أهل عصره وقبيل الاسماعيل في المدخل أما بعد فاني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيتة جامعاً لكثير من السنن (الصحيحه) ودالاً على جعل من المعاني الحسنه المستنبطه التي لا يكمل لمثلها الا من جمع الى معرفتها الحديث ونقله والعلم بالروايات وعلمها علماً بالفقه واللغة وتمكناً منها وتبحراً فيها (٢) " وقال الذهبي في تاريخ الاسلام واما جامع البخاري الصحيح فاجل كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من الف فرسخ لما ضاعت رحلته .

وكفى بشهادة أهل الفن وجهها بذته على جلالته وافضليته على سائر الكتب من شهادته وحيث كان كتاب الجامع بهذه المنزله فقد اتجهت انظار العلماء اليه وتوفرت جهودهم عليه وستقدم في المبحث التالي نبذه مختصره عن هذه الجهود .

المبحث الثالث

نبذه عن جهود العلماء حول الجامع الصحيح

لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد كتاب الله تعالى عنايتهم بالجامع الصحيح فلقد اتجهت

(١) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص ٧ ، القووي المحرر ص ٣ .

(٢) ابن حجر المقدمه ص ٢٢٠ .

أنظارهم إليه وتوفرت بهيولهم عليه وتناولوه بحثاً ودراسة منذ أمد بعيد حتى بلغ عدد

الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار وترجمة رجال حد الكثرة .

فمن المؤلفين في رجاله الامام أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن الكلاباذي المتوفى

سنة ٤٧٤ هـ ألف كتابه الجرح والتعديل لرجال البخاري والحافظ أبو علي حسين بن أحمد

الفساني الجبائي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ألف كتابه تقييد المهمل ضبط فيه كل لفظة

يقع فيه اللبس من كتاب الصحيحين وأبو نصر بن مأكلا أول تراجم رجاله في كتابه الاكمال

وكذلك ابن الأثير في كتابه جامع الاصول والذهبي في ميزان الاعتدال والمزي في تهذيب

الكمال كما أن من مختصرات الجامع الصحيح مختصر الشيخ جمال الدين أبي العباس

أحمد بن عمر الانصاري القرطبي المتوفى بالاسكندرية سنة ٦٥٦ هـ ومختصر الامام زين الدين أحمد بن

إبراهيم أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هـ جرد فيه احاديثه وسماه

التجريد الصحيح لاحاديث الجامع الصحيح وحذف فيه ما تكرر وجمع ما تفرق في ابواب

لان الانسان اذا اراد أن ينظر في الحديث لا يكاد يهتدي اليه الا بعد جهد فجرده

من غير تكرار محذوف الاسانيد ولم يذكر الا ما كان مستندا متصلا فرغ من تأليفه سنة ٨٨٩ هـ

هـ ومن الشيوخ من كتب في مناسبات تراجمه وأبان أن البخاري لم يرتبه على ما هو عليه

غفلا عن غيبه قصد بل كان ذلك عن ثقب فكر وعق نظر حتى جاء الكتاب وحيدة

متكاملة متناسقا متماسكا ليس فيه تناقض بين ابوابه ولا احاديثه فما تكاد تفرغ من باب —

الا لتدخل في باب آخر دون أن تحصر أي انقطاع أو انفصال أو تلمس أي غرابه أو تنفور وأشهر —

مصنف في ذلك هو مناسبات تراجم ابواب البخاري لشيخ الاسلام عمر البلقيني كما وأنه أول —

مؤلف في بابيه قال فيه بعد المقدمة «هذا البخاري بهد الوحي الذي هو منبع الخيرات

وترجم بقوله باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى

انا اوحينا اليك الايات وكان الوحي أولا بما يقتضى الايمان بالرب جل جلاله وخالق الخلق

العليم بكل شئ فذكر بعده كتاب الايمان وكان الايمان اشرف المعرفة والعلوم فاعقبه

بكتاب العلم وبعد العلم يكون العمل وافضل اعمال المؤمن الصلاة بعد الايمان ولا يتوصل

اليها الا بالطهارة فاعقب الايمان بكتاب الطهارة ثم كتاب الصلاة ثم الزكاة الخ على

نسبة ما جاء في حديث بني الاسلام على خمس وسار على هذا النمط الهدى الى آخر الكتاب ومن هذا يتضح لك أن العصف قد أبان وأعرب عن وجهه نظر البخارى في ترتيب الكتب والابواب التي اشتمل عليها الجامع الصحيح ومنهم من تناوله بالشرح والايضاح كالخطابي وابن بطال وغيرهم كثير وسيأتى تفصيل ذلك في مبحث خاص عند الحديث على شرح ابن حجر في ((الباب الرابع)) ان شاء الله ومع كون هذه الجهود التي قام بها العلماء حول كتاب الجامع الصحيح مشكورة فانه يمكن أن توصف بأنها غير شاملة حيث لم يحيط العلماء بالكتاب من كل جوانبه ولم يتناولوه من جميع زواياه بل فاتهم منه الكثير وقد لمع ابن حجر ما تركه العلماء قبله في بذل فيه جهده ووضحه ايما ايضاح وبذلك يعد رائد العلماء في الجوانب التي تناولها ونقل وتركها من قبله وذلك مثل تطبيق تعاليق البخارى ، شرح تراجم ابوابه وتنويعها ، تحقيقه للاحاديث التي انتقدوها بعض الحفاظ عليه واعرابه عن صحة نظر البخارى بصواب ما ذهب اليه ، مخالفتهم للعلماء السابقين في عدد احاديث الجامع الصحيح ، يضاف الى هذا انه لم يفهم أن يدلى بدلو فيما كتب فيه العلماء قبله فالف في رجاله وضبط غريبه وشرحه شرحا وافيا اضافيا وسوف نتحدث عن هذه الجهود في الفصلين القادمين فالى هناك .

الفصل الثانى

فيه عدة مباحث

المبحث الاول نقل تعاليق الصحيح وموقفه منها

تمهيد

سبق أن أشرنا في الباب الثانى الى أن ابن حجر قد اتى الله عليه حجة فن الحديث وهو لا يزال حدثا فمك على دراسته بمختلف انواعه وكل فروعه ، وشف بكتب السنن وروايتها الكبار فأولاه عناية خاصة وأخذ ينهل من معينها الذي لا ينضب ويرتشف من رحمتها الذي لا يجف خصوصا صحيح البخارى فانه قد توفر على قراءته ودراسته

وفور عنه ومن كل ما كتب حوله يتجلى ذلك واضحا في قصيدته التي أنشدها سنة ٧٩٨ هـ
في مدح النبي وذكرونها صحيح البخاري.

لأن عزالي لوجهة أسلموا لرجوتني في المحبة أسلموا

وقال فيها منها بالصحيح

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| وأصح كتبهم على المشهور | جمع البخاري أن ذاك معظـم |
| وقوله مسلم الذي خضعت له | في الحفظ أفتاق الربال وسلموا |
| فهي أصح الكتب فيما يحتلـي | الاكتاب الله فهو مقـم |
| قل للمخالف لا تعاهد أسـم | يا شك في خطي البخاري مسلم |
| رسم المصنف بالصحيح فكل ذي | عقل غدا طوعا لما هو يرسم |
| هذا يفوق بنفسه ويفقهـه | لا سيما التتويج حين يترجم |
| وأما الحسين بجمعه ورواه | فأجمع بينهما الطريق الأئـم (١) |

ولم يقف به الأمر عند حد الاستيعاب المصحح ولكل ما كتب حوله بل تخطى ذلك وبذل فيه
جهودا موفوره ومشكوره نذكرها واحدا تلو الآخر بادئين بتعليق الصحيح وعوالمبحث الذي
نحن بصدده وفيه عدة أمور - الأول تعريف التعليق - الثاني صيغ التعليق - الثالث
أنواع التعليق وأحكامها والأسباب التي دعمت البخاري إلى إياد التعليقات في صحيحه
- الرابع وصل هذه التعليقات - فلنبدأ في توضيح هذه الأمور على الترتيب كما نكره فنقول -

أولا تعريف التعليق

هو أن يحذف من أول الأسناد رجل فصاعدا معبرا بصيغة لا تقتض التصريح بالسماع مثل

(٢)

قال ورؤي أبو هريرة ويذكر وما أشبه ذلك .

(٣)

وكانه مأخوذ من تعليق الجدار وتعليق الطلاق ونحوه لما يشترك فيه الجميع من قطع الاتصال

غير أن ابن حجر يرى " أن أخذه من تعليق الجدار فيه بعدد وأما أخذه من تعليق الطلاق

(٤)

وغيره فهو أقرب للتسمية لأنهما معنويان .

(١) ديوان ابن حجر ص ١/٦١/١ ، ٦/٦ (٢) تنبذ الصلاح المقدم ص ٣٠ ابن حجر التعليق

(٣) ابن الصلاح المقدم ص ٣١ (٤) ابن حجر التعليق ص ٣٠

وأما صيغ التعليل التي أوردها البخاري في صحيحه فهي نوعان

الأولى : تفيد القطع وتقضي الجزم بصحة الحديث المعلق إلى من علقه عنه البخاري مثل

قال وفعل وذكر رأيا حكما صحيحا .

الثانية : لا تقتضي الجزم بصحة الحديث المعلق إلى من علقه عنه مثل يروى ويذكر وتسمى

صيغ التعمييض وهذه لا تفيد الصحة بل يتوقف فيها سياق من حيث ذلك بعد قليل (٢)

ثالثا : أنواع المعلقات ومادعا البخاري إلى إيرادها في صحيحه (٣)

على أن الأحاديث المعلقة التي أوردها البخاري في صحيحه نوعان

الأول : أحاديث مرفوعة ويقصد بها ما أضيفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أحاديث موقوفه ويقصد فيها ما أضيفت إلى الصحابة والتابعين .

فأما النوع الأول وهو الحديث الموقوف فله حالتان .

فتارة يذكره موصولا في مكان آخر غير المكان الذي علقه فيه وتارة لا يذكره الا معلقا فالحاله

الأولى : وهو أن يذكره في مكان ثم يذكره معلقا في مكان آخر لا يتصرف البخاري على هذا

النمط الا اذا كان هناك سبب وراءه وعلته تقتضي هذا التعليل وذلك حيث يضيق به مخرج الحديث

انا انه لا يكبر الا لفائدة فتى ضاق المخرج واشتمل المعنى على أحكام واحتاج الى تكبيره فيلصق

في الاسناد بالاختصار خوف التطويل .

الحالة الثانية : هو أن لا يذكره الا معلقا وله صورتان .

الصورة الأولى : أن يذكره بصيغة الجزم مثل قال فيستفاد منها الصحة الى من علق عنه

وجوبا لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث فاما أن يكون ثقة وهو ما يلتحق

بشرطه ، أولا . وهو ما لا يلتحق بشرطه .

أما النوع الأول : وهو ما يلتحق بشرطه فتتلخص أسباب تعليله له فيما يأتي . -
أولا : اما لكونه اخرج ما يقوم مقامه فاستغنى عن إيواءه مستوفى السواق ولم يورد معلقا (٤)
اختصارا . (١)

(١) أورده البخاري في كتاب الايمان في باب حسن اسلام المرء - هذا الحديث المعلق الذي لم يصله في

مكان آخر قاله الشافعي زيد بن اسلم أن عطاء بن يسار أخبره ان ابا سعيد الحذري أخبره أنه سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سلم العبد فحسن اسلامه الحديث ولكنه اخرج في الباب

ايضا ما يقوم مقامه من الاحاديث الموصولة وهو حديث أبي هريرة اذا احسن احدكم اسلامه فكل

حسنه يعملها تكتب له بغير امثالها الحديث فاستغنى بالحديث الموصول عن إيراد هذا التعليل

مستوفى السياق اختصارا .

(٢) الغرور والتقريب ص ٤ .

(٣) التسطا إلى المقدمة ص ٩ ، ١٠٠ مقدم الفتح ص ١٤

ثانيها : وأما لكونه لم يحصل عنده سموعا أو سمعه وشك في سماعه له من شيخه أو سمعه
مذاكرة فما رأى ١٠ أنه يسوقه سابق الأصل وغالب هذا فيما أورده عن مشايخه فمن ذلك
على سبيل المثال أنه قال في كتاب الوكالة قال عثمان بن المؤمنين حدثنا عوف حدثنا محمد
ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة
رضان الحديث بطوله وأورده في مواضع أخر منها في فضائل القرآن وفي ذكر إبليس ولم يقل
في موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر أنه لم يسمعه منه وقد استعمل البخاري هذه الصيغة
وهي قال فيما لم يسمعه من مشايخه في عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة قال فلان
ثم يوردها في موضع آخر بواسطة يمينه وبينهم فعلى سبيل التمثيل أنه قال في التاريخ
الكبير قال إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف فذكر حديثا ثم قال حدثني بهذا
عن إبراهيم ولكن ليس ذلك مطردا في كل ما أورده بهذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه
ولا يلزم من ذلك أن يكون مدلسا عنهم فقد صرح الخطيب وغيره بأن لفظ قال لا يحمل
على السماع إلا ممن عرف من عاده أنه لا يطلق ذلك إلا فيما سمع فافتضى ذلك أن من
لم يعرف ذلك من عاده كان الأمر فيه على الاحتمال (١)

النوع الثاني

أنه أرا أنه لا يسوقه الأصل إنما رآه

ملا يلتحق بشرطه والسبب في تعليقه إيجاب واضح وهو كونه على غير شرطه ومع هذا فقد
يكون صحيحا على شرط غيره كقوله في كتاب الطهارة وقالت عائشة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكر الله على ما أمانه فانه حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه في صحيحه
وقد يكون حسنا صالحا للحج كقوله أيضا في كتاب الطهارة وقال بهذين حكيم عن أبيه
عن جده والله أحق أن يستحي منه من الناس فانه حديث حسن فتورعه بهز أخرجه
أصحاب السنن وقد يكون ضعيفا لا من جهة قدح في رجاله بل من جهة قلة قطع يسير
في أسناده كقوله في كتاب الزكاة وقال طاووس قال معاذ بن جبل لاهل اليمن ايتوني بمريض -
ثياب خضراء وليس في الصدقة مكان الشمير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب محمد صلى الله عليه

(١) مقدم الشيخ ص ١٤

(٢) مقدم الشيخ ص ١٤

(٣) حديث صحيح ما قبل سنده في رواه بغيره بالاستدلال ولا حلة ختمه فادع
ولم الحديث في ما سنده من رجاله وهو كذا في غير ما سنده
وهو الحديث في ما سنده من رجاله وهو كذا في غير ما سنده

عليه وسلم فإن أسنده الى طائوس صحيح إلا أن طائوس لم يسمع من معاذ ^(١) - الصورة الثانية
أن يذكر الحديث المعلق بصيغة التمريض مثل يذكر ويروى وهذه لا يستفاد منها بالصحة
الى من علق عنه والحديث المعلق بصيغة التمريض نوعان صحيح وغير صحيح .

فالنوع الاول وهو الصحيح لم يوجد فيه ولا من ^{سند} يقيه ما هو على شرط المصنف
الا في مواضع تيسره جدا وقد رأى المصنف في هذه المواضع اليسيره التي يكون فيها
الحديث على شرطه أن لا يأتي بصيغته التمريض وذكر ^{ها} الا حيث يورد ذلك الحديث المعلق
بالمعنى من حفظه ولم يجزم به ويكون مسندا في مكان آخر كقوله في كتاب الطب وذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرقي بفاتحة الكتاب فإنه قد أسند الحديث في
موضع من طريق عبيد بن الاخير عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن نفرا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم مروا به فيه ليدع فذكر الحديث في رقيتهم للرجل بفاتحة الكتاب
وأورده كذلك بالمعنى ولذلك لم يجزم به إذ ليس في الموصول انه صلى الله عليه وسلم
ذكر الرقية بفاتحة الكتاب إنما فيه أنه لم ينههم عن فعله فاستفيد من ذلك تقريره وقد
يذكر الحديث معلقا بصيغة التمريض باختصارا وتحفظا مع كونه مسندا في مكان آخر
كقوله في باب وجوب الصلاة في الثياب من كتاب الصلاة - وذكر عن سلمة بن الاكوع أن -
النبي صلى الله عليه وسلم قال يزره ولو بشوك في أسنده نظر فهذا الحديث قد وصله
المصنف في تاريخه وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان واللفظه عن طريق الدراوردي عن موسى
بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة عن سلمة بن الاكوع قال قلت يا رسول الله انى رجل
أصيد أفأصل في القميص الواحد قال نعم زره ولو بشوكه ورواه البخاري أيضا عن اسماعيل بن أبي ابيس
عن ^{أبيه} كوكبه عن موسى بن ابراهيم عن أبيه عن سلمة زاد في الاستناد رجلا ورواه ايضا عن مالك ابن اسماعيل
عن عطاء بن خالد قال حدثنا موسى بن ابراهيم قال حدثنا سلمة فصرح بالتحديث بين موسى
وسلمة فاحتمل أن يكون روايته بن أبي ابيس من عنده في متصل الاسانيد أو يكون التصريح بالتحديث
في روايته عطاء وهما فهذا وجه النظر .

(١) فتح الباري ج ١ أبواب سترو المصلى .
١٥
(٢) فتح الباري ج ١ أبواب سترو المصلى .
١٥

في اسناده " فتح الهاري " ولذلك علقه اختصارا واحتياطا فاما اذا اورد الحديث معلقا بصيغة التعريض ولم يستده فقي موضع آخر فللحديث حيث حالات.

اما صحيح الا انه ليس على شرطه كقوله في باب الجمع بين السورتين في ركعة من كتاب الصلاة ويذكر عن عبد الله بن السائب قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون في صلاة الصبح حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى اخذت سعة فركع وهو حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه في صحيحه من طريق ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول اخبرني ابي سلمة بن سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاصي وعبد الله بن المسيب العبادي كلهم عن عبد الله بن السائب قال قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح بسوره المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهارون الحديث واختلف في اسناده على ابن جريج فقال ابن عيينه عنه عن ابن ابي مليكة عن عبد الله بن السائب أخرجه ابن ماجه وقال ابو عاصم عنه عن محمد بن عباد عن ابي سلمة بن سفيان وسفيان بن ابي سلمة وكان البخاري علقه بصيغة وهذا الاختلاف مع ان اسناده مما تقوم به الحجة اه من مقدمه الفتح ومن الفتح (٢٠)

واما حسن كقوله في البيوع ويذكر عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال -
 ارايتم كل امرئ اذا اكل فاكل
 اذا بعت فاكل وهذا الحديث قد رواه الدارقطني من طريق عبد الله بن المغيرة وهو صدوق عن مثقف مولى عثمان وقد وثق عن عثمان وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه أخرجه أحمد في السند الا ان في اسناده ابن لهيعة وهو رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن الى القاصد من ذلك (٢١)
 لا يضره

واما ضعيف فرد الا ان العمل على موافقة كقوله في الوصايا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدين قبل الوصية وقد رواه الترمذي موصولا من حديث ابي اسحاق السبيعي عن الحارث الاعور عن علي والحارث ضعيف وقد استثنى الترمذي ثم حكى اجماع اهل المدينة على القول به (٢٢)

(٢٢) عدم الفتح ١٦

(١٦) عدم الفتح ١٥

(٢٢) فتح الهاري ٢٠

(١٢) عدم الفتح ١٦

— اما ضعيف فرد لا جابر له وهو في البخارى قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف

بالتضيف بخلاف ما قبله ومثاله قوله في كتاب الصلاة وذكر عن ابن هبيرة رفته لا يتطوع الامام في مكانه ولم يصح وهو حديث أخرجه أبو داود عن طريق ليث بن أبي سليم ضعيف وشيخ شيخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه وبعد فهذا تفصيل وبيان حكم ما في البخارى من التعليقات المرفوعة بصيغتي الجزم والتعريض ومادعاء الى التعليق وقد اتضح ان جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا . (١) انلار

النوع الثاني من انواع المعلقات الاحاديث والاثار المعروفة — هذا النوع من الاحاديث تارة يذكره البخارى في التراجم والا بواجب هذا هو الغالب وتارة اخرى يذكره في الشواهد والمتابعات وهي ليست من موضوع كتابه وانما يذكرها على سبيل الاستشهاد والاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الائمة وحيث ساقها فحكمها انه لا يجزم فيها الا بما صح عنده ولم لم يكن على شرطه ولا يجزم بها في اسناده ضعف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمعينه عن وجه اخر واما بشهرته عن قاله (٢) . هـ بقى علينا في هذا المبحث ان نذكر أمثله لتعليق ابن حجر لهذه التعليقات وهذا ما سنتناوله في الصفحات القليلة القادمة .

الدرر الكريمة
وصل تعليقات الصحيح

تمهيد
للمرآة الساهرة

لم يشر العلماء المتقدمون على ابن حجر في تصانيفهم الى غير معنى التعليق وصيغة لم يتجاوزوا هذا الحد ، اما ابن حجر فقد تعرض لذلك وأوضح ايماء لاضاح وزاد عليه بل و اضاف اليه جديدا — انه بين انواع المعلقات الموجودة في الصحيح واحكامها والاسباب التي حملت البخارى وأدث به الى تعليق هذه الاحاد يشوق بينا ذلك كما كان له لعمري طيبة اخرى في الصحيح لم يسبق اليها سابق ولم يدرك فيها لاحق وهو انه وصل هذه التعليقات الى من طلق عنه البخارى يقول ابن حجر نفسه مينا السبب الذي حمل على القيام بهذا العمل العلمي الضخم

(١) مقدمه فتح الباري . ص ٦٦ (٢) من مقدمه الفتح يتصرف . ص ١٦

وأنه لم يسبقه إليه أحد " ولما كان كتاب الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه قد اختص بالمرتبة العليا ووصف بأنه لا يوجد به بعد كتاب الله مصنف أصح منه في الدنيا " وبين الأسباب في ذلك ثم قال وتأملت ما يحتاج إليه طالب من شرح فوجدته ينحصر في ثلاث أقسام من غير وابع

الأول : في شرح غريب الفاظه وضبطها وأعرابها .

الثاني : في فقه أحاديثه وتناسب أبوابها .

الثالث : في وصل الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفه المعلقة فيه .

وما شبه ذلك من قوله تابعه فلان ورواه فلان وغير ذلك فهان لي أن الحاجه الآن إلى وصل المنقطع منه ماسه وأن كان نوعاً لم يفرد ولم يجمع ومنه لالم يشرع ولم ^{يكرع} وأن كان صرف الزمان إلى تحرير القسمين الأولين أولى وأعلى والمعنى بهما هو الذي حاز القدر المعلى ولكن ملئت منهما بطون الدفاتر فليحص كم فيهما من حلى وسبق إلى تحريرهما من قصارى وقصارى غيرى أن ينسج نص كلامه فرعاً وأصلاً فاستخرت الله في جمع هذا القسم إلى أن حصرته وتبعت ما انقطع منه فكل ما وصلته وصلته " وقد نقل ابن حجر عن الحافظ أبي عبد الله ابن رشد ما نصه بعد أن ذكر التعليق " وأكثر ما وقع للخارى من ذلك في صدور الأبواب وهو مقتدر إلى أن يصف فيه كتاب يخصه يسند فيه تلك الأحاديث ويبين درجتها من الصحة أو الحسن أو غير ذلك من الدرجات وما علمت أحدا تعرض لتصنيف ذلك وأنه لمهم لاسيما لمن له غناية بكتاب البخارى ^(١) أما طريقته التى سار عليها فمنهج الذى اتبعه في وصل هذه التعليقات فقد أوضحت عبارته حيث يقول وتبعت ما انقطع منه أى الصحيح — فكل ما وصلته وصلته وسردته على ترتيب الأصل بأبوابها ، وأبوابها وذكرت من كلام الأصل ما يحتاج إليه الناظر وكان ذاك صواباً وقال في مكان آخر والتزمت في وصل هذه التعليقات أن أسوق ^(٢) أحاديث المرفوعة وآثاره الموقوفه بأسنادى إلى من علق عنه المصنف / لا إلى غيره إلا أن يتكرر النقل من كتاب كبير هو عندى وأكثره بأسناد واحد إلى مصنفه فأنى أحيل عليه غالباً ...

(١) ابن حجر التعليق ص ١ ، ٢ .

(٢) الصدر السابق ص ٢ .

فإن علق الحديث في موضع وأسند في آخر نهبت عليه واكتفيت به إلا أن يختلف لفظ المعلق
ولفظ الموصول فإنه حينئذ على من وصله بذلك وإن لم يسم أحدا من الرواة بل قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثلكذا فأننى أخرجه من أصح طرقه أن لم يكن عنده في موضع (١)
آخر كما سبق وأما التيهوب فإنه يهوب كثيرا بلفظ حديث أو أثر وسوقه في ذلك الباب مسندا
أهورد معناه أو ما يناسبه كقوله في كتاب الأحكام = باب الامراء من قريش وساق في الباب حديث
معاوية لا يزال وال من قريش واللفظ الأول لم يخرجوه وهو لفظ حديث آخر فلم اتكلف
لتخريج ذلك إلا إذا صرح فيه بالرواية (٢)

وقال في مكان آخر * وإذا أخرجنا الحديث من مصنف غير متداول فذلك لفائدتين أحدهما
أن يكون من سمعى والثانية أن يكون عالما ومع ذلك فإنه على من أخرجه من أصحاب الكتب
المشهورة وعلى كيفية ما أخرجه في الغالب (٣) .

ولا يفوتنا ونحن ما زلنا في معرض التحدث عن وصل ابن حجر لتعليق البخاري وأن هذا عمل
له قيمة العلمية أن يشير إلى نقطة لها صلة وثيقة بما نحن بصدده وقد آثارها ابن حجر نفسه
وأوردها في صيغة اعتراض وجواب حيث يقول .

" فإن قيل قد قررنا ما علقه بصيغة الجزم يفيد الصحة الخ . فما الفائدة والحالة هذه
في تكليفك وصله بأسانيدك قلت فائدة ذلك إقامة البرهان على ما قررته وأدحض حجة المخالف
لهذه القاعدة فإن المخالف لها إذا رأى حديثا علقه البخاري ولم يوصل أسناده حكم عليه
بالانقطاع لاسيما أن كان علقه عن شيخه أو عن الطبقة التي فوقه فان قال له خصمه هذا
معلق بصيغة الجزم فطلب منه الدليل على أنه موصول عند البخاري ما يكون جوابه أن أجاب
بأن القاعدة أنه لا يجوز إلا ما صح عنده قال له أنا للترم هذه القاعدة بل الدليل لأنهم
على خلاف الأصل وإنما حكم بما ظهر لي من أن هذا السياق حكمه الانقطاع وأن البخاري لم
يعلق هذا الرجل المعلق عنه وأي فرق يبقى بين هذا وبين المنقطع وإن أجابه بأن الامام
فلان روى هذا الحديث في تصنيفه مسندا متصلا كان ذلك داعيا لرجوعه ^{صلى} وان ^{صلى} لخصومه ولم

(٢) المصدر السابق ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ٦

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧

(١) يوق الا التسليم بقى علينا بعد ما قدمنا أن نورد نماذج تطبيقيه لما وصله ابن حجر من هذه التعاليق على سبيل التمثيل لا الحصر فتقول وبالله التوفيق .

النموذج الاول من كتاب بدء الوحي

قوله فيه أى فى هذا الكتاب حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عفي^{عليه} بن شهاب عن عروة عن عائشه قالت أول ما يدى^ي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الحديث وفيه فرجع الى خديجه يرجف فؤاده وقال عقبه تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح هو عبد الله بن صالح يعنى عن الليث عن عفي^{عليه} ثم قال وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى وقال يونس ومعمري يعنى عن الزهرى ^{ابن} ١ هـ أما متابعة عبد الله بن يوسف فأسندها أبو عبد الله فى احاديث الانبياء فى التفسير عنه مختصره وأما متابعة عبد الله بن صالح فقرأت على محمد بن محمد بن منيع المروزي بسفح قاسيون أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الحسن الانصارى اجازته ان لم يكن سمعا عن اسماعيل بن أحمد الصرامى أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر ابن عمر المدينى فى كتابه قال أن أبا علي الحسن يعنى محمد الحداد أخبره أن أحمد ابن عبد الله بن أحمد حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا ^{مطلب} بن شعيب الأزدي أملا حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث تذكرو^ا بتمامه وروى يعقوب ابن سفيان فى تاريخه حدثنا أبو صالح ومن بكير قال حدثنا الليث به ورواه الرويانى فى مسنده عن محمد بن اسحاق الصفارى عن عبد الله بن صالح به فوقع لنا بدلا عاليا وأما متابعة هلال بن رداد فقال أبو عبد الله محمد بن يحيى الزهلى فى جمعه الحديث الزهرى أخبرني محمد بن مسلم الرازى حدثني أبو القاسم يعنى هلال بن رداد الطائى حدثنا أبي وكان من كتبه هشام قال سمعت ابن شهاب (٢) وأما رواية يونس فأسندها أبو عبد الله فى التفسير عن سعيد بن سليمان عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رزق عن أبي صالح سلجوه عن عبد الله بن المبارك عن يونس بتمامه وقد رواها الطبرانى فى المعجم الكبير عن ^{هارون} بن كامل عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يونس وأما

(١) ابن حجر التعليق ص ٧

(٢) بن شهاب ص ٨ ، ٩

روايه معمر فأسندها أبو عبد الله أيضا في التفسيرين شيخه عن عبد الله محمد المصنف
عن عبد الرازق عن معمر به ^(١) .

النموذج الثاني :

قوله فيه — أي في هذا الكتاب جحد حديث شبيب بن أبي حمزة عن الزهري عن عبد الله
ابن عبد الله عن ابن عباس عن أبي سفيان صخر بن حرب في قصته نقل الحديث بطوله رواه صالح
ويونس ومعمر عن الزهري ١ هـ وقد أسند أحاديث الثلاثة في الجامع أما حديث صالح ففي
الجهاد . بتمامه عن إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن سعيد عنه وأما حديث يونس ففي الاستئذان
من طريق ابن المبارك مختصرا وفي الجزية من طريق الليث بن سعد كلاهما عنه .
وأما حديث معمر ففي التفسير من حديث هشام بن يوسف وعبد الرازق كلاهما عن معمر به ١ هـ .

النموذج الثالث من كتاب الايمان

قوله في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وكتب معمر بن عبد العزيز الى
عدي بن عدي ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وستنا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم
يستكملها لم يستكمل الايمان فان اشد فاعاينها لكم حتى تعطوها بها وان امت فما انا على صحبتكم
بحريص ١ هـ

أما الحديث المعروف فأسنده في الباب الذي بعده من حديث شكره ابن خالده عن بن عمر
وفي بعض النسخ أسنده في الباب وأما اثر عمر ابن عبد العزيز فأخبرني عبد الله بن عمر بن علي
فيما قرأه عليه أخبرني يحيى ابن يوسف المقدس اجاز ان لم يكن سمعا عن عبد الوهاب
بن رواج الا زوى ان عبد الواحد بن عسكرا لمخزومي أخبره قال أخبرنا أبو صادق مرشد ابن يحيى
١ بن القاسم المديني قال أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الفارس حدثنا الحسن بن روهيق العسكري
حدثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد الوكيعي حدثنا أبو بكر بن أبي شبيب حدثنا أبو أسامة عن جرير بن
حازم حدثني عيسى ابن عاصم حدثني عدي بن عدي قال كتب الي عمر بن محمد بن عبد العزيز أما بعد فان للايمان
فرائض قلت فذكره ^{مكرر} وهو اسناد صحيح رجاله ثقات رواه أحمد بن حنبل فـ

(١) المصدر السابق ص ٩ .

(٢) ص ٩ المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ص ٩ .

أما حديث قيس بن سعد فقال ابن عدي في الكامل أخبرنا أبو العلاء الكوفي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الجراح بين مليح البهراني حدثنا ^{أبو} الراقع عن قيس بن سعد قال لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المكرو والخديعة في النار لكتبت من أكر الناس وأما حديث أبي هريرة فرواه البزار في مسنده وأسناده ضعيف فقد به عبيد الله بن أبي حميد عن أبي الملح عن أبي هريرة وله طرق أخرى أخرجهما أبو الشيخ في كتاب الترهيب له وفي أسناده جهالة وقال إسحاق بن راهويه في مسنده حدثنا كلثوم بن محمد بن أبي سدره حدثنا عطاء الخرساني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المكرو والخديعة في النار فيه انقطاع بين عطاء وأبي هريرة وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين عن عبدان بن محمد المروزي عن إسحاق بن عمار وأورده ابن عدي في ترجمة كلثوم وقال أنه روى حديث لا يتابع عليه ^{أبو} الخرج عن علي بن الحسين ابن عبد الرحيم عن إسحاق به .

وأما حديث ابن مسعود فوقع لنا غالبا قرأت على مريم الأسدي عن علي بن عمر الوائلي سمعنا عليه أن عبد الوهاب بن رواج أخبرهم قال أخبرنا السلفي أخبرنا أبو عبد الله الشافعي حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المعدل أملا حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد ابن علي حدثنا أبو خليفه ح وقرأت على الحافظ أبي الفضل بن الحسين أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى أخبرنا عمر ابن محمد أخبرنا أبو المواهب بن ملوك أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري أخبرنا أبو أحمد الفطوف حدثنا أبو خليفه وقال الطبراني في المعجم الصغير حدثنا — أبو خليفه حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا أبي حدثنا عاصم عن رز عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المكرو والخديعة في النار ومن غشنا فليس منا

^{الطبراني} ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي خليفه فوافقناه بمثل ما قال ^{الطبراني} لم يروه عن عاصم إلا الهيثم هرد به ابنه عنه قلتوا له يهشام والد عثمان روى عنه جماعة غير ابنه منهم أبو خليفه وقال أبو حاتم لم أرفى حديثه مكروها وأما حديث ثنيس فرواه الحاكم في المستدرک من طريق سنان ابن سعد عنه وزاد فيه والخيانة وفي أسناده فقال وقد وقع لي من طريق أخرى مرسلًا قرأته على —

فاطمة بنت محمد ابن عبد الهادي عن علي بن يحيى الطاطبي أن الرشيد أسفاهل بن أحمد
العراقي أخبرهم عن الحافظ أبي طاهر السلفي أن جعفر بن أحمد السراج أخبره قال أخبرنا
أبو محمد الجوهري حدثنا محمد بن خلف حدثنا أبو بكر بن سيار حدثنا أبو صالح حدثنا
اللبث عن أبي غسان المدني عن محمد بن سيرين قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العكر والخديعة في النار أ ه °

فان كان حديثنا في محفوظا فاحتل أن يكون محمد بن سيرين سمعه منه ورواه ابن المبارك في البر والصله عن عفص بن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المكروا الخديعة فذكر مثله وأما حديث من عمل عملا الحديث فهو وعند المؤلف من حديث القاسم عن عائشه وسياق في الكلام عليه في الصلح لم نعثر عليه لأن التفليق لا يوجد منه نسخه كامله .

النموذج الثامن من كتاب الشركة والرهن

قوله باب الرهن مركوب ومحلوب وقال مغيره عن ابراهيم تركب الضالة بقدر علفها وتحلب
بقدر علفها في الرهن مثله اما قول ابراهيم في الضالة فقال سعيد بن منصور حدثنا هشيم اخبرنا
مغيره عن ابراهيم في الضالة قال تركب بقدر علفها وتحلب بقدر علفها واما قوله في الرهن فقال سعيد
بن منصور حدثنا هشيم حدثنا مغيره عن ابراهيم قال الدابة اذا كانت رهونه تركب بقدر علفها واذا كان
لها لبن يشرب منه بقدر علفها ورواه ابن ابي شيبة عن يحيى بن آدم عن حسن بن صالح عن
مغيره بمعناه اهـ .

النموذج التاسع من كتاب العتق

قوله باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العبيد اخراكم فاطعموهم مما تأكلون هذا طرف من حديث
استنده في الباب المذكور عن طريق أبي نذر بمعناه لكنه بلفظ الخرد فليطعمه مما يأكل .

النموذج العاشر : من كتاب الوصايا والوف

قوله فيه عقب حديث مالك بن النضر: نافع عن ابن عمر ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت بـليتين
الا ووصيته مكتوبة عنده تابعه محمود بن مسلم عن عمرو بن عثمان عن غيلان الغفاري عن أبي حمزة الثمالی عن

حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا عمر بن ابن ابان حدثنا محمد بن مسلم هو الطائفي عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمسلم أن يبيت ليلتين الا وصىته مكثره عنده قال البخاري قطنى ثمر بن جهمان عن محمد بن مسلم وقال ابن عدى لعمران بن ابن ابان عن محمد بن غوث بكثيره ولم يذكر حجة عنده فبهذه نماذج قد منها على سبيل التمثيل يتضح منها أن ابن حجر قد بدل جهداً أسفورياً وسمى سحراً مشكوكاً فى وصل هذه التعليل باسناده الى من علق عنه البخارى تارة ' وأما الاشارة الى من وصلها من اصحاب الكتب المستخرجات تارة اخرى على أنه احكاماً يصل بعض هذه التعليل باسناده الى من علق عنه البخارى كماله يقف على من وصلها وقد اشار ابن حجر الى إمكان وقوع مثل هذا حينه قال

" فاستخرجت الله فى جمع هذا القسم الى أن حصره وتبعت ما انقطع منه فكل ما وصلت اليه وصلته " (١) ومنطوق عبارته " فكل ما وصلت اليه وصلته " أن قد وصل كل ما استطاع أن يصل اليه تارة باسناده — هو — العلى من علق عنه البخارى وتارة بالاشارة الى من وصله من اصحاب الكتب والمستخرجات ومنه موصىء أن ما لم يتسطح وصله وام يقف على من وصله وتركه معلقاً وهاكم نماذج من ذلك

— النموذج الاول : قال البخارى

فى كتاب الايمان وقال ابن عمر لا يبلغ عهد حقيقتا ليعين حتى يدعها حالت فى الصدر قال ابن حجر : لم ألق عليه ثم قال وفى الترمذى والحاكم من حديث شعيب السعدى معنى هذا مرفوعاً ولفظه لا يبلغ العهد أن يكون من المتيقن حتى يدعها لا بأس به حد والمائة بأس

— النموذج الثانى —

(٢) قال البخارى فى كتاب الاذان وقال عثمان بن جبلة وأبو داود عن ثوبان لم يكن بينهما الا قليل . قال ابن حجر لم تتصل لنا رواية عثمان بن جبلة الى الآن وزعم مغلطاي ومن تهيج أن الاسماعيلى وصلها فى مستخرجه وليس كذلك فان الاسماعيلى إنما أخرجه من طريق عثمان بن عمر لا من طريق عثمان بن جبلة .

ابن جرير

وكذا لم تتصل لنا رواية وهو الطياليسى فيها يظهر لى وقيل هو الخضرى وقد وقع لنا مقصود روايتهما

من طرق

(١) ابن جبلة تغليق التعليق ص ٢

(٢) باب كم بين الاذان والاقامة .

عن طريق عثمان بن عمر وابي عامر جميعها عن شعبه بلفظ وكان بين الاذان والاقامة قريب

النموذج الثالث : . . .

باب الاجراء بالظهر في سنة ٢ في سجدة ذكر الجهر في الجهر
قال البخاري في كتاب مواقيت الصلاة تابعه سفيان وحيي وابوعوانه عن الاعمش

قال ابن حجر بعد أن بين من وصل متابعتي سفيان وحيي .
(١)
وأما متابعة أبوعوانه فلم أتف على من وصلها عنه .

النموذج الرابع : -

باب من أضاف الصلاة من بكا والصبي بعد أن ذكر الجهر في الجهر
قال البخاري في كتاب الجماعة تابعه بشر بن بكر وابن المبارك وحيي عن الازاعي .
قال ابن حجر بعد أن بين من وصل متابعة بشر بن بكر وابن المبارك .
(٢)
وأما متابعة يحيى وهو ابن الوليد فلم أتف على من وصلها .

على أنه من خلال قرائتي وحيي وقف على حقيقته وهي أن ما فات ابن حجر من وصل هذه
التعليق أو الوقوف على من وصلها إنما هو نذر يسير لا يقدح في جهده ولا يقلل من قيمة ما قام به
في هذا الصدد كعمل على وراثته فكري عظيم لم يصل إليه أحد
وقد جمع ابن حجر ما وصله من هذه التعليقات باسنادها أو وقف على من وصله وضم بعضها إلى بعض
في سفر ضخيم سماه " تفلح التفلح واخفاء عن عيون معاصريه ممن اشتغلوا بفن الحديث
وعباره ابن حجر نفسه تشير إلى ذلك حيث يقول -

" ونهيت عن عيون المتأخرين أن اطلعت في افاق الكمال شهابا وسميت " تفلح التفلح " لأن
التيار
أسانيد كانت كالأبواب المفتحة ففلقت وموتته ربما كان فيها اختصار " فكلت واشقت " .
(٣)

وهو أول تصانيفه كما يذكر صاحب الشذرات وقد فرغ منه كما يذكر هو نفسه سنة ٨٠٤ هـ يقول البخاري
(٤)
عن هذا المصنف " هو كتاب نفيس يشتمل على وصل التعليقات المرفوعة والاثار الموقوفة والمقطوعة الواقعة في
صحيح البخاري وله الفخر الكبير لكونه لم يسبق إلى جمعه .

في تأليف ولا يوجد التعرض لشيء منه الا في الناهي من التصنيف وقف عليه كبار مشايخه وشهدوا (١)
بأنه لم يسبق إلى وضع مثله وصرحوا بأن هذا النوع جدير بأن يفرد بالتصنيف وقد كمل تبييضه في سنة ٧٨٠ هـ

(٢) باب من أخف الصلاة من بكا الصبي .

(٤) ابن حجر انتفاض الاعتراض ص ٢ .

(١) باب الاجراء بالظهر في شد قال الحر

(٣) ابن حجر تفلح التفلح ص ٢

(٥) البخاري الجواهر ص ٦٢ ٨

ثالثا : ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك كروايته في كتاب الفتن من طريق معمر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " بتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله أبا هو قال القتل القتل " .

ورواه من طريق أخرى فقال حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا شقيق قال جلس عبد الله وأبو موسى فتحدثا فقال أبو موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم " ان بين يدي الساعة لا يأما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج والهرج القتل " .

وفي رواية جرير عن الأعمش عن أبي وائل فقال أبو موسى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله والهرج بلسان الحبش القتل .

وفي رواية واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال أبو موسى والهرج القتل بلسان الحبش ، فالرواية الأولى صريحة في أن تفسير الهرج موفج والروايات تدل على أنه موقوف فأورد البخاري الروايتين ليثبت أن الحكم فيهما كذلك (١) .

رابعا : ومنها أحاديث يروونها بعض الرواة تامة وبعضهم يروونها مختصرة فيروونها كسابا جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها .

كروايته في كتاب العلم بالسند المتصل إلى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم " لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكه في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " .

ورواه أيضا في فضائل القرآن من طريق أبي هريرة تامة بزيادة فقال رجل لبتني أوتيت مثل ما أوتيت قلان فحملت مثل ما يحمل " .

وكروايته عن أبي التاج عن أنس قال . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان من أشرط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا " ورواه من طريق أخرى عن شعبه عن قتادة عن أنس قال لا أحدثكم حديثا

(١) ابن حجر مقدمة الفتح ص ١٣ .

لا يحدثكم به أحد بعدى . . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من
أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال
حتى يكون لخمسین امرأة قیّم واحد " . . (١)

خامساً : ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل
معنى وحدث به آخر فمير عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر
فيورده بطرقه اذا صحت على شرطه ويقرر لكل لفظاً باباً مفرداً كروايته في كتاب التمسك
حديث شعبه قال حدثني أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول دخلت أنساً
وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم
فدعت بآناء نحو آمن صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها . " الحديث .
وروى البخاري أيضاً حديث حنظلة عن القاسم عن عائشة قالت " كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة ههنا يشنئ نحو الحلاب فأخذ بكفه فبدأ يشقه ،
الايمن " الحديث .

ففي الرواية الاولى عبر أبو سلمة عن الآناء الذي اغتسلت منه عائشة بنحو صاع
ولذا ترجم البخاري باب الغسل بالصاع ونحوه .

وفي الرواية الثانية عبرت عائشة عن الآناء بنحو الحلاب وهو يحتمل أن يكون
نحو من الطيب ولذا ترجم البخاري - باب من بدأ بالحلاب أو اللب عند الغسل ٣ " .
سادساً : ومنها أنه صحح على هذه القاعدة أحاديث يشتمل كل حديث منها على معان
متغايرة فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الاولى .
كقوله في كتاب الوضوء حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو
بن دينار قال أخبرني كريب عن ابن عباس قال " بت عندنا لتي ميمونة لبله
فقام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل " وفيه " فتوضأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من شئ معلق ثم صلى ما شاء الله .

(١) المصدر السابق ص ١٢ ١٣ .

(٢) ابن خجر مقدمة الفتح ص ١٣ المصدر السابق ص ١٢ .

ورواه أيضا في كتاب الوضوء عن طريق حخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس
ولكنه بلفظ " فصلى ركعتين ثم ركعتين " كرر ذلك ست مرات " ثم أوتر .
ورواه أيضا في أبواب الوتر عن حخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس وفيه
هذه القدر من عدد الركعات .

ورواه في التفسير عن طريق شريك بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس بلفظ
" فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين " .
وهذه الرواية تخالف الروايتين السابقتين لأن فيهما أنه صلى ثلاث عشرة ركعة وهذا
الاختلاف على كريب لا يقتضيه في صحة الحديث بل الحديث صحيح .
لأنه قد ورد من طريق أخرى عن شعبة عن الحكم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ،
بلفظ " فصلى أربع ركعات ثم نام ثم صلى خمس ركعات " وهذه الرواية أخرجها المصنف
في التفسير أيضا فبان بذلك أن حديث كريب عن ابن عباس صحيح ، ويجمع بين هذه
الروايات بأي طريق من طرق الجمع المتعارف عليها غير طريق الرواية (١) .
سابقا : ومنها أنه يخرج الحديث عن أصحابه و يورده عن أصحاب آخر والمقصود منه
أن يخرج الحديث عن حد الضاربة وكذلك بفضل في أهل الطبقة الثانية والثالثة
وهلم جرا السج مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرر وليس
كذلك لاشتماله على فائدة زائدة .

فمثال روايته عن أصحابه ثم يورده عن أصحاب آخر كى يخرج عن حد الضاربة
قوله في كتاب الفتن حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من حمل علينا السلاح فليس منا " .
ورواه أيضا عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من حمل علينا السلاح فليس منا " .

ومثال روايته عن أهل الطبقة الثانية مكررا حتى يخرج عن حد الضاربة قوله في
كتاب العلم حدثنا قتيبة قال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن من الشجر شجرة لا يسقط
ورقها وأنها مثل النخيل " الحديث .

(١) ابن حجر مقدمة الفتح ص ١٢٣ المصدر السابق ص ١٢٠
في كتاب التفسير ما أخرجه أبو داود في كتابه التفسير
في حديث كريب عن ابن عباس في كتاب الوضوء
وفي حديث كريب عن ابن عباس في كتاب الوضوء
وفي حديث كريب عن ابن عباس في كتاب الوضوء

ومثال المتن المرتبط بعبءه ببعض وهو مشتمل على حكيم قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سأله أى الإسلام خير فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " . . . وسند الحديث أخرجه البخارى من طريق عمرو بن خالد بسنده الى عبد الله بن عمرو فى كتاب الايمان باب الطعام الطعام وأخرجه أيضا بلفظه من طريق قتيبة بسنده الى عبد الله بن عمرو فى باب السلام من الإسلام وربما ضاق مخرج الحديث حيث لا يكون له الطريق واحدة فيتصرف فيه حينئذ فيورده فى موضع موصولا وموضع معلقا .

مثاله ما رواه البخارى فى كتاب الجهاد من طريق طاوس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية** . . . وذكره معلقا فى كتاب الايمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية بلفظ وقال النبى صلى الله عليه وسلم " ولكن جهاد ونية " فاخصره بالاضافة الى تعلقه اياه ويورده تارة تاما وتارة مقتصرا على طرفه الذى يحتاج اليه فى ذلك الباب .

ومثالهما أورده وأخرجه فى أبواب الكسوف من طريق عبد الله بن مسعدة بسنده الى ابن عباس قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصللى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قبا ما طويلا نحو من قراءة سورة البقرة وفيه . . . انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أصبته لأكثتم منه ما بقيت الدنيا وأريت الناس فلم أر منظرا كالיום قط أفظح ورأيت أكثر أهلها النساء " الحديث .

وساقه المصنف فى كتاب الايمان باب كفران العشرة من طريق عبد الله بن مسعدة بسنده الى ابن عباس مقتصرا على طرفه الذى يحتاج اليه فى هذا الباب وهو " ورأيت النار فاذا أكثر أهلها النساء يكفرن " الحديث .

هذا ما يتعلق بتقطيعه للحديث وتفريقه له على الابواب ولا يفوتنا نحن لانزال بهذا الصدد أن نسوق ما حكى عن بعض شراح البخارى من أنه قد وقع فى بعض نسخه أى البخارى فى إثبات الحج بعد باب قصر الخطبة بصرفه باب التعجيل الى الموقف قال أبو عبد الله يروى فى هذا الباب حديث مالك عن ابن شهاب ولكنى لا أريد أن أدخل فيه معادا بجميع أسناده ومثله وان كان وقع له من ذلك **لكنى** فمن غير قصد

وهو قليل جدا وقد أشار ابن حجر الى غالب هذه المواضع وحدتها اثنان وهشرون كما ذكر القسطلاني في مقدمته قال " وقد رأيت ورقة بخط الحافظ ابن حجر ، نصها نبذة من الاحاديث التي ذكرها البخاري في موضعين سندنا ومثنا - حديث عبد الله بن يقطين رضى الله عنه انما انبجرت فيه شحم في آخر الخمس وفي الصبد والذبايح حديث انس اصيب حارثة فقالت أمه في غزوة بدر وفي الرقاي وما ذكرناه من الحدِيثين انما هو على سبيل التمثيل لا الحصر خشية التطويل المؤدى الى السأم والملل على أن ابن حجر قد فاته قليل من هذه المواضع وقد أشار اليها القسطلاني في مقدمته حيث يقول " ورأيت في البخاري أيضا حديث أبي هريرة كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام في باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء من كتاب الاعتصام وفي تفسير سورة البقرة وفي باب ما يجوز من تفسير التوراة في كتاب التوحيد أهـ .

الـثـالـث . . . بيان اقتصاره على بعض الحديث .
ان من يقرأ الصحيح برويه وامعان يتضح له أن البخاري أحبنا - يسوق بعض الحديث ثم لا يذكر باقية في موضع آخر ولا يقع له ذلك في الغالب الا حيث يكسرون الحذف موقوفاً على الصحابي وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا يتعلق له بموضوع كتابه كما وقع له في حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إن أهل الإسلام لا يسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون هكذا أورده وهو مختصر من حديث موقوف أوله جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال انى أعنت عبد الله بن مسعود فمات وترك ما لا ولم يدع وارثاً فقال عبد الله ان أهل الإسلام لا يسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولى نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتخرجت في شيء فنحن نقبله منك ونجعله في بيت المال فاختصر البخاري على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله إن أهل الإسلام لا يسيبون لانه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرح لذلك الحكم واختصر الباقي لانه ليس من موضوع كتابة أهـ (١)

(المبحث الثالث)

شرح تراجم أبواب البخاري وتوضيحها

تمت

ينبغي أن نشير إلى أن البخاري تفقه على علماء بلده من أهل الرأي وحفظه تصانيف عبد الله المبارك ووكيع بن الجراح . . . وهما من أجل علماء الرأي — قبل غروجه لطلب الحديث كما لقي في رحلته كثيرا من فقهاء المذاهب حتى اجتمع لنفسه بنفسه .
لذا لما ألف كتابه الجامع لم يكن قصده وكل همه الاقتصار على تخريج الاحاديث الصحيحة المتصلة بحسب ، بل أودع فيه من التاريخ والسيرة والتفسير حيث نظر في آيات الاحكام وانتزع منها الدلالات البديعة وسلك الى تفسيرها السبل الوسيعة كما استنبط النكت الحكيمة والاحكام الفقهية من متون الاحاديث وفرقها على الابواب بحسب تناسبها مترجما بها للديريه ويقصد اليه وقد تناول ابن حجر هذه التراجم فوضع لها ضوابط ونوعها وقسمها وأزال ما في بعضها من حشأ ومغرض حتى يتجلى عرض البخاري منها وسوف أشير في تفصيل ذلك لافاقول الترجمة هي العنوان الذي جعله رمزا لما قصد اليه ^{البخاري} ثم يسمو تحتها الاحاديث وهذه الترجمة نوعان : ظاهرة ، خفية .
فالظاهرة : أن تكون الترجمة دالة بطريق المطابقة على ما ساقه من الاحاديث التي تضمنتها كأن يقول هذا الباب الذي فيه كيت وكيت كتابة عن الافعال أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني .

وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له كقوله في كتاب الجهاد — باب جهز غازيا أو خلفه بغير هذه الترجمة لفظ حديث الباب " من جهز غازيا فقد غزا " الحديث .
وكقوله في كتاب الطب — باب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء — فهذه الترجمة لفظ حديث الباب " ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء " .
وقد تكون ببعض الفاظه كقوله في كتاب العلم " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فهذه الترجمة بعض حديث الباب ومما (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله) الحديث .

والشرح تراجم أبواب البخاري

وكثيرا ما يترجم بأمر يختص ببعض القوائم لا يظهر في يادى الراى كقوله - باب استنباط الامام بحضرة رعيته - فانه لما كان الاستنباط قد يظن أنه من أفعال المهنة فعمل بعض الناس يظن أن اخفائه لولسى مراعاة للمروءة فلما وقع في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم استنابك بحضرة الناس دل على أنه من باب الطيب لا من الباب الاخر نه على ذلك من دقيق العبد ويعقب ابن حجر على ذلك فيقول "ولم أر هذا في البخارى فكانه ذكره على سبيل المثال *"

وكثيرا ما يترجم بلفظ بوحى الى معنى حديث لم يصح على شرطه أو باتى بلفظ الحديث الذى لم يصح على شرطه صريحا في الترجمة وبورود في الباب ما يؤدى مغناها - تارة بأسر ظاهر وتارة بامر خفى ومن ذلك قوله في كتاب الوضوء - باب لا تقبل صلاة بشيى طمور - فهذا حديث ليس على شرطه أخرجه مسلم وأبو داود وأورد فيه ما يقوم مقامه وهو " لا تقبل صلاة من أحد حتى يتوضأ " الحديث *

وكقوله باب اذا التقى الختانان - فهذا حديث ليس على شرطه أخرجه البيهقي وأورد فيه حديث " اذا جلس بين شعبها الا يبع ثم جهدها فقد وجب الفحل " وروى الكوفي أحبا نا بلفظ الترجمة التى هى لفظ حديث لم يصح على شرطه وأورد معها أثرا أو آية فكانه يقول لم يصح في الباب شىء على شرطه يقول ابن حجر وللغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر أنه ترك الكتاب بلا تبين وبالجملية فتراجعه حيرت الافكار وأدهشت العقول ولا بصار ولقد أجاد القائل أعيا فحول حل رموزها أبداه في الابواب من أسرار (١) *

وبلاحظ أن البخارى أحبا نا بذكر الترجمة ولا يذكر تحتها حديثا وقد قال ابن حجر عن مثل هذا كأنه أراد أن يكتب حديثا فاختار منه المنية قبل ذلك * كما يلاحظ أنه أحبا نا أخرى بذكر لفظه باب فقط من غير أن يسوق بعدها ترجمة وقد أشار ابن حجر الى أن ذلك كالفصل من الباب قبله *

على أن ولى الله الدهلوى في شرح تراجم أبواب البخارى رأى أن مثل هذا الاخير من البخارى بمنزله ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة

تحقيقه للاحاديث التي انتقدها بعض الحفاظ في كتاب الجامع الصحيح

تمهيد :

ليس هناك كتاب يجل عن أن تناله أقلام الباحثين بالنقد ويرتفع عن أن يسجلوا عليه ما أخذهم الا كتاب الله تعالى ، فانه " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " . . . " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٢) وما وراء ذلك من سائر الكتب والمؤلفات مهما بلغت درجته من الصحة وأيا كانت قيمته العلمية فنية مجال للنظر معرض للنقد والمؤلفه والتفنيد وكتاب الجامع الصحيح مع جلاله قدره وسمو منزلته بين كتب السنة واتفق العلماء على أنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى قد سجل عليه بعض الحفاظ ما أخذهم ووجهوا طعنونهم وانتقاداتهم التي عدد من أحاديثه وقد أشار السيوطي هذه الانتقادات بعض من له عناية بالصحيح من العلماء .

فابن الصلاح مثلاً قال مصرحاً بأن في الجامع الصحيح أحاديث متنازع فسيح صحتها ولم تثلق بالقبول وعبارته في هذا الصدد " الا مواعع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره " ٣

والامام النووي أيضاً أشار إلى هذه الانتقادات فقال في مقدمته شرح مسلم ما نصه " فصل قد استدرك جملة على البخاري ومسلم أحاديثاً خلا فيها بشرائهما ونزلت عن درجة ما التزمه وقد ألف الدارقطني في ذلك وغيره وقد أجيبه عن ذلك أو أكثره " ٢٠

وقد جاء من بعدهما الحفاظ ابن حجر فتنبع هذه الانتقادات وحرقها ~~وقسمها~~ وقسمها وأجاب عنها وأظهر أن هذه المآخذ لا تؤثر في أصل موضوع الكتاب الا في القليل النادر وقد سلك ابن حجر في تحقيق هذه الاحاديث والا جابسة عنها طريقين - اجمالاً وتفصيلاً . . . " ٤ .

(١) سورة هود آية رقم ١
(٢) سورة فصلت آية رقم ٤٤
(٣) مقدمة فتح م ٢٤٤

أما الاجمالى فيتلخص فيما يأتى :

لا ريب فى تقديم الشيخين على أئمة عصرهما ومن بعده فى معرفة الصحيح والمعلل وقد أشرنا عند الحديث على كتاب الجامع الصحيح ان البخارى قال " ما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخبرت الله تعالى وثبتت صحته " وروى الامام مسلم أنه قال " عرضت كتابى على أبى زرقعة الرازى فكل ما أشار الى أن له علة تركته " فإذا علم هذا وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا ما ليس له علة أو له علة ^{الا} أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام مسن انتقد عليهما يكون كلامه معارضا بتصحيحهما ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فبندفع الاعتراض ^{من حيث الجملة} . (١)

ثانيا : الجواب التفصيلى وملخصه

أن الاحاديث التى انتقدت عليهما تنقسم الى ستة أقسام :

الاول ما تختلف الرواه فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد فان أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيده وعلة الناقد ^{بالتاريخ} بالطريق الناقصة كما فى حديث ابن جريج انه أخرجه عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عنه عبيد الله بن كعب بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد الحديث قال الدارقطنى وقد خالف فيه ^{عنه} ابن جريج معمر ا فقال عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر قال الدارقطنى ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من غالفه قال الحافظ ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه الى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر (٢) فهو تعليل مردود ^{لأن الراوى} ان كان سمعه بالزيادة لا يضر لانه قد يكون سمعه بواسطة عن شبيهه ثم لقبه فسمعه منه وان كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع كما فى حديث لاعمش عن مجاهد عن طاوس .

(١) ابن حجر المقدمة ص ٣٤٥

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٦٣ ٣٤٥ حديث رقم ٤٥

عن ابن عباس في قصته القبرين وأن أحدهما كان لا يستبرئ من بوله . . . قال
الدارقطني وقد خالفه منصور فقال عن مجاهد عن ابن عباس وأخرج البخاري حديث
منصور على أسنانه طائفة وهذا الحديث أخرجه البخاري في الطهارة عن
عثمان بن أبي شيبة عن جرير وفي الأدب عن محمد بن مسلم عن عبيدة بن حميد
كلاهما عن منصور به ورواه من طريق أخرى من حديث الأعمش وأخرجه باقي الأئمة
الستة من حديث الأعمش وأخرجه أيضا أبو داود أيضا والتمسائي وابن خزيمة في
صحيحه من حديث منصور أيضا وقال الترمذي بعد أن أخرجه رواه منصور عن مجاهد
عن ابن عباس عن الأعمش أصح يعني المتضمن للزيادة . . . قال الحافظ ابن حجر
وهذا في التحقيق ليس بهلة لأن مجاهدا لم يوصف بالتدليس وسامعه من ابن عباس
صحيح في جملة من الأحاديث ومنصور عندهم أئمة من الأعمش أن الأعمش أيضا
من الحفاظ فالحديث كفيما دار على ثقة والامتناع كفيما دار كان متصلا
فمثل هذا لا يفتح في صحة الحديث إذا لم يكن راويه مدلسا وقد أكثر الشيعان
من تخريج مثل هذا (١) والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يهل الصحيح (٢)
وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلة الناقد بالطريق المزيدة تضمن
اعتناؤه دعوى انقطاع فيما صححه البخاري فينظر إن كان ذلك الراوي صاحبيا أو ثقة غير
مدلس قد أدرك من روى عنه أدراكا بينا أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق
أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض به .
وإن لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه
إنما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع ومضاد أو ما حقه قرينه في الجملة تثويه ويكون
التصحيح وقع من حديث المجموع وذلك كحديث أبي مروان عن هشام بن عروة عن أبيه
عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها إذا صليت الصبح
فطوفى على بحيرك والناس يصلون .

(١) مقدمه الفتح ص ٣٤٨ حديث رقم (٢)

(٢) المقدمة ص ٣٤٥ .

الحديث قال الدارقطني فهذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه
عن زينب عن أم سلمة ووصله مالك عن أبي الأسود وعن عروة كذلك في الموطأ .
قال الحافظ بن حجر حديث مالك عند المصنف في هذا المكان مقرون بحديث
أبي مروان وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الاصيلي في هذا عن هشام عن أبيه
عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزني في الاطراف لكن معظم الروايات
على اسقاط زينب وهو الصحيح المحفوظ من حديث هشام وانما اعتمد البخاري
فيه رواية مالك التي أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التي سقطت
منها حاكبا للخلاف فيه عن عروة كما دلت مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس مستبعدا (١)
الثاني ما ذكره المؤلف في بعض الروايات فيه بتفسير رجال بعض الاسناد فان أمكن الجمع بأن
يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعا ، فأخرجهما المصنف ولم
يقصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك — أي الاسناد — متعادلين
في الحفظ والعدد . (٢)

وذلك كما في البخاري في بدأ الخلق من حديث اسرائيل عن الاعمش ومنصور
جميعا عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في غار فنزلت والمرسلات الحديث قال الدارقطني لم يتابع اسرائيل عن الاعمش عن علقمة
أما عن منصور فتابعة شيبان عنه وكذا رواه غيره عن ابراهيم . (٣)
قال الحافظ ابن حجر وقد حكى البخاري الخلاف فيه وهو تحليل لا ينسب (٤)
وان امتنع الجمع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متفاوتين في الحفظ والعدد ،
فيخرج المصنف الدارقطني الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير اليها والتحليل
بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قاطع إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب
بوجوب الضعف وحيث قد ^{تضمن} الاعتراض عما هذا سبيله في البخاري في كتاب الجنائز
من ذلك حديث الليث عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن جابر أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يجمع بين قتلى أحد ويقدم أقرأهم قال الدارقطني . . رواه ابن المبارك

ص ٤٦٦

(١) مقدمة ص ٣٥٦ حديث رقم ٢٤ .

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٦٣ حديث رقم ٤٨ .

(٣) مقدم لفتي ص ٤٦٦

عن الاوزاعي عن الزهري مرسلًا عن جابر ورواه معمر عن الزهري عن ابن أبي صفيرة
عن جابر ورواه سليمان ابن كثير عن الزهري حدثني من سمع جابرا وهو حديث مضطرب^١
قال الحافظ بن حجر أطلق الدارقطني القول بأنه مضطرب مع إمكان مفسى
الاضطراب عنه بأن يفسر المبهم الذي في رواية سليمان بالمص الذي في رواية الليث
وتحمل رواية معمر على أن الزهري سمعه من شيخين وأما رواية الاوزاعي المرسلة
فقصر فيها بحذف الواسطة فهذه طريقة من ينفي الاضطراب عنه وقد ساق البخاري
ذكرًا لخلاف فيه وإنما أخرج رواية الاوزاعي مع انقطاعها لأن الحديث عنده عن
عبد الله بن المبارك عن الليث والاوزاعي جميعًا عن الزهري فاسقط الاوزاعي^٢
عبد الرحمن بن كعب وأثبت الليث وهما في الزهري سواء وقد صرحا جميعًا
بسماعهما له منه فقلب زيادة الليث لثقتة ثم قال بعد ذلك ورواه سليمان بن كثير
عن الزهري عن سمع جابرا وأراد بذلك اثبات الواسطة بين الزهري وبين جابرا
فيه أي في السند المذكور في الجملة وتأكيده رواية الليث بذلك ولم يره
البخاري - علة توجب اضطرابًا وأما رواية معمر فقد وافقه عليها سفيان بن عيينة فرواه
عن الزهري عن أبي صفيرة وقال ثبتني فيه معمر فرجعت روايته إلى رواية معمر ولا
يخفى أن رواية الليث أرجح الروايات وأن البخاري لا يعمل الحديث بمجرد الاختلاف
أهـ (٢)

الثالث : ما تفرد بعض الرواه بزيادة فيه دون من هو أكثر عددًا وأضبط من
لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به إلا أن كانت الزيادة منها فيه بحديث يعمد
الجميع أما أن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحدث المستقل فلا سبب
لا يؤثر نعم إن صح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام
بعض رواة فيؤثر ذلك وفي الصحيحين من ذلك في كتاب العتق حديث قتادة عن
النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة من أعتق شقيقهما وذكر^٣
الاستسقاء من حديث ابن أبي عروة وجابر بن حازم قال الدارقطني وقد روى هذا
الحديث شعبة وهشام وهما أثبت الناس في قتادة فلم يذكر في الحديث الاستسقاء^٤

(١) هو أحد الشيخين المذكورين للزهري وبهذا لا يكون اضطراب أصلاً

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٥٤ حديث رقم ١٧

هـ م س ع

ووافقهما وفصل الاستسقاء من الحديث فجعلهما من رأى قتادة لا من رواية أبي
هريرة وهذا أولى بالصواب من حديث ابن عروة وجريير بن حازم قال الحافظ بن حجر
تعقيبا على ما ذهب إليه الدارقطني وقد اختلفت فيه على همام وعلى هشام

وأثبتت الكلام عليه في تقريب المنهج بترتيب المدرج أ هـ (١)

الرابع : ما انفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم وليس في صحيح البخاري من هذا
القبيل غير خديش بن في كتاب الجهاد وقد تويعا .

أحدهما / حديث أبي بن عباس بن سهل بن سعد - الساعدي الانصاري - عن
أبيه عن جده قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم فارس يقال له اللخمي - صف
قال الدارقطني وأبي هذا ضعيف ضعفه أحمد وابن معين وقال النسائي ليس بالقوي ،
لكن تابعه عليه أخوه عبد الله بن عباس وروى له الترمذي وابن ماجه (٢) .

ثانيهما : حديث اسماعيل بن أبي أوس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر
استعمل مولى له يسمى هنيبا على الخصم الحديث بكوله قل الدارقطني انما
ذكر هذا الموضوع من حديث اسماعيل خاصة وأعرض عن الكثير من حديثه عند البخاري ،
لكون غيره شاركة في تلك الاحاديث . وتفرد بهذا فان كان كذلك لعلم بتفرد هنيب
عنه عن بن عباس فرواه عن مالك كرواية اسماعيل سواء . (٣)

الخامس : ما حكم فيه بالوهيم على بعض رجاله فنه ما يؤثر - ذلك الوجه قدحا
وانما يرويه عن مثل هذا اعتمادا على كون ما رواه معروفا من رواية الثقات فسيلا
يكون ذلك فادحا في صحة الحديث ومثاله حديث أبي مالك الاشعري عنه صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم ليكون في أمي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعاشر الحديث
وقد خالف في ذلك ابن حزم فزعم أن هذا الحديث وإن أخرجه البخاري فهو غير صحيح
لأنه قال فيه هشام بن عمار وساقه بإسناده فهو منقطع ^{وهو} ما لا يؤثر كان بكهـ
ضعف الضعيف المذكور طرا بعد أخذه عنه باختلاط حديثه عليه غير فادح فيما رواه قبل
في غير من استقامته فان الثقة اذا خلط الاختلال ضبطه بهرم أو نحوه قبل حديثه
من أخذ عنه قبل الاختلاط .
السادس : ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا لا يترتب عليه قدح لا مكان
أكثر

(٢) مقدمة الفتح ص ٢٦٠
(٣) مقدمة الفتح ص ٢٨٦

(١) مقدمة الفتح ص ٣٥٩ حديث رقم ٣٤

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٨٦

(٣) مقدمة الفتح ص ٩٤

الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح كحديث جابر في قصة جملة الذي اشتراه منه النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلفت الطرق التي فيها الاشتراط وعدمه ورجع الأولى على الثانية وروى كون الثمن غير أرقبية وخرج كونه أوقبية وحديث أبي هريرة في قصة ذي البدن حيث وقع فيه الاختلاف في التقديم والتأخير وتبدل بعض اللفاظ بأخرى ففي بعض الطرق أنسيت أم قصرت الصلاة وفي بعضها أقصرت الصلاة أم نسيت وفي بعضها كل ذلك لم يكن وفي بعضها لم أنزل ولم تأنس إلى غير ذلك من الأحاديث .

قال الحافظ بن حجر "فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققها وقسمتها وفهرستها لا تظهر منها ما يؤخر في أصل موضوع الكتاب بهمد الله إلا التارة عدة ما في البخاري من ذلك مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تغريبه وهما اثنتان وثلاثون حديثاً ومنها ما تفرد بتغريبه وفي ثمانية وسبعون حديثاً وسوف نسوق فيها بآتي - زيادة على ما تقدم - نماذج من الأحاديث التي حوّلها ابن حجر وحفظها على سبيل التمثيل لا المصير حتى تظهر بوضوح وجلاء جهوده وتحقيقاته وسد بداياه فتقول والله التوفيق . (١)

النموذج الأول : من كتاب فضل

قال الدارقطني وأخبرني البخاري عن أبي معمر عن عبد الوارث عن الحسن بن المعلم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي مسلمة عن عطاء بن يسار عن زيد بن خالد الجهني أنه سأل عثمان بن عفان عن الرجل يجامع أهله ولا يبنى فقال عثمان يرضى وينسى ذكره سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسألت عن ذلك علياً والزييد بن أسير وطلحة وأبي بن كعب فأمروه بذلك قال يحيى بن أبي كثير وأخبرني أبو مسلمة أيضاً أن عروة أخبره أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدارقطني وهذا وهم وهو قولهم أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبا أيوب لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سمعه من أبي بن كعب . (٢)

كذلك رواه هشام بن عروة عن أبيه وقد أخرجه البخاري من حديث هشام بن عروة
 السوابق أنه وقد وافق البخاري مسلم على تخريبه على الوجهين . . . وتسايل
 الخطيب قوله أن أبا أيوب سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً
 فان جماعة من الحفاظ يروونه عن هشام عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه
 قال الحفاظ بن حجر وفاة ما في هذا أن أبا سلمة وهشاماً اختلفاً فزاد هشام
 فيه ذكر أبي كعب ولا يمنع ذلك أن يكون أبو أيوب سمع ذلك من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وسمعه ابننا من أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أن أبا
 سلمة أجاز وأسن وأتقن من هشام بل هو من أثر أن عروة وأبو هشام فكيف
 يقتضي له هشام عليه بل السوابق أن التاريخين صحيحان ويحتل أن يكون الخطيب
 الذي سمعه أبو أيوب من أبي كعب غير اللفظ الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم لأن سباق حديث أبي كعب عند البخاري يقتضي أنه هو الذي سأل النبي صلى
 الله عليه وسلم عن هذه المسألة فتضمن زيادة فائدة . . . وحديث أبي أيوب
 عنده لم يسبق لفظه بل أحال به على حديث عثمان كما تروى وعلى تقدير أن يكون
 أبو أيوب في نفس الأمر لم يسمعه إلا من أبي بن كعب فهو مرسل صحابي وقد
 اتفق المحدثون على أنه في حكم الموصول وقد أخرج مسلم في صحيحه شبيهه
 به ولم يتعقبه الدارقطني وهو حديث ابن عباس في قصة إرسال معاذ بن جبل
 إلى اليمن فإن في بعض الروايات عن ابن عباس ^{سأله} وفي بعضها عن ابن عباس قال
 أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن ^{سأله} ابن حجر يريد أن يصف الدارقطني
 بالتحامل على البخاري أو أن يصفه بالخطأ من مثل ما يفترون به ؟
 على أن ابن حجر قد ذكر تعقبات أخرى على هذا الحديث لغير الدارقطني
 وحققها فقال وتعقب القاسم أبو بكر بن الصوري حديث زيد بن خالد وزعم أن في نسخة
 ثلاث على . . .

الأولى : أن مداره على حسين بن ذكوان الصلبي ولم يوضح بهما أنه من يحيى بن أبي
 ابن أبي كعب وإنما جاء عن حسين قال قال يحيى بن أبي كعب . . .

الثانية :

أنه خولف في نسخة فرواه غيره عن يحيى بن أبي كعب كثير متوقفاً غير مزوع . . .

الثالثة :

أن أبا سلمة قد خولف فيه فرواه زيد بن أسلم عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد
 عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن حماد بن زيد

خالد موقوفاً عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر والبيهقي
عن الأولي أن ابن خزيمة والسراج والإسماعيلي وغيرهم روا الحديث من طريق حسين
بن المعلم وهو حياً فيه بالاخبار ولفظ السراج يسنده إلى حسين أخبرنا يحيى
ابن أبي كثير أن أبا سلمة حدثه الخ .

وأما الجواب عن الثانية والثالثة فالتعليل المذكور بهما غير قاصح لأن
رواية حسين مشتملة على الرفح والوقف مما إذا اشتمل غيرها على الوقف
فقط كانت هي مشتملة على زيادة لا تتفق الرواية الأخرى فتقبل من الحفاظ فتبين
أن التعليق بذلك ليس بقاصح ١٠ هـ (١)

النموذج الثاني : من كتاب الصلاة :

قال الدارقطني وأخرجنا جميعاً حديث شعبة عن عمرو بن جابر إذا جاء أحدكم
والامام يخطب فليصل ركعتين ، وقد رواه ابن جريج وابن عيينه وحمام بن زيد
وأبو داود وأبو عبيد الله بن جريح كلهم عن عمرو بن جابر دخل المسجد فقال له
صليت قال الحافظ ابن حجر هذا يوهم أن هؤلاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجه
الشيخان من رواية حماد بن زيد وسفيان بن عيينه ومسلم من حديث أبي داود وابن
جرير كلهم عن عمرو بن دينار موصلاً ، وإنما أراد الدارقطني أن شعبه خالف هؤلاء
الجماعة في سياق المتن واختصره وهم إنما أوردوه على حكاية قصة
الداخل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بصلاة ركعتين والنبي صلى
الله عليه وسلم يخطب وهي قصة محتملة للخصوص وسباق شعبة يقتضي المصوم في
حق كل داخل فهي مع اختصارها أزيد من روايتهم وليست بشاذة فقد تابعه روح بن
القاسم عن عمرو بن دينار أخرجه الدارقطني في السنن فهذا يدل على أن عمرو بن
دينار حدث به على الوجهين والله أعلم ١١ هـ (٢)

النموذج الثالث : من كتاب الجنائز :

قال الدارقطني أخرجه البخاري حديث داود بن أبي الفرات عن ابن بريدة
عن أبي الأسود عن عمر بن بجنة فقال وجبت الحديث وقد قال علي بن المدبني
أن ابن بريدة إنما يروي عن يحيى بن عمار عن أبي الأسود ولم يقل في هذا

(١) نسخة من ٢٤٨

(٢) نسخة من ٢٥٢

اسحق بن يزيد وهم في نسبة يحيى فقال ابن أبي كثير وانما هو يحيى بن سعيد بدليل روى
رواية عبد الوهاب وأن داود وهشام لم ينسباه .
ثانيهما أنه اختلف فيه على الأوزاعي مع ذلك بزيادة رجل فيه بينه وبين يحيى
ابن سعيد من رواية الوليد بن مسلم وإذا تأملك ما ذكره لم تجد ما اختاره مستقبلا
بل رواية الوليد بن مسلم تدل على أنه لم يكن عند الأوزاعي عن يحيى بن سعيد الا -
بواسطة وقد صح شعيب عنه بأن يحيى أخبره فاقتضى ذلك أن رواية عبد الوهاب بن
نجده إما موهومة وأما مدلسة ورواية اسحاق عن سعد بن صبيح وصريجة وقد وجدت
لا محق فيه متابعا عن شعيب وذلك فيما أخرجه أبو عوانة في صحيحه قال حدثنا أبو
ابراهيم هسم الزهري وكان من الأبدال حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا
شعيب بن اسحاق حدثنا الأوزاعي قال أخبرني يحيى بن أبي كثير فذكره سواء وهكذا أخرجه
الاسماعيلي في مستخرجه من طريق سليمان بن عبد الرحمن لم قال الحديث مشهور
عن يحيى بن سعيد رواه الخلق عنه وقد رواه داود بن رشيد عن شعيب عن الأوزاعي عن
يحيى بن سعيد قال ابن حجر وهو يدل لما قلناه أن رواية الأوزاعي له عن يحيى بن
سعيد مدلسة وعن يحيى بن أبي كثير مسموعة وكأنه كان عند شعيب بن اسحاق عن
الأوزاعي على الوجهين والله أعلم . (١)

النموذج الخامس : من كتاب النفس

قال الخطيب أخرج البخاري عن مسروق عن أم رومان رضى الله عنها وهي أم عائشة
طرفا من حديث الافك وهو وهم لم يسمع مسروق من أم رومان لأنها روى
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان لمسروق حين توفيت ست سنين قال وخفيت
هذه العلة على البخاري وأظن مسلما فطن لهذه العلة فلم يخرجها ولو صح هذا لكان
مسروق صاحبها لا مانع له من السماع من النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه مرسل
قال ورأيت في تفسير سورة يوسف من الصحيح عن مسروق قال سألت أم رومان فذكره
قال وهو من رواية حصين عن شقيق عن مسروق وحصين اختلف فلعله حدث به بعد اختلاطه
وقد رأيت من روايته أخرى عن شقيق عن مسروق قال سألت أم رومان فلعله في رواية

البخارى سألت تصحيح من مثلت وقال ابن عبد البر رواية مسروقة عن أم رومان مرسله
وتبعه القاضى عياض وتبعهما جماعة من المتأخرين المقلدون للخطيب وغيره قال الحافظ
ابن حجر وهندى أن الذى وقع فى الصحيح هو الصواب والراجح . . . وذلك أن مستند
هؤلاء فى انقطاع الحديث إنما هو ما روى عن على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف
أن أم رومان ماتت سنة ستة وأن النبى صلى الله عليه وسلم حضر دفنها وقصد
نهب البخارى فى تاريخه الأوسط والصغير على أنها رواية ضعيفة فقال فى فصل

من مات فى خلافة عثمان رضى الله عنه قال على بن زيد عن القاسم مات أم رومان ^{أصح}
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سنة ست قال البخارى وفيه نظر وحديث مسروق ^{أصح}
مسروقاً سمع من أم رومان فى خلافة عمر وقال أبو نعيم الأصبهاني عاشت أم رومان بعد
النبى صلى الله عليه وسلم ^{أصح} ثم تابع الحافظ ابن حجر كلامه فقال ومما
يدل على ضعف رواية ^{أصح} على بن زيد بن جدعان ما ثبت فى الصحيح من رواية أبي عثمان
التميمي عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أن أصحاب الصفة كانوا ناساً
فقراء فذكر الحديث فى قصة أضياف أبي بكر وفيه قال : قال عبد الرحمن إنما هو
أنا وأمي وأمرأتى وخادم بيتنا الحديث وأم عبد الرحمن هي أم رومان لأنه شقيق
عائشة وعبد الرحمن إنما أسلم بعد سنة ست وذكر الزبير بن يكار عن طريق ابن
عبينه عن على بن زيد أن أسلم عبد الرحمن كان قبل الفتح وكان الفتح فى رمضان
سنة ثمانية فبان ضعف ما قال على بن زيد فى تقبيد وفاة أم رومان سمع ما اشتهر
من سوء حفظه فى غير ذلك فكيف ^{تعمل} به الروايات الصحيحة المعتمدة والله أعلم (١)

النموذج السادس : من كتاب الطلاق :

قال أبو على الغساني قال البخارى حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام
ابن يوسف عن ابن جريج قال : قال عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين
من النبى صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .
تعبه أبو مسعود الدمشقي فقال ثبت هذا الحديث بهذا الإسناد سوى الحديث
المقدم فى التفسير من تفسير ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وابن جريج
لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذ الكتاب من ابنه عثمان ونظر فيه

قال أبو علي الخراساني وهذا تنبيه بدعي من أبي مسعود فقد روينا عن صالح بن أحمد
 (بن حنبل عن علي بن المديني قال سمعت هشام بن يوسف يقول قال لى جريح
 سألت عطاء يعني ابن أبي رباح عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال اعفنى
 من هذا قال هشام بعد إذ قال عطاء عن ابن عباس قال الخراساني قال هشام
 فكيفنا ثم ملكتنا يعني كيفنا أنه عطاء الخراساني قال علي بن المديني كتبنا
 أنا هذه القصة لأن محمد بن ^{شور} كان يجعلها عطاء عن ابن عباس فظن
 الذين حملوها عنه أنه عطاء بن أبي رباح قال علي يعني ابن المديني -
 وسألت يحيى بن القطان عن حديث ابن جريح عن جريح عن عطاء الخراساني فقال
 ضعيف فقلت ليحيى أنه يقول أخبرنا قال لاشيء كله ضعيف إنما هو من كتاب دفعه
 إليه .

قال الحافظ ابن حجر ففيه نوع اتصال ولذا استجاز ابن جريح أن يقول
 فيه أخبرنا لكن البخاري ما أخرجه الا على أنه من رواية عطاء ابن أبي رباح
 وأما الخراساني فليس من شرطه لأنه لم يسمع من عباس ثم استدرك الحافظ بعد ذلك
 فقال لكن القائل أن يقول هذا ليس قاطع في أن عطاء المذكور هو الخراساني
 فان ثبوتهما في تفسيره لا يمنع أن يكون هو عطاء بن أبي رباح أيضا فيحتمل أن يكون
 هذان الحديثان عن عطاء ابن أبي رباح وعطاء الخراساني فهذا الجواب اقتضى
 وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد ولا بد للجواد من كهوة (١)

المسودج السابع . . من كتاب الذبائح :

قال الدارقطني أخرج البخاري حديث عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن كعب
 ابن مالك عن أبيه أن جارية لكعب بن مالك ، وعن مالك عن نافع عن رجل من
 الأنصار عن معاذ بن سعد أو سعد ابن معاذ أن جارية لكعب وعن جويرية
 عن نافع عن رجل من بني سلمة أخبر عبد الله أن جارية لكعب بن مالك . . الحديث
 في الذبح بالمرأة قال وزواه اللبث عن نافع سمع رجلا من الأنصار يخبر عبد الله وهذا
 اختلاف بين وقد أخرجه .

١١٢ الحرف ص ٢٧٢ ٢٧

قال الدارقطني وهذا قد اختلف فيه على نافع وعلى أصحابه اختلف فيه
على عبيد الله وعلى يحيى بن حميد وعلى أيوب وعلى اسماعيل بن أمية
وعلى موسى بن عقبة وعلى غيرهم وقيل فيه عن نافع عن ابن عمر ولا يصح
والاختلاف فيه كثير .

قال الحافظ ابن حجر الحديث كما قال الدارقطني وعنه ظاهرة والجواب
عنه فيه تكلف ومعسف . (١)
النموذج الثامن : من كتاب الادب :

قال الاسماعيلي أخرجه البخاري عن اسحاق عن أبي المغيرة قال حدثنا ،
الاوزاعي قال حدثنا الزهري عن حميد عن أبي هزيمة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا
الله ومن قال لصاحبه ^{يقال} أقامرك فليصدق قال ولم يقل فيه أحد عن
الاوزاعي حدثني الزهري الا أبو المغيرة وقد رواه الوليد وعمر بن عبد الواحد عن
الاوزاعي عن الزهري ممنعنا ^{رواه} بشر بن بكر عن الاوزاعي قال بلغني عن الزهري
قال وأبو المغيرة وبشر بن بكر صدوقان الا أن ^{يقال} بشر كان يعرض عن مثل هذا .
قال الحافظ ابن حجر وهذا من المواضع الدقيقة ولكن الحديث في الأصل
صحيح عن الزهري وقد أخرجه . البخاري ^{عن} حديثه ^{عن} عمر بن عبد العزيز ^{عن} الزهري
النموذج التاسع . من كتاب الادب :

قال الدارقطني ما ملخصه أن الشيخين أخرجا حديث الاعمش عن أبي
موسى الأشعري المرء مع من أحسب وأخرجاه من حديث الاعمش عن أبي وائل عن
عبد الله أيضا والطريقان محفوظان عن الاعمش .
قال الحافظ ابن حجر فلا معنى لاستدراكه . (٢)
النموذج العاشر . من كتاب الرقاق :

قال الدارقطني أخرجه البخاري حديث أبي غسان عن أبي حازم عن سهل بن
سعد قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يقاتل المشركين فقال هو
من أهل النار الحديث وفيه أن العبيد يعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة
وأنه لمن أهل النار ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة
وانما الاعمال بالخواتيم قال وقد رواه ابن أبي حازم ويعقوب بن عبد الرحمن
وسعيد الجهمي عن أبي حازم فلم يقولوا في آخره وانما الاعمال بالخواتيم .

٢٧٤
٢٧٧ (٢٧٦)
٢٧٧
(١) طهر
(٢) طهر
(٣) طهر

قال الحافظ ابن حجر زاد أبو غسان ^١ وأما الأعمال بالخواتيم وهو ثقة حافظ فاعتمده البخاري ^(١) وما تقدم يوضح أن بعض الانتقادات ضعيف من أسامة ^٢ فلا معنى له كما في النموذج التاسع وبعضها الجواب عنه غير ^٣ شافي كما في النموذج السادس وبعضها الجواب عنه بالتسليم كما في النموذج الثالث والاعتذار عن البخاري فيه وهن وما عدا هذه المواضع النادرة فمحقق ومحرم وأجوبته بحمد الله شافية وكافية وقد قال ابن حجر نفسه عقب استعراض هذه النقبات وتحققها " هذا جميع ما نقبته الحفاظ النقاد العارفون لعل الأسانيد المظلمون على خفايا الطرق وليست كلها من أفراد البخاري بل شاركة مسلم في كثير منها . . . ثم قال . . . وليست كلها فادحه بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدر فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل والبسر منه في الجواب عنه تعسف " أه وبعد ^٤ هذا ما يتعلق بمبحث الانتقادات الموجهة إلى المتن فإلى مبحث الانتقادات والطعنون الموجهة إلى الرجال .

" المبحث الخامس "

تحقيقه ورده على ما وجه من الطعنون إلى رجال صحيح البخاري .

ذكرنا في المبحث السابق أن بعض الحفاظ والمحدثين انتقدوا على البخاري ، أحاديث أو دعوا في صحيحه ونود أن نشير هنا إلى أنهم طعنوا عليه كذلك في عدد من الرجال الذين روى عنهم وأخذ منهم وبلغ عدتهم عثمان بن غبر ^١ هاتيك الطعنون ^٢ في الصحيح ولا تقلل من قيمته العلمية في نظر العلماء ، ذلك أن المظنون فيهم غالبهم من شيوخه الذين لقينهم وجالسهم وعرف أحوالهم وأطلع على أحاديثهم فهو بهم وبأحوالهم أعرف ولهم أخير يضاف إلى ذلك أنه لم يكسر من تخريج أحاديثهم وقد انبرى الحافظ ^٣ ابن حجر من بين حفاظ عصره بل وتقدم على ^٤ سبقة - فرد تلك الطعنون وبين أساليبها وأجاب عنها فقال . ما مله

ينبغي لكل مصنف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لا يراو كما مقتض لعدالة عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته مع ما أنضاف لذلك من طباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فإلى

الصحيحين فهو بمثابة اطلاق الجمهور على تعديل من ذكر فيها هذا
 من خرج له في الاصول أما من خرج له في المنايع والشاهد والتعليق فدرجاتهم
 متفاوتة في الضبط والعدالة وغير ذلك مع حصول اسم الصدق وحيث اذا وجدنا لقبه
 طعنا في أحدهم فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الاسم بتخرجه له فلا يقبل
 الا مبهين السبب مفسر بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقا أو في
 ضبطه لخبر بعينه لان الاسباب الحاملة للثبوت على الجرح والقبح مختلفة
 ومتفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح فربما ظن ما ليس بقادح قادحا وقد وقع
 من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فلا يعتمد بذلك الا
 بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضغفروهم
 لذلك ولا أثر له مع الصدق والضبط وضعف بعضهم بعضا تحاملا كما حصل بين
 الاقران - وغير ذلك مما لا عبرة به .

من أجل هذا كله لا يقبل الطعن في أحد منهم الا بقادح واضح لان
 اسباب القبح كما أشرنا اليه متفاوتة ومختلفة ومداها على خمسة أشياء
 أولا - البدعة ... ثانيا - المخالفة ... ثالثا ... الفلط ... رابعا ...
 جهالة الحال ... خامسا ... دعوى الانتطاع في المنع بأن يدعى السراوى
 بأنه كان يدعى أو يرسل وهناك بآنها بالتفصيل ليوضح ويستبين ما بعد قائلها
 في رجال الصحيح فيؤثر حيثن وما لا يعد قادحا فلا أثر له فنقول وبالله
 التوفيق .

أولا ... جهالة الحال ... أما جهالة الحال فمنها نوعان عن جميع من
 أخرج لهم في الصحيح لان شرط الصحيح أن يكون ^{رواه} معروفا بالعدالة
 فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف في دعواه أنه معروف ولا شك
 أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثلث من زيادة
 العلم ومع ذلك فلا تجد في رجال الصحيح أحدا ممن يسوغ اطلاق اسم الجهالة
 عليه أصلا .

ثانيا : الفلط أما الفلط فتارة يكسر من الراوى وتارة يقل فحيث يوصف بكونه
 كسيرا الفلط ينظر فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية
 غير هذا الموصوف بالفلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريق
 وان لم يوجد الا من طريق واحدة فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة
 ما هذا سبيله وليس في الصحيح من ذلك شيء . (١٠)

الحمد لله
 ٢٨١

وحيث يوصف بقوله الغلط كان يقال سى الحفظ أوله أو هام أو لسه
مناكير غير ذلك من العبارات فالحكم فيه كالحكم في الذي قبله إلا أن الرواية
عن هؤلاء في المناكير أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك (١)
ثالثا . المخالفة . . . أما المخالفة وينشأ عنها الشذوذ ^{والفكارة} فاذا روى الضابط
والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحديث
يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شأن وقد تشدد المخالفة أو يضعف
الحفظ فيحكم على ما يخالف فيه بكونه منكرا ^{وهذا} وليس في الصحيح منه إلا نثر
يسير وقد بين في الفصل السابق .

رابعا : دعوى الانقطاع . . . وأما دعوى الانقطاع فمد فوعة عن أخرج لهم البخاري
لما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن
يسير أحاديثهم الموجودة عنده بالصفة ^{المتقدمة} فإن وجد التصريح فيها بالسماع
انقطع الاعتراض والا فلا .

خامسا : البدعة . . . وأما البدعة فاما أن يكفر الموصوف بها أو يفسق فالبدعة
المكفرة فيها لا بد أن تكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة
كما في الروايات من دعوى بعضهم حلول ^{على} الألوهية ^{في} على أو غيره أو الإيمان برجوعه
إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة .
وأما البدعة المفسقة بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يفلون ذلك الفلو وغيرهم
من الطوائف المخالفين لأصول السنة ظاهرا لكنه مستند إلى تأويل ظاهر سائغ
فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحريز
من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارج الرواة موصوفا بالدانة والعبادة فقبل بقبول
مطلقا وقبل يرد مطلقا .

والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل حديث غير
الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الأعديل وصارت إليه طوائف
من الأئمة وادعى ابن حبان إجماع النقل عليه وفي ذلك نظر .

ثم إن القائمين بهذا التفصيل اختلفوا في بعضهم أطلق ذلك وبعضهم ^{وأما} تفصيلا
فقال إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يشهد بدعته وبزيتها وبحسنها ظاهرا
فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بوجهه في عكسه في حقيق
الداعية فقال إن اشتملت روايته على ما تعود به بدعته قبل ^{ولا} قال الحافظ بن

حجر على هذا اذا اشتطت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلاً هل تروى مطلقاً أو تقبل مطلقاً ما لـ أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال ان ^{بإتفاق} ~~بإتفاق~~ غيره فلا يلتفت اليه هو ^{أجاز} ~~أجاز~~ البدعة واطفاء لئلا يراه وان لم يوافق أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع كونه صادقا متحرزا عن الكذب مشهورا بالتدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشره لك السنة على مصلحة اهانتة واطفاء بدعته ١٠ هـ (١)

وبعد ما قدمنا لا ينبغي لنا أن نورد نماذج من أسماء من طعن فيه من رجال الصحيح وحكاية ذلك الطعن وجواب ابن حجر عنه ^{عن أبيه} ~~عن أبيه~~ لفظه وبالله التوفيق ^{الذي} ~~الذي~~ النموذج الاول :

أحمد بن صالح المصري أبو جعفر بن الطبري ٠٠٠ أحد أئمة الحديث الحفاظ المقتنين الجامعين بين الفقه والحديث أكثر عنه البخاري وأبو داود واعتمدته الزهري ^{له} ~~له~~ في كثير من أحاديث أهل الحجاز وثقة أحمد بن حنبل أو يحيى بن معين فيما نقله عنه البخاري وعلى بن المديني وابن نمير والمجلى ^{أجاز} ~~أجاز~~ وأبو حاتم الرازي وأخرون وأما النسائي فكان من الرأي فيه ذكره مرة فقال ليس بثقة ولا مأمون أخبرني في معاوية ابن صالح قال سألت يحيى بن معين عن أحمد بن صالح فقال كذاب رأيت به خطي في الجامع بمصر أ هـ -

قال ابنه ^{أجاز} ~~أجاز~~ فاستند النسائي في تضعيفه ^{أجاز} ~~أجاز~~ ما حكاه عن يحيى بن معين وهو ^{أجاز} ~~أجاز~~ وهم منه ^{أجاز} ~~أجاز~~ اعتقاده سوء رأيه في أحمد بن صالح فنذكر أولاً السبب الحامل له على سوء رأيه فيه ثم نذكر وجه وهمه في نقله ذلك عن يحيى بن معين .

قال أبو جعفر العقيلي كان أحمد بن صالح لا يحدث ،

أحدا حتى يسأل عنه فلما أن قدم النسائي مصر جاء إليه وقد صحب قوماً من أهل الحديث ^{أجاز} ~~أجاز~~ لا يرضاهم أحمد ^{أجاز} ~~أجاز~~ وشرع يشنع عليه وما ضره ذلك شيئاً وأحمد بن صالح امام ثقة وقال ابن عدي كان النسائي ينكر عليه أحاديث وهو من الحفاظ ،

المشهورين بمعرفة الحديث ثم ذكر ابن عدي الأحاديث التي أنكرها النسائي وأجاب عنها ولا وليس في البخاري مع ذلك منها شيء ، وقال صالح جزوة لم يكن بمصر أحد يحفظ الحديث غير أحمد بن صالح وكان يذاكر به حديث الزهري ويحفظه ، وقال ابن حبان ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم وذلك أن أحمد بن صالح الذي تكلم فيه ابن معين هو رجل آخر غير ابن الطبري وكان

وقال له الأشموني وكان مشهوراً بوضع الحديث وأما ابن الطبري فكان يقارب ابن معين في الضبط والاتقان ١٠ هـ

قال الحافظ بن حجر تعليقاً على هذا وهو في غاية التحرير ويؤيد ما نقلناه أولاً عن البخاري أن يحيى بن معين وثق أحمد بن صالح بن الطبري فثبت أن النسائي انفرد بتضعيف أحمد بن صالح بما لا يقبل حتى قال الخليلي اتفق الحفاظ على أن كلامه فيه تحامل وهو كما قاله وروى البخاري في الصحيح أيضاً عن رجل عنه وكذا الترمذي ١١ هـ

النموذج الثاني :

أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني وقد نسب إلى جده قال ابن نمير تركت حديثه لقول أهل بلده وقال الميموني قلت لا حسد ان أهل حران يسيئون الثناء عليه فقال أهل حران قتل أن يرضوا عن أنسان يفتش السلطان بسبب ضيعة له قال الحافظ ابن حجر فأفصح أحمد بالسبب الذي طعن فيه أهل حران من أجله وهو غير قاصح وقد قال أبو حاتم كان من أهل الصدق والاتقان روى عنه أحمد في مسنده والبخاري في الصلاة والجهاد والمناقب أحاديث شروك فيها عن حماد بن زيد وروى النسائي وابن ماجه ١٠ هـ

النموذج الثالث :

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق السبيعي أحد الأثبات قال أحمد ثقة ومعجب من حفظه وقال مرة هو وابن معين وأبو داود كان أثبت من شريك وقال أيضاً كان القطان يحسن عليه في حال أبي يحيى الفقات قال روى عنه من أكبر وقال ابن معين هو أثبت في أبي إسحاق من شيان وقدمه أبو نعيم فيه على أبي عوانة وقدمه أحمد في حديث إسحق على أبيه يونس بن أبي إسحق وكذا قدمه أبو عوانة على نفسه وقال أبو حاتم ثقة صدوق من اتقن أصحاب أبي إسحق وقال ابن سعد كان ثقة وحدث عنه الناس حديثاً كثيراً ومنهم من يستضعفهم يقدم ابن معين وأحمد شعبية والثوري عليه في حديث أبي إسحق وقدمه ابن مهدي وعليهما وقال حجاج الأعور قلنا لشعبة حدثنا عن أبي إسحاق فقال سلوا إسرائيل فإنه أثبت فيها وقال عيسى بن يونس سمعت إسرائيل يقول كنت أحفظ حديث أبي إسحق كما أحفظ السورة من القرآن ،

٧٨٢ م
٧٨٤ م

وقال المجلي ثقة صدوق متوسط فهذا ما قيل فيه من الثناء قال الحافظ
 ابن حجر وبعد ثبت ذلك واحتجاج الشيخين به لا يحمل من متأخر لا خبرة له بحقيقة
 حال من تقدمه أن يطلق على إسرائيل الضعف ويورد الأحاديث الصحيحة التي يروونها
 دائما لا ستنادة إلى كون القطان كان يحمل عليه من غير أن ^{يصرح} يعرف وجوه
 ذلك الحمل وقد بحثت عن ذلك فوجدت الإمام أبا بكر بن أبي خيثمة قد كشف
 علة ذلك وأبا شهاب بما فيه الشفاء لمن أنصف قال ابن خيثمة في تاريخه قبل لبخس
 ابن معين إن إسرائيل روى عن أبي يحيى القنات ثلاثمائة وعن إبراهيم بن مهاجر ثلاثمائة
 يعني مناكير فقال لم يمت منه شيء منهما قلت وهو كما قال ابن معين فتوجه
 أن كلام يحيى القطان محمول على أنه أنكر الأحاديث التي حدثه بها إسرائيل عن
 أبي يحيى فظن أن الكثرة من قبله وإنما هي من قبل أبي يحيى
 كما قال ابن معين وأبو يحيى ضعفه الأئمة النقاد فالحمل عليه أولى من الحمل
 من وثقه احتج به الأئمة كلهم أهـ (١)

النموذج الرابع :

إسماعيل بن أبان الوراق الكوفي أحد شيوخ البخاري ولم يكثر عنه وثقة
 النسائي ^{وقال} وفطن بن معين والحاكم أبو أحمد وجعفر الصائغ والدارقطني وقال
 في رواية الحاكم عنه أثنى عليه أحمد وليس يقوى الجوزجاني كان ماثلا عن الحق
 ولم يكن ^{يكذب} في الحديث قال ابن عدي يعني ما عليه الكوفيون من التشهير
 قال الحافظ ابن حجر - الجوزجاني كان ناصبيا منحرفا عن علي فهو ضد الشعبي
 المنحرف عن عثمان والصواب موالاتهما جميعا ولا ينبغي أن يسمع قول من ^{الفتوى} متدع
 وأما قول الدارقطني فيه فقد اختلف ولهم شيخ يقال له اسماعيل بن أبان ^{الفتوى}
 أجمعوا على تركه فلم يله اشتبه به ١٠ هـ (٢)

٢٨٧ هـ
 ٢٨٨ هـ

اسماعيل بن أبى أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبى عامر
 الأصمحي ابن اخت مالك بن أنس احتج به الشيخان إلا أنهما لم يكثرا من
 تخريج حديثه ولا أخرج له البخارى ما انفرد به سوى حديثين وأما مسلم
 فأخرج له أقل ما أخرج له البخارى روى له الباقر سوى التبعث ^{لنأى} فإنه أطلق القول
 بضعفه روى عن سلمة بن شبيب ^{شبيب} ما يوجب طرح روايته واختلف فيه قول ابن معين
 فقال مرة لا بأس به وقال مرة ضعيف وقال مرة كان يسرق الحديث هو وأبوه وقال أبو حاتم
 محله الصدق وكان مقفلا وقال أحمد ابن حنبل لا بأس به وقال الدارقطنى لا أغناره
 فى الصحيح قال الحافظ ابن حجر ^{وروى} ويقتضى مناقب البخارى بسند صحيح أن
 إسماعيل أخرج له أصوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم له على ما يحدث به
 ويعرض عما سواه وهو مشعر بأن ما أخرجه البخارى عنه هو من صحيح حديثه
 غير ما فى الصحيح من أجل ما قدح فيه التمسائى وغيره إلا أن شاركه فيه غيره
 فيعتبر فيه اهـ (١٠)

النموذج السادس :

ثور
 هو بن زيد الدبلى مولا هم المدنى شيخ مالك وثقة ابن معين وأبو نوعة والنسائى
 وغيرهم وقال ابن عبد البر صدوق لم يتهمة أحد وكان ينسب الى رأى الخوارج والقول
 بالقدر ولم يكن يدعو الى شىء من ذلك وفى الميزان للذهبي اتهمه ابن البرقى
 بالقدر ولعله ^{أشبهه} يشبهه بثور بن يزيد يعنى الذى بعد قال الحافظ ابن حجر
 لم يتهمة ابن البرقى ولم يشبهه عليه وإنما حكى عن مالك أنه مثل كيف رويت عن داود
 ابن الحصين وثور ابن ^{بزييد} وذكر غيرهما وكانوا يرون القدر فقال كانوا لأن يخرؤا من
 السماء الى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا احتج به الجماعة (١٠)

النموذج السابع :

الحسن بن مدرك السدوسى أبو على الطحان قال النسائى فى أسماء شيوخه

(١٠) لم يذكره ٢٨٨
 (١١) لم يذكره ٢٩٤

لا بأس به وقال ابن عدي كان من حفاظ أهل البصرة وقال أبو عبيد الأجرى عن أبي

داود كان كذابا يأخذ أحاديث فهد بن عوف فيقولها على يحيى بن حماد . . .

قال الحافظ بن حجر بن الحمران كان مستند ^{إلى} أبي داود في تكذيبه هذا الفعل فهو

لا يوجب كذباً لأن يحيى بن حماد وفهد بن عوف جميعا من أصحاب أبي عوانة فإذا

سأل الطالب شبهة عن حديث رفيقه ليصرف أن كان من جملة مسموعة فحدثه به أولا -

فكيف يكون بذلك كذابا وقد كذب عنه أبو زرعة وأبو حاتم ولم يذكرا فيه حرجا وهما ما هما في ^{الفقه}

وقد أخرج عنه البخاري أحاديث ^{بشيرة} البصرة من روايته عن يحيى بن حماد مع أنه شاركه

في الحمل عن يحيى بن حماد وفي غيره من شيوخه وروى عنه النسائي وابن ماجه ^{أهـ} (١)

النموذج الثامن :

خالد بن مخلد القطواني الكوفي أبو الهيثم من كبار شيوخ البخاري روى عنه

وروى عن واحد عنه قال المجلسي ثقة فيه تشيع وقال ابن سعد كان متشيعا مفرطا

وقال صالح جزرة ثقة إلا أنه كان مشيعا بالقلوب في التشيع وقال أحمد بن حنبل ^{لـ} مناكير ^{قال أبو حنيفة ما لا يسمع}

^{كذلك} وقال أبو داود صدوق إلا أنه يتشيع فقد قدمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ والاداء ^{إلى}

لا يضره لا سيما ولم يكن داعية ^{إلى} رأي وأما المناكير فقد تتبعها أبو أحمد بن عدي من

حديثه وأوردنا في ^{كامله} ولهم فيها شيء مما أخرجه له البخاري بل لم أر ^{عنه} له من

أفراده سوى حديث واحد وهو حديث أبي هريرة من عادي لن ولها الحديث .

وروى له الباقر بن سوي أبي داود ١٠٠٠٠ هـ (٢)

النموذج التاسع :

^{سالم} بن عجلان الافطس الجزري مولى بني أمية وثقة أحمد والمجلي وابن سعد

والنسائي والدارقطني وغيرهم قال أبو حاتم ^{نفي} صدوق ^{نفي} الحديث وكان مرجئا وقال

الجزري كان بخاصم في الإرجاء داعية وهو في الحديث متماثل ^{وأمر} ابن حبان ،

فقال كان مرجئا بقلب الأخبار وينقرد بالمعضلات عن الثقات انهم بأمر سوء فقتل

(١) لم يدره هـ ٢٤٥

(٢) لم يدره هـ ٢٩٨

صبرا قال الحافظ ابن حجر قد ذكر ابن سعد أن عبد الله بن علي بن عبد الله
 ابن عباس قتله لما غلب على الشام وذكر الشام وذكر العجالي أنه كان مع بني أمية فلما
 قدم بنو العباس حران قتلوه وقال أبو داود وكان إبراهيم الامام عند سالم الافطس
 محبوسا يعني فمات في زمن مروان الحمار فلما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن
 عباس حران دعا به فقتله **فقتله**
 عباس حران دعا به فقتله

فهذا الأمر السوء الذي زعم ابن حبان أنه انهم به وهو كونه ما لأعلى قتل إبراهيم
وأما ما وصفه به من قلب الأخبار وغير ذلك فمر دود بتوثيق الأئمة له ولم يستطع ابن حبان
أن يورد له حديثا واحدا وليس له عند البخاري سوى حديثين أحدهما حديثه عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس الشفاء في ثلاث الحديث * * والأخر بهذا الإسناد
أي الاجلين قضى موسى ولكل منهما ما يشهد له وروى له أصحاب السنن ^{له} لا التوراة ^{له} أهـ (١)

النموذج العاشر :

شيان بن عبد الرحمن النخعي أحد الأثبات قال أحمد ابن حنبل ثبت في كل
 المشايخ وقال ابن معين هو أحب الي في قتادة من معمر وقال أيضا هو ثقة صاحب
 كتاب وقال أيضا ثقة في كل شيء ووثقه النسائي والعجلي وابن سعد والترمذي والبخاري
 وقال الباجي صدوق عنده من أكبر وأحاديث عن الأعمش تفرد بها وقرأت بخط الذهبي
 في الميزان قال أبو حاتم صالح الحديث لا يحتج به . (قال الحافظ ابن حجر) وهو
 وهم في النقل الذي في كتاب ابن أبي حاتم عن أبيه كوفي حسن الحديث صالح
 يكتب حديثه وكذا نقل الباجي عنه وكذا هو في تهذيب الكمال وهو الصواب وأما قول
 الباجي فهو معارض بقول أحمد بن حنبل أنه ثبت . في كل المشايخ ومع ذلك
 فلم أر في البخاري من حديثه عن الأعمش شيئاً لا أصلاً ولا استشهاده نعم أخرج
 له أحاديث من روايته عن يحيى بن أبي كثير ومنصور بن المعتمر وقاتدة وقراس بن يحيى
 وزباد بن علاقة وهلال الوزان واعتمده الجماعة كلهم . أ هـ .

وبعد فهذه نماذج من طعن فيه من رجال الصحيح قدمناها بين يدي
القارئ وقد انضج فيها أن هذه الطعون عند التأمل لا تعد قاذحة في رجال الصحيح
لأن أسباب القدح والطعن التي أوضحناها في أول المبحث لم يتوفر واحد منها
كما وأنه ليس هناك شيء مجمع على الطعن فيه أيضاً فان البخاري لم يكسر من أحاديث
من طعن فيهم من الرجال وإنما هي أفراد قلائل وإذا ذكر هذه الأحاديث فلا بد من
ذكر من تابعها وشاهد لها الأمر الذي يحدونا إلى أن نقول إن هذه الطعون لا تؤثر
فيما أخرجه البخاري في الجامع الصحيح من الأحاديث وبذلك ظل كتابه في أعلى
درجات الصحة والسلامة من الطعون مجمع على تلقيه بالقول من العلماء ١٠ هـ (١)

"المبحث السادس"

تحريره عدد أحاديث الجامع الصحيح

ذكر ابن الصلاح في مقدمته علوم الحديث - أن عدد أحاديث الجامع سبعة آلاف
ومائتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المكررة وبغير المكررة أربعة آلاف وتسعة على ذلك
النووي في التقريب وزاد عليه أنه ذكرها مفصلة وبين السرف في ذلك فقال " ليكون -
كالتمهيد لأبواب الكتاب وتيسر معرفة كل أحاديثه على الطلاب " ١٠ وظل عدد
أحاديث الجامع كما ذكرها ابن الصلاح والنووي ومن لف لفهما - مفسراً عند الحافظ ، الحافظ
والمحدثين مسلماً لديهم إلى أن جاء الحافظ المراقب - المتوفى سنة ٨٠٦ هـ -
فأهدى على ذلك ملاحظة طيبة حيث قال مشيراً إلى ما ذكره النووي وابن الصلاح
" هذا مسلم في رواية القريبي وأما رواية حماد بن شاذان فهي دون رواية القريبي بمائتي
حديث ورواية إبراهيم بن مهمل دونهما بثلاثمائة ثم جاء من بعده الحافظ ابن
حجر وله عناية تامة بالصحيح فوقف عندما قال النووي وثقة لسبت بقصيرة وناقشة في كل
ما قاله وحرره بإياه وبظهر ما كتبه ابن حجر أنه وافق النووي أحياناً في عدد أحاديث
بعض الأبواب ونقص عنه حيناً وزاد عليه أحياناً أخرى فمثال ما وافقه في عدد أحاديثه
كتاب العلم - ذكر النووي أن عدد أحاديثه خمسة وسبعون واليهم خمسة عشر والحديث
سبعة وثلاثون إلى غير ذلك كل هذا وافقه ابن حجر في عدد أحاديثه ومثال ما نقص
عنه في عدد أحاديثه أن النووي ذكر الأحاديث المتعلقة بانقضاء الصلاة سبعة عشر وابن

(١) مقدمة الفتح ص ٤٦٥

(٢) مقدمة القسطنطين ص ١٠١

(٣) لم يذكر ص ٦٦٦

يقول " قد تتبعنا ما ذكر الحافظ ابن حجر وإذا به وقع فيها حذر الناس منه
إذ أنه اعتبر المفردات أساساً مع أنه لو جمعها لوجدناها تبلغ ستة آلاف وأربعة عشر
فإذا أضف إليها ما ذكر ابن حجر من الزيادة وهي سبعمائة واثنان وأربعون تبلغ
سبعة آلاف وأربعمائة وستة وخمسون فإذا طرحنا منها ما أشار إليه الحافظ من أن النوى
ذكره زيادة وهو مائة وستة وثمانون يبقى سبعة آلاف ومائتان وسبعون حديثاً - وهي ما

ذكره ابن الصلاح وغيره - الا خمسة أحاديث ربما نقصت من العدد ٠٠ ص ٢٧ منبر الدمشقي
مقدمه من صحيح البخارى طبع المنبرية ولا ينفي ابن حجر ذلك لان المعترض ليس من المتخصصين
فى الحديث حتى يعارضه وهو الذى قد فنى عمره فيه وأبضا فانتا قررنا قبل أن الخلاف بين
الفرقتين اعتبارى فلا مجال أن نلناصرة فريق على آخر ولا داعى للتعصب بشيخ موجب

” المبحث المايعة ”

(١)
ابضاح ما في الصحيح من الالفاظ الغريبة مع ضبطها .
يقع في كتاب الصحيح كلمات والفاظ غريبة يعسر فهمها وتحتاج معرفتها والوقوف على
معانيها الى النظر في معاجم اللغة العربية وكتبتها وقد اعتنى شراح الصحيح قبل
ابن حجر - بابضاح هذه الالفاظ وبسط معانيها وتقريبها الى الافهام في كتبهم حتى
جعل الامام بدر الدين الزركشي ذلك من منهجه وخطته في شرحه يقول في مقدمة
كتابه التنقيح " اما بعد فاني قصدت في هذا الاملاء الى ابضاح ما وقع في صحيح الامام
الجليل أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري من لفظ غريب واعراب غامض " .

(١) لا يستوى في معرفتها العالم وغيره .
 الاقلا الغريب هو الذي لا يتبعه الا سماع ولا يتفرقه لكونه
 ملكه لا يغيره ولا يدركه الا بالذات اهل

يقال بأوت الشيء إذا ادخرته والاسم البَيُوتَةُ بوزن عَظْمَةٍ ويجوز كسر أوله وتكون الهمزة قال الشاعر :

قال الشاعر :
فإنك إن تبار لنفسك ثمرة
تجدها إذا ما غيبتك المقابر لها
وفي معنى (بسخ بسخ) يقال للشيء إذا ارتقى وقبل إذا عظم وبها لقات ،
اسكان الخاء وكسرهما منونا وبغير تنوين وبضمها منونا ونشد بها مضموما ومنونا واختار
الخطابي اذا كرر تنوين الاولى وتسكين الثانية ومن شواهد التسكين فيها أثول الاعشى
بخ بخ لوالده وللمولود . وهذه النماذج قل من كثر وقطر من بحر ، ومن بظا السبع
الفصل الذى عقده من أجل هذا الغرض فى مقدمته أكبر هذا الرجل وأعظم عمله ،
وقدر سعيه وجهوده . أهـ

المبحث الثامن

بيان المؤلف والمختلف من أسماء الرواة وأندابهم وألقابهم وكناسهم :

بنفسى لنا قبل كل شىء أن نوضح معنى المؤلف والمختلف فنقول . . .
 المؤلف والمختلف هو ما يتفق خطأ ويختلف لفظاً بحسب الحركات والسكنات والاهمال
 والاعجام وقد ألف فيه مصنفات من أجودها كتاب الاكمال . . لا ين ما كولا وهو ما يبيع
 جهله بين معاصريه (١) . ما لم يعرفه يكثر خطؤه فيقتطع امره بين معاصريه
 وقد تتبع ابن حجر ما وقع من هذا النوع فى صحيح البخارى من له ذكر
 فيه أو رواية . . وبينه وضحة وضبطه حتى لا يقع فيه لبس أو اشتباه ورتبه على
 حروف المعجم لتسهيل معرفته والكشف عليه كما وأنه قد قسمه الى قسمين :
 الاول : ما يقع فيه اللبس والاشتباه بغيره مذكور فى الكتاب خاصة .
 والثانى : ما يقع فيه اللبس والاشتباه بغيره ما ذكر خارجا عن الكتاب فمن أمثلة
 القسم الاول النماذج التالية . .
 النموذج الاول :

((الأحنف بالحاء المهملة والنون مقرون بالخاء المعجمة والياء المشناه من تحت
 (٢) (بكرزين حفص) ابن الأحنف له ذكر في الحديث الطويل في قصه صلح الحديبية (٢)
 فذكر البخاري في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب .

(٢) الشرب النوى ص ٤١ القسطاني المقدمة ص ٦٨

(۱) الحنفی ص ۷۱ و طبع

Fit \rightarrow $\frac{1}{1+k}$

((أسيد)) بفتح أوله وكسر السين ^{أبو بصير} عتبة ابن أسيد بن جارية الثقفي له ذكر في قصة صلح الجديبية وعمر بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفي من شيوخ الزهري وقيل فيه عمر بضم السين وضم الهيمزة وفتح السين جماعة (١٠٠)

النموذج الثالث :

((بشار)) بالباء الموحدة وتشديد الشين المعجمة والد بغداد محمد بن بشار البصري شيخ البخاري والجماعة ^{أبو بصير} في الصحيح (واقبة من فيه بهذه الصورة بالياء التحنيطية وتخفيف السين وتقدير السين وثقل الباء التحنيطية أبو المنهال سبار بن سلامة قابض (٢٠٠))

النموذج الرابع : ((آل حارثة))

جماعة وبجيم وياء مثناة من تحت جد عبد الرحمن ومجمع ^{أبو بصير} ابن جارية وجد عمرو ابن أبي سفيان بن أسيد بن جارية وأبو بصير بن أسيد بن جارية وجارية بن قدامق التميمي له ذكر بلا رواية (٧٠)

النموذج الخامس : ((الربيع))

كثير وبالضم وفتح الباء وثقل الباء الأخيرة امرأتان بنت معمر بن عفراء صحابية لها رواية وبنت النفرمة ^{أبو بصير} أم مالك لها ذكر ووقع في الجهاد أم الربيع بنت البراء والصواب أنها الربيع بنت العفراء ^{أبو بصير} النموذج السادس : ((حبان))

بالكسر وياء موحدة مثقلة حبان ^{أبو بصير} موسى وجد أحمد بن سنان بن حبان القطان وهما من شيوخ البخاري وأما حبان بن عطية وحبان بن الحوقلة فلهما ذكر بلا رواية وفتح الحاء واسع بن حبان وابن أخيه محمد بن حبان وحبان ابن هلال ومن عدا هؤلاء بالياء المثناة من تحت وكل ما فيه أبو حبان كنية فهو بالياء ^{أبو بصير} المثناة من تحت (٥٠)

النموذج السابع : ((حصين))

بفتح الحاء وكسر الصاد المهملة كنية عثمان بن عاصم الأسدي ومن عدا بالضم وفتح الصاد وهم أبو الحسن القابض فقال في الحصين بن محمد الانصاري أنه بالضماد ولم يخرج البخاري لحصين بن المنذر الذي يكنى أبا سنان وهو بالضاد المعجمة وأما حضير

٢٠٤ لفتح ص

٢٠٧ لفتح ص

٢٠٤ لفتح ص

٢٠٥ لفتح ص

٢٠٦ لفتح ص

آخره راء مهملة فهو والد أسيد وقد لا يشتبه (١)

النموذج الثامن : ((حَمَل))

كثير وكسر الحاء وتخفيف الميم وآخره راء اسم واحد ذكر في حديث ان رجلا
صاحبيا كان يلقب بذلك (٢٠)

النموذج التاسع : ((حَبَاب))

بضم الحاء وتخفيف الموحدة وهو ابن المنذر له ذكر وكنية عبدالله بن أبي بن سلول
له ذكر وكنية سعيد بن يسار له رواية ومن عدا هؤلاء حَبَاب بفتح الحاء المعجمة وثقبيل
الباء وليس في الكتاب جناب الجيم والنون (٢٠)
(الحَرَامِي) :

بتخفيف الراء في نسب الانصارى ومن عدا بالزاي
(الحَرَانِي) :

نسبه الى حران كثير وبالضم والبدال بدل الراء عقبه بن سهران الحداني ويحيى بن
موسى ختنه فقط (٢١)
(خِبَاط) :

اسم لانسب خليفة بن خباط وفي الكتاب (اثنان بنسبان هذه النسبة أبو خلدة خالد
بن دينار وحريث بن أبي مطر لكن لم يبقا في الكتاب منسوبين وما عدا ذلك فهو الحنباط
بالحاء المهملة والنون (٢٠) بالهمزة

(سَرِيح) في البخارى بهذه الصورة وبالجم اسمان وكنية فالاسمان سريح ابن يونس
وسريح بن النعمان والكنية أحمد بن أبي سريح الرازي والثلاثة من شيوخه وبالشين المعجمة
والحاء المهملة جماعة (٢٠)

(مُحَرَّر)

باسكان الحاء المهملة وكسر الراء بعدها زاي صفوان ابن محرز تابعي وعبدالله ابن محرز
له ذكر في كتاب الاحكام وبالجم المفتوحة وكسر الزاي بعدها زاي أخرى مُحَرَّر المدحجى

(١) لمحمد ص ٢٠٦ (٢) لمحمد ص ٢٠٦
(٣) لمحمد ص ٢٠٦ (٤) لمحمد ص ٢٠٦
(٥) لمحمد ص ٢٠٧ (٦) لمحمد ص ٢٠٧

صاحب ذكر في حديث عائشة في قصة أسامة بن زيد وحكى اسماعيل القاضي عن علي
ابن المدني عن ابن عبينه أن ابن جريج صحفة محرز كالاول واختلف في علقمة
ابن محرز قال البخاري باب مربة عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة ابن محرز المدلجي
ففي رواية ابن السكن وغيره كالاول وضبطه الدارقطني وغيره كاللاني (١) ومن أمثلة القسم
الثاني التماذج التالية .

(أحمد)

كل ما فيه فهو بالحاء والداال وليس فيه أحمدا بالجيم ولا أحمر بالراء .

(الأنباري)

(١) بفتح الهمزة بعد ها ياء تحتانية ساكنة ثم لام جماعة في الكتاب ينسبون إلى
أيلة وليس فيه بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام شيء .
(دكين) بالشيم وفتح الكاف وآخره نون أبو الفضل بن دكين وليس فيه بالراء المهملة
شيء .

(زبير) والد سلم بفتح الزاء والكسر الراء بعدها ياء أخبوه ثم راء أيضا سلمه
بن زبير قال الأصمعي قرأ لنا أبو زيد المرزوي زبير بضم الزاي والصواب الفتح .
(الزبيدي)

(٢) بضم الزاي نسبة إلى قبيلة وليس في الجامع من ينسب إلى البلد وهي بالفتح
(يسرة)

بفتح الباء والسين المهملة هو ابن صفوان شيخ البخاري وليس في الجامع بالباء
الموحدة المضمومة ولا المكسورة مع الشين المعجمة ولا المهملة شيء .
(يعفور)

(٣) بالفاء والراء أبو يعفور الأكبر ياءى والأصغر من شيوخ ابن عبينه ومن هذه التماذج التي
سقناها بظهر بوضوح وجلاء أن ابن حجر قد بذل جهدا واسعا في هذا الصدد وأنه
أزال اللبس والاشتباه عما من شأنه أن يقع فيه ذلك على أننا لاحظت في بعض الأحيان
أنه يذكر ما قاله العلماء في ضبط بعض الاسماء ويرجح قولاً على آخر يشهد لذلك

المقدمة ص ١٤١ (١) المقدمة ص ١٤٢
(٢) المقدمة ص ١٤٢ (٢) المقدمة ص ١٤٦

سلام () بالتشديد كثير ويتخفيف المالم عبدالله بن سلام الصحابي فقط واختلف في محمد بن سلام شيخ البخاري والراجح أنه بالتخفيف وأحيانا أخرى ^{بفتح} بهم وهم بعض العلماء فيما ذهبوا إليه من ضبط الاسماء فحينما ضبط اسم العدوي ووضحه قال .

(العدوي)

كثير وبالألالمجمة الساكنة والراء عبدالله بن ثعلبة بن صفير العدوي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير روى عنه الزهري وقد نسبته أحمد ابن صالح في حديث رواه عنه قال العدوي كالأول فصحفه وإنما هو من بني عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن قضاة وأحيانا يذكره ما كتبه العلماء دون أن يعلق عليه بترجيح أو تضعيف . فحينما ضبط اسم محرز ووضحه قال .

(محرز)

باسكان الحاء المهملة وكسر الراء بعدها زاي صفوان محرز تابعي عبدالله بن محرز له ذكر في كتاب الاحكام وبالجمم المفتوحة وكسر الزاي بعدها زاي أخرى مجرز المد لجسي صحابي ذكر في حديث عائشة في قصة أسامة بن زيد حارثة وحكي اسماعيل القاضي عن علي بن المدني عن ابن عبيدة أن ابن جريج صحفه فقال محرز كالأول واختلف في علقمة بن محرز قال البخاري باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي وعلقمة بن محرز المد لجسي ففي رواية بن السكن وغيره كالأول وضبطه الدارقطني وعبد الفتي كالثاني ١٠ هـ .

المبحث التاسع

تقييد المهملة وتوضيحه :

إن من بطلان كتاب الصحيح يظهر له بوضوح وجلالة أن البخاري روى فيه عددا من الأحاديث عن شيخ له لا يزيد على تسميتهم أو تكليفهم غير ناسب لهم إلى أبائهم أو ذاك الاسمائهم وهذا من شأنه أن يؤدي إلى اللبس والاشتباه بين هؤلاء الشيوخ لا سيما إن شاركهم في هذا الاسم أو تلك الكنية راو ضعيف وقد اعترض عليه العلماء بسبب ذلك (١) .

وقد تكلم في بيان بعض هذا وتوضيحه كثير من العلماء ممن له عناية بالصحيح
 مثل الحاكم أبي عبد الله وأبو نصر الكلاباذي وابن السكن وابن أبي الجيوش وغيرهم (١)
 كالذهبي والمزي (٢) لأنهم لم يستعملوه ^{ولا} أحصوه عدد وجاء علي أثر هؤلاء ^{بعضها}
 الحافظ ابن حجر فلم يفته وهو الذي وهب عمره وقصر حياته على رواية كتاب الصحيح
 — إن صح هذا التفسير أن يقدح زفاد فكرة ويخط بقلمه ويدل به لوه هو الآخر
 في بيان هذا النوع وإيضاحه فتنبه كل الاسماء المهمة والكهن في كتاب الصحيح لمن
 هو من شيوخ البخاري — واستوعبها وضم بعضها إلى بعض وبين جميعها وذكر أقوال
 المؤلف فيها ناسبا كل قول إلى صاحبه منبها على ما فات بعضهم من ذلك باحثا
 عن هذا كله في كتب الرجال والمستخرجات ودواوين السنة وكتب الأطراف وسوف
 المسوق فيما يلي نماذج ^{منها} لتكون خير شاهد على ما قام به ابن حجر
 من عمل وما بذله من جهد في تبين هذا النوع وإيضاحه حتى أزال عنه كل لبس أو اشتبه
 على أنني قد لاحظت أنه أحيانا يسوق ما قاله العلماء قبله في توضيح الماهل وتبينه
 دون أن يعلق على ذلك بترجيح أو تضعيف وهاكم نموذج لذلك .

قال البخاري في باب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام حدثنا اسحاق حدثنا عبد الرحمن
 بن مهزيك ^{عن} أبو بكر منصور الكلاباذي بأنه اسحق ابن ابراهيم الحنظلي ومال ^{عن} الجيوش
 إلى أنه اسحاق ابن منصور وأحيانا أخرى بقوى ما ذهب إليه بعضهم مدعيا
 ذلك بالأدلة وهاكم نموذج لذلك .

قال البخاري في باب كيفية صلاة الليل وفي باب كم يقرأ القرآن حدثنا اسحاق
 حدثنا عبد الله قال الفسافي لم أجده منسوبا لأحد من رواة الكتاب وذكر الكلاباذي أنه
 اسحاق الحنظلي يروي عن عبيد الله ابن موسى قال ابن حجر وقد أخرج أبو نعيم
 الحدِيثين من مسند اسحاق بن راهويه الحنظلي فكان ابن حجر ذكر أن أبا نعيم
 أخرج الحدِيثين من مسند اسحق بن راهويه دليل على أنه ارتضى ما ذكره الكلاباذي
 وبرهن عليه واليك نموذج آخر من هذا النوع قال البخاري في باب فضل صلاة الفجر

(١) المقدمة ص ١٧
 (٢) المقدمة ص ٢٢

وفي باب البيعات بالخيار اذا كان البائع بالخيار هل يجوز البيع وفي باب حد بيت
 ابن النضر وفي باب أجر الصابر في الطاعون من كتاب الطب وفي باب الجعد من كتاب
 اللباس وفي باب المعارض مندوحة عن الكذب وفي باب كانت يمين النبي صلى الله عليه
 وسلم وفي باب اذا أقر بالقتل مرة ^{حدثنا} حسينا اسحاق حدثنا حبان بن هلال قال أبو علي
 الجبائي لم أجد اسحاق هذا منسوبا عن أحد من رواة الكتاب ولعله اسحاق ابن -
 منصور فان مسلما قد روى في صحيحه عن اسحاق بن منصور عن حبان بن هلال قال
 ابن حجر رأيت في رواية ^{راية} أبي علي ~~محمد~~ محمد بن عمر الشيباني في باب البيعان بالخيار
 قد قال فيه حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا حبان بن هلال قال قال أبو علي
 ويقوى ذلك أن اسحاق بن راهويه لا يقول حدثنا وإنما يقول أخبرنا ^(١) وأحيانا لا يرتضى
 ما ذهب اليه بعض العلماء وهاكم نموذجاً لذلك .

قال البخاري في كتاب اللباس في باب هل يجعل نقوش الخاتم ثلاثة أبسط حدثنا
 محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ^{محمد} أنس عن أبي بكر لما استخلف كذب له
^{غير جماعة} الخبر الحديث ثم قال وزادني أحمد حدثنا الأنصاري حدثني أبي ^{غير جماعة} أنس قال كان خاتم
 النبي صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر قال ابن حجر ولم يذكر أبو علي الجبائي
 أحمد هذا من هو وجزم المزني في الاطراف في ترجمة أنس عن أبي بكر أنه أحمد ابن حنبل
 وتبع في ذلك الحميدي .

^{الطريق} ثم قال ابن حجر لكن لم أر هذا الحديث من هذه الطريقة في مسند أحمد فينظر فيه ^(٢)
 وأحيانا يضعف ما ذهب اليه العلماء وبين ^{وهو} مدعاه ذلك بالأدلة وهاكم نموذجاً
 لذلك .

^{القصص} قال البخاري في باب وضع اليمين على اليسرى في صفة الصلاة عقب حديث العقنسي
 عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد وقال اسماعيل يمين ذلك ولم يقل بخفي ذلك
 الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر اسماعيل هذا هو ابن أويس وزعم ^{القصص} فلفطاي أنه
 اسماعيل ابن اسماعيل القاضي وأنه رواه عن ^{القصص} وفيما قاله نظر فان اسماعيل القاضي

١٩٦
لم يذكره أحد من شيوخ البخاري بل هو من أقران ^(١) في الأخذ عن الضعيف وعلى بن
الحسين وأمثالهما والبخاري أكبر منه في غير ذلك وقد وجدت الحديث من رواية اسماعيل
ابن ^{الضعيف} المذكور عن ^{الضعيف} باللفظ الذي ساقه البخاري عن ^{الضعيف} أولاً في المتفق للجورقي
قدل على أنه ليس هو المراد وتضمن أنه ابن أبي أويس والله أعلم . (١)
وأحياناً يذكر قولاً لنفسه على سبيل الاحتمال مقابل ما قاله العلماء وهاكم نموذجاً

لذلك .

قال البخاري في باب من باع نخلاً قد أبرج قال إبراهيم أخبرنا هشام عن ابن
جريج قال المزى إبراهيم هو ابن المنذر وهشام هو ابن سليمان المخزومي لأن ابن المنذر
لم يسمع هشام بن يوسف قال ابن حجر ويحتمل أن يكون إبراهيم هو ابن موسى الرازي .
وهشام هو ابن يوسف ^{مع احتمالنا} بسوق قوله فقط إذا لم يجد لأحد من العلماء
في ذلك مقال إلا أنه يذكره تارة على سبيل الجزم وأخرى على سبيل الترجيح وهاكم
نموذجاً لكل منهما ٦

النموذج الأول :

قال البخاري في الطهارة وفي عدة مواضع حدثنا اسحاق حدثنا خالد . قال
ابن حجر اسحاق هذا حيث أتى فهو ابن شاهين الواسطي وخالد ^{هو} ابن عبد الله
الطحان وقد نسب البخاري في عدة مواضع . (٧)

النموذج الثاني :

قال البخاري في باب افتراء الحرير حدثنا علي حدثنا وهب بن جرير قال ابن
حجر وعلى لم أره منسوباً والظاهر أنه ابن المديني وهاكم نموذجاً آخر لهذا النوع . (٨)
قال البخاري في باب أين يصلى الظهر يوم الترويه من كتاب الحج حدثنا علي سمع أبا
بكر بن عباس قال ابن حجر وعلى هذا لم أره منسوباً ويشبه أن يكون هو ابن المديني ^(٩) ومن
هذه النماذج يتضح أن ابن حجر ما آل جهداً في تتبع هذا النوع وتوضيحه وذكر آراء
العلماء فيه . مع ملاحظة أنه قد رتب على صروف الجمع لتسليص صفته وكشف عليه

(١٠) المقدمة ص ٢٢٠

(١١) المقدمة ص ٢٢٦

(١٢) المقدمة ص ٢٢٩

(١٣) المقدمة ص ٢٢٥

(١٤) المقدمة ص ٢٢٩

تسمية الكنى والأنساب والألقاب :

لم يقف الأمر بابن حجر ^{عنه} حد التعريف بالمهمل من شيخ البخاري وتوضيحه كما
أسلفنا بل تجاوز ذلك ففتح واستقرأ كل ما في الصحيح من كُفٍّ وأنساب وألقاب مما
من شأنه أن يؤدي إلى اللبس والاشتباه والإيهام والغموض ووضحه وبينه بكسر
أسماءهم وهاكم تفصيل لهذه الأنواع .

الفصل الثاني : الكنى :

الكتبه كما يقول العلماء العربيه ما صدرت بأب أو أم وقد وقع في الصحيح كثير من
اشتهروا بكتبته من غير شيوخ البخارى فتنبح ابن حجر هذه الكتب واستقرأها وذكر
أسماء من اشتهروا بها وجمعها في مكان واحد ليسهل الاطلاع عليها ومعرفة ترتيب
ذلك على حروف المعجم وهذه نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر (١)
أبو الاحوص التامى - عوف ابن مالك - أبو بكر بن سالم بن ~~علاء~~ بن عمر ~~بن~~ كنفه
أبو الزناد عبد الله بن ذكوان المدني

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قيل اسمه عبد الله وقيل اسمه إسماعيل — أم الرداء (الرداء)
الكبرى اسمها خيرة بالهمزة ^{المنزوعة} أم الدرداء الصغرى ^{هجيرة} . ويلتحق بهذا
التوع من ذكر باسم أبيه أو جده أو نحو ذلك مثاله :

ابن أبي عبد الرحمن ، ابن أخيه الزهري محمد ابن عبد الله بن مسلم ، ابن بكير
المصري . — يحيى بن عبد الله بن بكير ينسب الى جده ^{ابن} أبي بكر — عبد الله بن
محمد بن أبي بكر السدبقي ينسب الى جده . (٥)

ابن جويج عبد الملك بن عبد العزيز بن جويج نسب الى جده ^{ابن الحنفية محمد بن علي}
^{واسمه باقر له ثلاث من له} ابن ابي طالب نسب الى امه ^{معاوية بن ابراهيم بن مقسم وعليه امه وقيل}
 جدته علي أننى قد لا حظت أن ابن حجر يفرق بين المتشاهرين في الكنية أحبانا (٧)

CPA/CPA CPA/CPA

CPV ۱۰۰۰ (۱)

۲۷۱

(۲) الجند ۱۳۵

(6) لغة صفة

(ه) المخرقة و ٤٤

١٧٠ الفقه من ص ١٧٠

عبد الرحمن

ب يذكر من ~~بعض~~ فانه قال وذلك على سبيل التمثيل *

أبو المنهال عن أبي برزخه سيار بن سلامة - أبو المنهال عن زيد بن أرقم والبراء بن عبد الرحمن بن مطعم المكي وأحيانا يفرق بينهما بالوصف من حيث الكبر والصغر فانه قال أبو يعفور الأكبر

على

التابعي وقدان وقيل ~~محمد~~ واقد *

أبو يعفور الأصغر عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس * ~~كل لا يثبت~~ فانه قد فاته

تسمية بعض أصحاب الكنى فانه قال أبو قيس ~~مولى~~ عمرو بن العاص لا يعرف اسمه أبو كبشة * ~~أبو~~

السلولي لا يعرف لاسمه (١) على أن ما فاته إنما هو ننذر بسير لا يقدح فيما بذله

من جهده بهذا ~~الهدوء~~ ولا يقلل من قيمه عمله الذي قام به ويكفيه أنه قد وقع بذلك *

امكان توهم التعدد في رجال الصحيح فربما ذكر الراوى مرة باسمه وأخرى بكنيته *

فيظن من لا بعرفة عنده أنهما اثنين مع كونهما واحد (٢) *

لأنه (٣) ~~الاضطراب~~

معرفة الأنساب مهمة خصوصا للمشتغلين بعلم الحديث - فكثيرا ما يكون النسب لقبيلة

أو بلد أو صناعة أو مذهب أو غير ذلك مما هو مجهول عند العامة معلوم لدى الخاصة

وربما يقع في كثير منه التصحيف ويكثر الغلط والتحريف لأنه قد ينسب الراوى إلى نسبته

من مكان ~~أو~~ ^{ليس} ~~أو~~ ضيعة وليس الظاهر الذي ينبغي إليه الفهم من تلك النسبة مراد

بل لعارض عرض من نزوله تلك القبيلة أو ذلك المكان أو غير ذلك وقد وقع في الجامع الصحيح

عدد ليس بالكثير من الرواة الذين لا يزيد البخاري على نسبته دون أن يذكر أسماؤهم

وقد تتبع ابن حجر هذه الأنساب وأحصاها وجمعها في مكان واحد وضم بعضها إلى

بعض وذكر أسماء من اشتهر بهذه الأنساب وحررها بما يزيل عنها ما قد يقع من تصحيف أو ناسخ

غلط أو تحريف وسوف نسوق نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر فيما يلي :

الأشجعي عبيد الله بن عبد الرحمن ٠٠ الأويحيى عبد العزيز ابن عبد الله الانتصاري

التيجي سليمان بن طرخان " ١ " وليس من نسبة بل نزل فيهم ٠٠ الملاي أبو نعيم

الفضل بن دكين نسب إلى بيع الملاء التي يلتحف بها النساء - المجرم نعيم بن

عبد الله ٠٠ قال صاحب حاشية القسطلاني - لكن لا يخفى أن هذا لقب له لا نسبة

والكلام في عداد المنسوبين به ومجرم ليس من صيغ النسب ويمكن أنه أراد مطلقاً البصري

أبو مسعود عقبه بن عمرو ~~لا نسبة له~~ وقد اختلف في ذلك الانتساب لشيء وهذا

منسوب للعقب بن نسبة ما على أننى قد حضرت ما ذكره ابن حجر فبلغ خمسة وثلاثين

نسباً كلها محررة متقنة أه ولم يفته منها شيء .

البدرى أبو مسعود ~~عقبه بن عمرو~~ أنه لم ينتسب لشيء وده بدرا عن قول الجمهور

وإن عده البخاري ومسلم وابن الكلبي وآخر بن فبمن شهدها بل كان ساكناً بها .

المسحوق (١) الألقاب :

مهم الألقاب كما يعرفه علماء العربية ما أشعر برفعه أو ذم وما كرهه الملقب من الألقاب

لا يجوز تلقب به وما لا يكرهه فلا " ٢ " ومعرفة ألقاب الرواة مهمة لأنها قد تأتي في سياق

الأسانيد مجردة عن الأسماء فيظن من لا يعرفها أنها أسماء فيجعل من ذكر باسمه في

موضع ويلقبه في موضع آخر شخصين " ٣ " كما وقع لجماعة من أكابر الحفاظ منهم

ابن المديني فقد ~~تلقبوا~~ ^{تلقبوا} بين عبد الله بن صالح أخى سهل بن صالح وبين عباد ابن أبي

صالح فجعلوهما اثنين وإنما عباد لقب لعبد الله بألقاب الأئمة كما قاله النووي (٤) .

وقد ألف فيها تأليف عديدة ~~لأخبرها وأجمعها~~ ^{لأخبرها وأجمعها} ~~لأخبرها وأجمعها~~ ^{لأخبرها وأجمعها}

وقع في سياق أسانيد الجامع الصحيح بعض من هذه الألقاب مجردة عن أسمائها .

فتعقبها ابن حجر وتتبعها وجمعها وضم بعضها إلى بعض بعد أن كانت مفرقة

في ثنايا الصحيح وذكر أسماءها حتى لا يقع وهم أو اشتباه في أن لقب الراوى غير

١- مقدمة الفتح ص ٢٤٣، ٢٤٤ مقدمة القسطلاني

٢- النووي التقريب ص ٤٠ ٣- المصدر السابق

٤- مقدمة القسطلاني ص ٦٤

اسمه وسوف نسوق نماذج من هذه الألقاب على سبيل التمثيل لا الحصر .
 الأول ٠٠٠ عاصم بن سليمان ٠٠٠ وقد وجدت في مقدمة القسطلاني عامر بدل عاصم
 الأزرق ٠٠٠ اسحاق بن يوسف .
 الآخر ~~عبد الرحمن بن هرمز~~ ٠٠٠ الأعشى ~~سليمان ابن مهران~~ (١) ولقد
 أحصيت ما ذكره ابن حجر ~~فبلغ خمسة وثلاثين~~ لقباً كلها محررة متقنة ليم يفقه من ذكر
 أسماؤها شيء وبذلك فقد يصر ابن حجر على من يريد معرفة ألقاب رواة الصحيح .
 وأسألهم الوقوف عليها من غير ما تعب أو نصب وأزال ما عسى أن يكون من توهم أن لقب
 الراوي غير اسمه .

المبحث الحادي عشر

تبيين المتفق والمفترق وتسمية المبهمات :

المتفق والمفترق : يحمل بنا أن نشير إلى أن المتفق والمفترق هو ما اتفق خطأ ولفظاً

وافترق معنى وهذا النوع كثير ما يقع فيه اللبس والاشتباه وعدم التمييز لاتفاق الالسمية

صورة ونطقاً وقد وقع في أسانيد الصحيح من هذا النوع مواضع قليلة جداً تتبعها ابن

حجر وأحصاها وميز بين مسمياتها وحدد المواد منها بقدر وسعه على أننى لاحظت

أن ابن حجر قد فرق ~~المتفرقة~~ أرفع الالتباس بين أفراد هذا النوع بذكر ~~مؤلفيها~~ واليك نموذجاً

على سبيل التمثيل .

أحمد ابن محمد عن إبراهيم عن أبيه في باب حج النساء قال ابن عدى هو أحمد بن

محمد بن عون الغساس ، وقال غيره هو أبو الوليد الأزرق صاحب التاريخ قال ابن حجر

وهذا هو الصواب ٠٠٠ أحمد بن محمد حدثنا عبد الله ابن المبارك قال الدارقطني

هو أحمد بن محمد بن ثابت يعرف بابن شوية وقال الحاكم أبو عبد الله هو أحمد بن محمد

موسى المروزي معروف بمرويه ورجح المزى وعمره الثاني (٢)

١- مقدمة الفتح ص ٢٤٤

٣- مقدمة الفتح ص ٢٢٠

٢- التقريب للنووي ص ٤٣

المبهم هو من أبهم ذكره ولم يسم ويكون في المتن والإسناد ويتوصل لمعرفة بجمع طرق الحديث غالباً ^{وورود} مسمى في بعض الروايات والنظر في كتب السيرة والطبقات وقد وقع في الجامع الصحيح متناً وسنداً كثيراً من المبهمات فتتبعها ابن حجر موضعاً موضعاً وذكر أسماءها وأزال عنها إبهامها ولم يفقه من ذلك إلا قليل والبكم نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر .

النموذج الأول . . . حديث علي بن أبي طالب كنت رجلاً ^{عزاً} فأمرت رجلاً أن يسأل هو

المقداد الأسود من كتاب الفسل .

النموذج الثاني : حديث عائشة امرأة من الانصار قالت كيف أغتسل من الحيف فقال لها

النبي صلى الله عليه وسلم غدي ^{فروجة} من مسك فتطهرى بها - المائلة هي أسماء

بنت يزيد بن السكن وفي رواية لمسلم أنها بنت شكل بفتحين وأبى الدميأطى أنسه

تصحيف وأن الصواب السكن بالمهمله وأنها نسبت الى جدها وبه جزم ابن الجوزي وقبله

قال ابن حجر وهذا رد للأخبار الصحيحة بمجرده التوهم والا فما المانع أن يكونا امرأتين

وقد وقع في مصنف ابن أبي شيبة كما في مسلم فانتفى عنه التوهم وبذلك جزم ^{كصور} ظاهر وأبو موسى : .

المدني وأبو علي الجبلي أه (١) على أن ابن حجر قد فاته نسبة قليل من هذه .

للمبهمات والبكم نماذج ^{ها} فاته من كتب الأيمان .

حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار يعظ أخاه

في الحياء قال ابن حجر لم يسمها جميعاً حديث المعروف لقيت أبا نذر بالريذه وعليه حله ^و وعلى

غلامه حلة لم يسم الغلام من كتب الوضوء

حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقبل صلاة من أحدث

حتى يتوضأ قال رجل من حضر موت ما الحديث يا أبا هريرة لم يعرف اسمه وقد تنبعت

هذا فوجدته نذراً يسيراً جداً ما قيس بها في المبهمات التي يهنيها على أن الرجل ما آل

في ذلك جهداً بل بحث عن هذه المبهمات في دواوين المنة ومستخرجاتها وكتب الطبقات

والسيرة حتى أوضحها لنا أيما إيضاح وما فاته لا ينقص من قيمة عمله ونود أن نختم هذا -

المبحث بما قاله ولي الدين العراقي في هذا الصدد قال ومن فوائد تبين الأسماء
المبهمه تحقيق الشيء على ما هو عليه فان النفس مشوقة اليه وأن يكون في الحديث
منقبة له فتستفاد بمعرفته ^{فصل} فبطلته وأن يشتمل على فعل غير مناسب فيجعل بشعبيته
السلامة من جولان الظن في غيره من أفاضل الصحابة خصوصا اذا كان ذلك من المنافقين
وأن يكون سائلا على حكم عارضه حديث آخر فيستفاد بمعرفته هل هو تابع أو منسوخ
ان عرف زمن اسلامه وإن كان المبهم في الاسناد فمعرفته تفيد ثقته أو ضعفه ليحكم
للدديث بالصحة أو غيرها أه انتهت بحروته (١) وبعد فلم تكن هذه كل جهود
ابن حجر في كتاب الصحيح بل له جهود أخرى وله مؤلفات قيمة مستقلة ^{في} غيرها أولها •
كتاب فوائد الاحتفال في بيان أحوال الرجال المذكورين في البخاري زيادة على
ما في التهذيب الكمال للمزي •

• كتاب في تهذيب المجهول من شيخ البخاري •
• كتاب في ~~تقريب~~ عوالي البخاري وهي ما أخرجه عن شيخ يكون بين أحد الائمة البتة
وبينه واسطه سماه بخبة الدارى بأبدال البخاري •
• كتاب تقريب الغريب الواقع في البخاري اختصره من كتاب القرطبي مع الزيادة عليه من •
الفوائد المهمة فرع منه سنة ٨١٨ هـ (٢)

١- ألفه الحافظ عبد الغنى المقدسي كتاب الكمال أسماء الرجال وقد هذب به الحافظ
المزي في كتاب تهذيب الكمال وقد هذب به ابن حجر واختصره في كتاب تهذيب التهذيب
واختصر تهذيب التهذيب في كتاب تقريب التهذيب ثم اختصره التقريب في كتاب تقريب
التقريب •

٢- الغريب ما انفرد رأو بروايته أو برواية زيادة فيه عن بجمع حديثه كالزهري أحد
الحفاظ وهو أنواع منها الصحيح •

قوله في الصحيحين أفراد من هذا النوع كتاب تقريب المنهج بترتيب
المدرج تناوب فيه تعريف المدرج وأقسامه وبين ما أدرج في أحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم من كلام غيره حتى لا يلتبس بها ومن بين ذلك .. بالطبع .. ما أدرج في
 صحيح البخاري على أننى قد بحثت ونقبت كثيراً عن هذه الكتب فلم يتيسر لى الوقوف عليها
 وما كتبه عنها إنما هي نبذة عطفية أخذتها من كتاب الجواهر والدرر للحافظ السخاوى
~~وفيه كمال السيرة~~ تلميذ ابن حجر وغيره من كتب السيرة على وابن حجر نفسه قد أشار
 إلى كتاب تقريب المنهج عند الكلام على بعض الأحاديث التى انتقدتها الدارقطنسى
 على البخاري وهو حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أرأيت إذا منعت
 الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه" .

ولقد توج ابن حجر جهوده في الصحيح وختمها بشرحه له شرحاً لم يسبق
 إليه في كتابه "فتح الباري" وهذا ما ستناوله في ^{المجلد} الفصل الثاني ان شاء الله .

أما الكلام المذكور محلاً بالحديث يؤتم منه أو يكون عنده متناً باستدراك
 غير وبهما بأحد هما أو يسمع حديثاً من جماعة مختلفين في أسناده أو ^{عن} غيره فبرويه عنهم
 على الاتقان أو يسوق الأسناد فيعرض له عارض فيقول كلاماً من قبل نفسه فيظن بعضهم
 سمع أن ذلك الكلام من متن الحديث فبرويه عنه كذلك ويكون في أول المتن وفي وسطه
 وفي آخره وكله حرام

الباب الرابع

=====

شرح ابن حجر
ابن حجر عسقلاني "فتح الباري"
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

وفيه بحثان :

المبحث الأول : أشهر شرح البخاري قبل "فتح الباري"

تمهيد :

إن الكلام في هذا المبحث ألصق بالباب الثالث وألحق به لأنه مرتبط أشد الارتباط بمبحث جهود العلماء حول الجامع الصحيح ولكننا أرجأنا الكلام عنه إلى حين التحدث عن شرح ابن حجر لكتاب الصحيح حتى يحصل الترابط بين شرح الجامع - خصوصا ما له صلة وثيقة بشرح ابن حجر - وبناءً على ذلك نقول :

لقد اعتنى الأئمة قديما وحديثا بشرح الجامع الصحيح وصنفوا له شروحا ذكر صاحب "كشف الظنون" أنها تنيف على اثنين وثمانين شرحا دمجها يراع الجهابذة من السلف والأذكياء من الخلف . وهذه الشروح ما بين كامل وناقص وقد اختلفت مشارب مصنفها وتباينت مسالكهم فمنهم من مال إلى الإجمال ومنهم من أثر التناول فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بالمتن أو السند إلا كتب عليها .

ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصرًا على ما لا بد منه في فهم الأحاديث ، كما تنوع مناهجهم في تلك الشروح فمنهم من كان سبيله ومنهجه إيضاح الأحكام الفقهية وبيان مذاهب العلماء وآرائهم وما توصلوا إليه باستباطهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من أتجه إلى توضيح مفرداته وحل معضلاته وإزالة مشكلاته الأعرابية والبيانية وضبط أسماء رواته ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك وأضاف إليها الكثير من الفوائد الحديثية وأول من مهد السبيل للشارحين وشرح "الجامع الصحيح" هو الإمام

أبو سليمان حمد بن محمد ابن خطاب البستي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

وهو شرح لطيف قال عنه صاحب الكواكب الدار في نكت مشرقا ولطائف على سبيل الطفرات جنح فيه صاحبه الى الاجمال وسماه " اعلام السنن " وذكر في أوله أنه لما فرغ من تأليف " معالم السنن " (١) يبلغ أسأله أهلها أن يصنف شرحا على " صحيح البخاري " فأجاب (٢) .

ثم شرحه بعد أبي الخطاب البستي أبو الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي القرطبي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ . قال صاحب الكواكب الدار تعليقا على هذا الشرح

انما هو غالبا في فقه الامام مالك رضى الله عنه - من غير تعرض لما هو الكتاب مصنوع له ومن الشراح أيضا جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي الجبلي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وسمى شرحه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح وكما هو ظاهر من تسميته شرح لمشكل اعراب الصحيح وهناك الحافظ علاء الدين مفلسطاي بن قليج التركي المصري الحنفى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ عمل على التامع شرحا سماه التلويح بشرح الجامع الصحيح قال الكرمانى عنه هو يكتب تميم الأطراف أشبه ويصحف تصحيح التعليقات أمثل فكانه من اخلاءه عن مقاصد الكتاب على ضمان ومن شرح الفاظه وتوضيح معانيه على أمان ومحمد بن يوسف الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦ هـ عمل له شرحا سماه " الكواكب الدارى بشرح صحيح البخاري " قال في مقدمته بعد أن ذكر عن كتاب الجامع الصحيح نبذة يسيره :

" واني لم أر له شرحا مشتملا على كشف بعض ما يتعلق بمقاصد الكتاب فضلا عن كلها أو مستقلا بما يتعلق بالبحث عن عوصاته فضلا عن جعلها مع ارتحالي الى بلاد كثيرة هي مظان وجدانه ولم أظفر بعد التفتيش والتنقيب الا على فقدان الشرح انتهى شرحها الشارحون لا تشفى غليلا ولا تسقى غليلا - ثم ذكر شرح ابن بطلال والقباب الطائفي

(١) شرح سنن أبي داود .

(٢) توجد نسخة خطية من هذا الشرح بمكتبة الأستاذ سيد احمد صقر كما أخبرني بذلك .

ومفلسطاي وقال بعد أن عاب شروحيهم ولا أقول ذلك غضا من مراتبهم الجليلة حاشا من ذلك وكيف واني مقتبس من لواحق أنوارهم الشارقات ملتصق من جوامع أنوارهم اليارقات فهم القدوة وسهم الأسوة ~~الأسوة~~ ثم قال واما قصدت بذلك اظهار احتياج الكتاب الذي هو ثاني كتاب بعد كتاب الله تعالى الى شرح مكمل للفوائد شامل للعوائد عمام المنافع تام المصالح جامع لشرح الألفاظ اللغوية الغريبة ووجه الأعراب النحوية البعيدة وبيان الخواص التركيبية واصطلاحات المحدثين ومباحث الأصوليين والفوائد الحديثية والمسائل الفقهية وضبط الروايات الصحيحة وأسماء الرجال وألقاب السرواه وأنسابهم وصفاتهم ومواليدهم ووفياتهم وبلادهم ومروياتهم والتلفيق بين الأحاديث المتنافية الظواهر والتوفيق بينها وبين التراجم المستوره عن أكثر الضمائر ~~وقال~~ فاستخرت الله تعالى واستعنت به في تأليف شرح موصوف بالصفات وزيادة معسوف بإفادة ذلك ونعم الافاده مع اعترافى بالقصور وقلة البضاعة والفتور وقصر الباع نفسى هذه الصناعة ^{الى هنا} لتصديت لذلك وشرحت مفردات اللغة الغير واضحة وذكرت توجيهه الاعرابات النحوية الغير اللائحة وتعرضت لبيان خواص التراكيب بحسب علمهم المعاني واظهار أنواع التصرفات البيانية من المجاز والاستعارة والكناية والاشارة الى ما يستفاد منها من القواعد الكلامية من أصول الفقه من العام والخاص والمجمل والمفصل وأنواع الأقيسه الخلافية والخطابية والمسائل الفقهية والمباحث الفروعية ومن الآداب والرقائق ونحوها ولما يتعلق بعلوم الحديث واصطلاحات المحدثين من المتابعه والاتصال والرفع والارسال والتعليقات وغيرها وتصحيح الروايات واختلاف النسخ وترجيحها والتعريض لأسماء الرجال وتعميم الفاظها وتوضيح ملتبسها وتكشيف مشتبها وتبيين مختلفها وتحقيق مؤلفها وأنسابهم وألقابهم وبلادهم ووفياتهم الى آخر تراجمهم ولفقت بين الأحاديث التي ظاهرها متنافيه والأخبار التي بادية الرأي مقتضياتها متباينة وبينت مناسبة الأحاديث التي في كل باب لما ترجم عليه ومطابقتها

١
حرفاً

بما عقد له وأشير عليه وقال أيضاً وسعيت فيه في توضيح العبارات وكشف القناع عن
المشكلات ولم أبال عن الإعادة في الإفادة عند الحاجة إلى البيان ولا في تعميم بعض
الأسماء التي هي واضحة عند أهل الشأن لأنني قصدت فيه النفع للمبتدئين والمنتهين
والفائدة للمتقدمين والمتأخرين يقول ابن حجر معلقاً على هذا الشرح " وهو
شرح مفيد على أوام في النقل لأنه لم يأخذ إلا من الصحف . (١) " . ولله والدين
الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ شرح سماه التتقيج لحل ألفاظ الجامع الصحيح قال في
مقدمته أما بعد فاني قصدت في هذا الإملاء إلى إيضاح ما وقع في صحيح الإمام
الجليل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري من لفظ غريب أو أعراب غامض أو
نسب عويص أو راو يخشى في اسمه التصحيف أو خبر ناقص تعلم تتمته أو مبهم
علم حقيقته أو أمروهم فيه أو كلام مستغلق يمكن تلافيه أو تبين مطابقة الحديث
للتبويب ومشاكلته على وجه التقريب منتخبا من الأقوال أصحابها وأحسنها ومن الممانى
أوضحها وأبينها مع إيجاز العبارة والرمز بالإشارة فإن الإكثار داعية الملل ثم قال
وأرجو أن هذا الإملاء يريح من تعب المراجعة والكشف والمطالعة مع زيادة فوائد
وتحقيقاً مقاصد ويكاد يستغنى به اللبيب عن الشرح لأن أكثر الحديث ظاهر لا يحتاج
إلى بيان وإنما يشرح ما يشكل وسميته " التتقيج لألفاظ الجامع الصحيح " ونسود أن
نختم هذا المبحث بنص لسيد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فإنه يعطينا
حكماً على هذه الشروح يقول بعد أن تحدث عن جهود علماء السنة في عصره وأنها
لا تعدو إلا أن تكون كلها عناية بأمهات الكتب الخمسة " فأما البخاري وهو أعلاها
رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا مناه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق
المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والسراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس
فيهم ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه لأنه يترجم الترجمة
ويورد فيها الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه

لما تضمنه من المعنى الذى ترجم به الباب وكذلك فى ترجمته وترجمته التى أن يتكسر
الحديث فى أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه لم يستوف هذا نية
فلم يوف حق الشرح كابن بطلال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا
من شيوخنا يقولون شرح " كتاب البخارى " دين على الأمة ... يمتنون أن
أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار (١) " علمى
أنه قد ألف بعد ابن خلدون شرح بلغت حد الإجازة والاتقان وذلك كفتح البارى
شرح صحيح البخارى لابن حجر المسقلانى وعدة القارى للإمام بدر الدين الحينسى
والكوثر الجارى للكوثرانى والتوشيح للجلال السيوطى على أن أجل هذه الشروح وأجودها
هو فتح البارى لابن حجر - فانه لا يدانيه شرح ولا يحيط بهالة وصف وسوف نتحدث
عن هذا الكتاب ومنهج ابن حجر فيه ومزاياه ^{وما أكرم عليه} ~~وملكه عليه~~ وقيمة هذا الكتاب فى نظر
العلماء فى الفصول التالية ان شاء الله .

البحث الثانى : لمحات عن فتح البارى من الناحية الشكلية . .

لعل من الأوفى - قبل أن نتحدث عن منهج ابن حجر فى كتابه فتح البارى -
ونعنى بذلك دراسة الكتاب من الناحية الموضوعية - أن نتحدث عن الكتاب من الناحية
الشكلية حتى يكون القارى على علم وبصيرة بالكتاب من هذه الناحية قبل الخوض فى تفاصيله
والتعرض لمباحثه ومسائله فنقول وبالله التوفيق . . .

لقد شرح ابن حجر صحيح البخارى وسعى شرحه - فتح البارى - وكأنى بابن حجر
يريد أن يطالع القارى لأول وهلة عندما يقع نظره على عنوان الشرح بأن ما اشتمل عليه -
هذا الشرح - انما هو مدد سماوى وفيض الهى وفتح ربانى . . . ومن يك علاؤه من
فتح باريه كيف ينفذ .

ومن الملاحظ أن الاسم - فتح الباري - الذي أطلقه ابن حجر على شرحه وارتضاه عنواناً له إنما هو اسم لطيف وعلى السمع خفيف وهذه طبيعة ابن حجر فإنه كما قال عنه تلميذه السخاوي " كان يسمى مؤلفاته بالطف الأسماء (١) " كما وأن هذا العنوان على ما يبدو عنوان مسجوع وهو النمط الذي كان يحرض عليه مؤلفو ذلك العصر تمشياً مع الأسلوب الأدبي الشائع آنذاك والمتبع في أيامهم وأننى لأجد ننسى أمام سؤال يطرح نفسه ..

همل هذه التسمية من مبتكرات ابن حجر أم أنه مسبوق إليها فيكون مقلداً ر. الواقع أن المؤرخين الذين ترجموا لابن حجر لم يجمعوا أمرهم وتفقوا، راوهم وبعطلونا جواباً شافياً عن هذا السؤال ..

فابن العماد الحنبلي يصرح جازماً بأنه قد سبقه إلى هذه التسمية ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ . حيث شرح صحيح البخاري وانتهى فيه إلى كتاب الجنائر وسمى شرحه فتح الباري (٢) .

ومفاد هذا أن ابن حجر - يمكن أن يكون - ناقلًا لهذه التسمية ومقلداً فيها غيره أما السخاوي تلميذ ابن حجر فيعترض هذه القضية بأسلوب الشك والتردد حيث يقول " وكذا سبقه فيما قيل إلى التسمية بفتح الباري الحافظ الزين ابن رجب (٣) " ورواية السخاوي هذه ترجع أنها من مبتكراته وليس مقلداً فيها لأحد وهذا ما نميل إليه ونختاره وذلك لأن السخاوي مؤرخ معاصر فروايته أحق بالقبول أما ابن العماد فمتأخر وهذا من شأنه أن يقلل من قيمة روايته بهذا الصدد . وعلى فرض صحة رواية ابن العماد وهو أنه مسبوق إلى هذه التسمية يمكننا أن نقول أن التسمية لكتابه ليست تقليداً ونقلًا عن سبقه وإنما هي من باب توافيق الأسماء لا من باب النقل والتقليد ويؤيد ذلك أن ابن حجر

(١) الجواهر ص ٣٧٦
(٢) شذرات الذهب ج ٦ وفيات سنة ٧٩٥ ترجمة ابن رجب .
(٣) الجواهر ص ٨٧٥

نفسه صرح بأنه لم يطلع على كتاب ابن رجب (١) وإذا كان الأمر كذلك فما بال ابن حجر ترجم لابن رجب ترجمة مستفيضة في كتابه أنباء النضر وقال حينما عدد مصنفاته وشرح قطعة من البخاري (٢) وكذا نقل عنه في شرحه وذلك أنه حينما شرح حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ((مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية)) (٣)

ساقى (٤) العلماء في كلمة ((نقية)) وأنها في بعض الروايات " طائفة طيبة " بدل نقية وفي بعضها ((بغمه)) ثم قال وقرأت في شرح ابن رجب أن في رواية بالموحدة بدل النون قال والمراد بها القطعة (الطيبة) كما يقال فلان بقية الناس . وهذا يدل على أن ابن حجر اطلع على شرح ابن رجب فكيف يصرح قبل ذلك بأنه لم يطلع عليه . والجواب على ذلك سهل وميسور فإنه يمكن أن يقال أن ابن حجر أتم شرحه بعد أن سماه فتح الباري ولم يكن اطلع على شرح ابن رجب ثم اطلع عليه بعد وضاف منه إلى شرحه ويساعدنا على ذلك أن السخاوي تلميذ ابن حجر صرح بأنه فرغ من شرحه في أول رجب سنة ٨٤٢ هـ (٤) سوى ما ألحق فيه بعد ذلك فلم ينته منه الا قبيل وفاته ببسبر (٥) . أما الشوكاني فيصرح بأنه قد سبقه إلى هذه التسمية شيخه صاحب القاموس المجد الفيروزبادي فإنه وجد في أسماء مصنفاته أن من جعلتها - فتح الباري - في شرح صحيح البخاري وكمل منه ربع المبادئ (٦) وقد ذكر ابن حجر أنه اطلع على هذا الشرح ولم ينقل عنه لأن صاحبه قد ملأه بفرائب المنقولات من مقالات ابن عربي الشائعة بين علماء اليمن آنذاك (٧) . ومعنى هذا أن ابن حجر يمكن أن يكون أخذ تسمية شرحه للبخاري عن شيخه الفيروزبادي الذي لم يتم شرح البخاري كما لم يتم ابن رجب . وقد نسب صاحب مفتاح السعادة إلى السيوطي أنه صرح بأن ابن حجر أخذ تسمية شرحه للبخاري عن شيخه الفيروزبادي (٨) .

- (١) الجواهر ص ٨٧٥ (٢) ابن حجر أنباء النضر ص ٤٦٠
(٣) من كتاب العلم - باب فصل من علم العلم وعلم العلم ص ٣٩
(٤) أما البقاعي فيذكر أنه أكمل في آخر شعبان عنوان الزمان ص ٨٩
(٥) الجواهر ص ٨٧٥ (٦) البدر الطالع ج (١) م (١) ص ٨٩
(٧) المجمع المؤسس ص ٣١٨ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٢١
(٨) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٢١

لكن صاحب حاشية نيل الأمانى على مقدمة القسطلانى يصرح بأن اسم الكتاب الذى ألفه الفيروز بادى انما هو - منح البارى - بالميم بدل القاء (١) ولعله بعد هذا يترجح أن التسمية بفتح البارى التى سمى بها ابن حجر شرحه للبخارى من مبتكراته وليس ناقلا لها ولا مقلدا فيها لأحد .

وسواءً لدينا أكانت التسمية - بفتح البارى - من مبتكرات ابن حجر أو أنه نقلها عن أسماء كتب السابقين له فهذا شئ ليس يندى بال وانما وقفنا عنده قليلا لنبين ما كتب فى هذا الشأن وما سطر بهذا الصدد فالعبرة بضمون الأشياء وما اشتملت عليه لأن التمايز بينها انما يكون من هذه الحيثية لا غير . ولا ريب أن مضمون - فتح البارى - لابن حجر وما اشتمل عليه وما ضمه بين دفتيه يتميز عن الكتب السابقة فهو شملها وزاد عليها وكل الصيد فى جوف الفرى . وقد ألف ابن حجر مقدمة لفتح البارى سماها هدى السارى فرغ منها سنة ٨١٣ هـ . (٢)

ثم شرع عقب ذلك فى شرح أطال فيه التفتين ومضى فيه قدما وكتب منه جزءا ثم اعتراه فتور وأدركه ملال وخشى أن يعجز عن اكماله على تلك الصفة التى ابتدأه عليها وعلى النسق الذى هو عليه من الطول فجنح الى كتابة شرح آخر متوسط وهو فتح البارى الموجود بين أيدينا الآن (٣) وابتدأ فى تأليفه سنة ٨١٧ هـ على طريق الاملاء الا أنه غاير هذا المسلك بعد ذلك يقول ابن حجر " فلما كان بعد خمس سنين أو نحوها وقد بيض منه مقدار الربع على طريقة مثلى اجتمع عندى من طلبة العلم المهرة جماعة وافقونى على تحرير هذا الشرح بأن أكتب الكراس منه ثم يحصله كل منهم نسخا ثم يقرؤه أحد هم ويحارجه مع رفقة - فى يوم من الأسبوع - مع البحث فى ذلك والتحرير نصار السفر لا يكمل منه الا وقد قول وحرر ولزم من ذلك البطء فى السير لهذه المصلحة الى أن يسر الله اكماله فى شهر رجب سنة ٨٤٢ هـ . (٤) وظل ابن حجر بعد ذلك يلحق فيه حتى قبيل وفاته بهسير . (٥)

(٢) ابن حجر انتقاض الاعتراض ص ٢
(٤) انتقاض الاعتراض ص ٤

(١) مقدمة القسطلانى ص ١١٦
(٣) المصدر السابق ص ٢ الجواهر ص ٨٧٥
(٥) الجواهر ص ٨٧٥

وقد عمل ابن حجر ملخصا ومختصرا لفتح الباري - أسماء - النكت على صحيح البخاري وقد أشار السيوطي الى هذه الشروح حيث يقول في معرض سرد مؤلفات ابن حجر " ومن تصانيفه فتح الباري شرح صحيح البخاري وشرح آخر أكبر منه وآخر ملخص منه لم يتما وقد رأيت من هذا الملخص ثلاثة أجزاء من أوائله " (١) .

وكان لأبن حجر في فتح الباري مسلك بديع وطريقة فريدة حينما يعرض لشرح الأحاديث المكررة اذ كان يشرح كل حديث الشرح اللائق به في الباب الأنسب له وفي الموضوع الذي يتعلق غرض البخاري بذكره فيه ثم يحيل عليه بعد ذلك مضيا واستقبالا ولذلك جاء شرحه متوسطا لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . (٢) .

وسوف نقدم بين يدي القارئ نماذج من هذه الحوالات سواء كانت على ما يستقبل من الشرح أو على ما مضى لتكون أمثلة تطبيقية وشواهد على ما ذكرناه .
واليك نماذج من الحوالات على ما يستقبل من الشرح وما سيأتي .

النموذج الأول : -

حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي) قال ابن حجر (قوله ومنبري على حوضي) سيأتي هذا الحديث بسنده ومتمه كاملا في أواخر فضل المدينة من أول آخر كتاب الحج وسيأتي الكلام على المتن هناك ان شاء الله مستوفى (٣) .

النموذج الثاني : -

حديث فزع مولى زياد قال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث بأربع عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبته وأتقنني قال لا تسافر المرأة يومين الا ومعها زوجها أو ذو محرم ولا صوم في يومين : الفطر والأضحية ولا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب ولا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي) قال ابن حجر (قوله لا تسافر المرأة) سيأتي الكلام

عليه في الحج (قوله ولا صوم) سيأتي في الصوم - وأما باقي الحديث فهو من النوع الثاني وهو الحوالة على ما مضى من الشرح (١) .

النموذج الثالث :

حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بينما أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحشش في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أعيتك عما ترى قال بلى ولكن لاغنى لي عن بركتك) قال ابن حجر سيأتي الكلام على هذا الحديث في أحاديث الأنبياء (٢) .

النموذج الرابع :

حديث معاوية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) قال ابن حجر هذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام أحدها فضل التفقه في الدين وثانيها أن المعطى في الحقيقة هو الله - وثالثها أن بعض هذه الأمة يبقى أبدا على الحق . فالأول لائق بأبواب العلم . والثاني لائق بقسم الصدقات . والثالث لائق بذكر أشراف الساعة وسيأتي بسط القول فيه هناك وفي كتاب الاعتصام . . (٣)

هذا وأما عن الحوالات التي أحال فيها على ما مضى من الشرح فاليكم نماذج لها

ايضا . .

- (١) من أبواب التطوع - باب مسجد بيت المقدس ..
- (٢) كتاب الفسل - باب من اغتسل عريانا وحده في خلوته ..
- (٣) كتاب العلم - باب من يرد الله به خير يفقهه في الدين ..

النموذج الاول :

حديث اسماء بنت ابي بكر - رضي الله عنها - قالت قلت يا رسول الله ليس لي مال الا ما ادخل على الزبير فاتصدق قال - (تصدق ولا توعي فيوعي عليك) (١) . قال ابن حجر قد تقدم شرحه في ابواب الزكاة - وقد راجعت ذلك فوجدته في باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها كما قال .

النموذج الثاني :

حديث حارثة بن وهب الخزاعي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (تصدقوا فسيأتي زمان يمشي الرجل بصدقته فيقول الرجل لو جئت بلا من قبلتها) ، قال ابن حجر قد تقدم الكلام عليه مستوفى في باب الصدقة قبل الرد من كتاب الزكاة على انني راجعت ذلك فوجدته كما قال (٢) .

النموذج الثالث :

حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس فيما اقل من خمسة او سق صدقة ولا في اقل من خمسة من الابل الزود صدقة ولا في اقل من خمس اواق من الورق صدقة) كتاب الزكاة - باب ليس فيما دون خمسة او سق صدقة قال ابن حجر تقدم ذكره في باب زكاة الورق وقد راجعت ذلك فوجدته كما قال الا ان لفظ الحديث (ليس فيما دون خمس زود) بدل (ليس فيما اقل)

النموذج الرابع :

حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة (فقال سبحان الله ما ذا انزل الليلة من الفتنة وما ذا فتح من الخزائن ليظفوا صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) قال ابن حجر تقدم حديث ام سلمة والكلام عليه في باب العلم باب التطوع باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل وقد راجعت ذلك فوجدته في باب العلم والمظنه .

(١) كتاب الهبة - باب هبة المرأة لغير زوجها وعقها اذا كان لها زوج فهو جائز .

(٢) كتاب الزكاة - باب الصدقة باليمين .

من غير ايجاب بالليل كما قال الا أن لفظ الحديث (ماذا أنزل الليلة من الفتن)

بدل الفتنة ولعل فيما قدمناه من النماذج كفاية وبرهان على ما ذكرنا من الحوادث الماغية والمستقبله .

على أننى لاحظت أن ابن حجر أحيانا قد أخل بما أخذه على نفسه وحاده عن الطريقة التى رسمها فى شرح الأحاديث المكررة . . من أنه يشرح فى كل موضع ما يتعلق بمقصود البخارى من ذكره فيه . . ويشرح الحديث ويستوفى شرحه ويستوعبه فى مكان واحد وشاهد ذلك حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بـنفسى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل صدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) وهذا الحديث مذكور فى أبواب الجماعة . وكتاب الزكاة وكتاب الرقاب وكتاب الحدود ، وقد شرحه ابن حجر شرحا وافيا ضافيا واستوعب ما قيل فيه فى باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد من أبواب الجماعة وأحال شرح جميع المواضع على هذا المكان وقد اعترف ابن حجر نفسه بذلك حيث قال : (استوعبت شرح هذا الحديث هنا وإن كان مغالفا لما شرطت لأن أليق المواضع به كتاب الرقاق) وسأق اعذاره عن ذلك فقال (لأن للأوليه وجها من الأوليه) - من أبواب الجماعة باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد - على أن هذه الخطة التى ارتضاها ابن حجر وسلكها فى شرحه للأحاديث المكررة كانت سببا فى وهمه أحيانا وذلك أنه كان يحيل فى شرحه على موضع بعينه ويقول انه ذكر فيه شرح هذه المسألة أو تلك ولكن لا يوجد فى الموضع الذى أحال عليه أى شىء مما ذكر وقد أشار الى ذلك ابن حجر نفسه حيث قال : (أود لو تتبعمت الحوادث التى تقع لى فيه فان لم يكن المحال به مذكورا أو ذكر فى مكان آخر غير المحال عليه فينتهى اليه ليقع اصلاحه فما فعل ذلك فاعلمه) (١)

والخطب في ذلك ليسير ولعل عذره راجع الى تكرار الحديث في مواضع كثيرة مما
يؤدى الى عدم ضبط الموضوع الذى سبق، أن شرحه فيه أولا كما وأن طول الزمان الذى استغرقه
الشرح من شأنه أن يفتح بابا للسهو والنسيان . وقد بذلت جهدي كي أقف على حوالة
واحدة وهم فيها ابن حجر فما تيسر لى ولكن صاحب البيت أدري بالذى فيه .

ولما أتم ابن حجر تأليفه عمل وليمة عظيمة بالمكان الذى بناه المؤيد المسمى بالتاج
والسبع وجوه بين كوم الريش ومينة السكيرج خارج القاهرة فى يوم السبت الثامن من شهر
شعبان سنة ٨٤٢ هـ . وأنتق عليها نحو خمسمائة دينار وقل من تخلف عنها من العلماء
والأمراء والطلاب والقضاة والولاة والأعيان وقرئ هناك المجلس الأخير وجلس المصنف
مع القارىء على الكرسي وكان يوما مشهودا لم يعهد أهل العصر مثله (١)
بين الأدباء فى ذلك اليوم وبين مصنف الكتاب - ابن حجر - مطارحات شعرية بديعة
شيقة فمن ذلك أن المقام الناصري - محمد بن السلطان جقمق^٢ - قال يا مولانا شيخ الاسلام
هذا يوم طيب فلعل أن نتمشونا ببيت من مفرداتكم لعل أن نمشى خلفكم فيه ، فقال
- ابن حجر - أخشى أن ابتدأت أن لا يكون موافقا لما وقع فى خاطرهم والأحسن أن تبتدىء
أنت فان مشينا خلفه فيها ونعمت والا رد دنا سرورا فقال الناصري :

هويتها بيضاء رعبوسة قد شغفت قلبي خود السرداح

فقال ابن حجر

سألتهما الوصل فضنت به ان قليلا من الملاح السماح

فقال على النعماني

قد جرحت قلبي لما رنت عيونها السود المراهض الصراح (٢)

كما تبارى الشعراء فى انشاد القصائد فى مدح الشرح ومؤلفه فمن ذلك قصيدة
تلميذه البرهان البقاعي ، ومطلعها

(١) الجواهر ص ٩١٣ ، ٩١٤

(٢) الجواهر ص ٩١٥

ان كان لا يصفى لوسف عذاري
تلف النفوس على هوى الأقدار
اذ موجها كا الجحظل الحرار

ما باله يرضى بخلع عذاري
ان الغرام له رجال دينهم
خاضوا بحار العشق وقت هياجها

الى ان قال :

نظمت علوم الشرع مثل بحر
ويكل سطر منه نهـر جار
وكلامهم أضحى بغير غبار
وفرائد أعيت على النظر
فيه انجلي للمين بالآثار
فاذا العيان صدق الأخبار

شرح البخاري الذي في سلكه
في كل طرس منه روض مزهر
قد حررت فيه مباحث من مضى
وه زوائد من فوائد جملة
شرح الحديث به فكم من مشكل
يأتي الى طرق الحديث يضمها

وهذه قصيدة طويلة تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا كلها مدح وثناء في الشرع ومؤلفه
والقى شمس الدين احمد بن كمال الدجوي الشاعر (١) في ذلك اليوم قصيدة مطلعها :

حديث المصطفى والشارحين
مناهل علمه للواردينا
وفتح من مسائله العيون
تراه عنده للقائلينا
فلا تبعده به متقهوننا
شوارعها طريق السالكينا (٢)

بحمد الله نبدا ما دحيننا
بفتح البارء أتضحت وبانت
صحيح سد باب الطعن فيه
فكم قول يقول به فلان
وفيه الواضحات وغامضات
وأحكام يسعدك قد أضأت

(١) عنوان الزمان ص ٤٠
(٢) الجواهر ص ٦٢٨ ، ٦٢٩

وكذا أنشد شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه الحنفى فى ذلك اليوم قصيدة مالمها

أبرز خد اللقبلى أم يدا وتعطف قدا للمعانى **أهدا**
ومن عجب أنى طليح صباية وشوقى اليها لا يزال مجدد ^(١)

وكذلك أنشد شهاب الدين أحمد الحجازى الشاعر قصيده أستهلها بقوله :

إذا نوه الحادى يذكر ك أوحدا تيقنت أنى صرت فى الحب أوحدا
أيا شيخ الاسلام المعظم قدره ويا حاكما بالله أضحى مؤيدا ^(٢)

وكل هذه القصائد تتضمن بيانا لمزايا الكتاب وتعدادا لمناقب مؤلفه وجميعها مثبت فى آخر جزء من الكتاب وقد انتشرت سمعة - فتح البارى - فى الآفاق وذاع صيته فى سائر البلدان وطار شهرته كل مطار فلاجب إذن أن طلبه الملوك بسؤال علمائهم لهم نسي ذلك ونهاهوه فيما بينهم وحسبنا دليلا على ذلك أنه فى سنة ٨٣٣ هـ ورد كتاب من شاه رخ ملك المشرق يطلب من السلطان الأشرف برسباى هدايا من جعلتها كتب نسي العلم منها فتح البارى فجهز له . ما كان ألف ثم فى سنة ٨٣٩ هـ أعاد الطالب فأرسل اليه ما تم تأليفه ثم فى أيام الظاهر جقمق جهزت له النسخة كاملة وكان ذلك بعناية الشيخ شمس الدين الجزرى . وكذا أرسل سلطان المشرق عبد العزيز الحفصى يطلب الكتاب وذلك بعناية الإمام زين الدين عبد الرحمن البرشكى فجهز له ما كمل منه على أن الذم أثار رغبة الملوك فى طلبه وتحصيله قبل اكماله والفراغ منه هو اشتهاار مقدمته فصار من يعرف فصولها يتشوق الى الأصل فيسارع فى طلب الحصول عليه . ^(٣)

وبعد فهذه نبذة عن فتح البارى من الناحية الشكلية ، ولملنا نكون قد وفقنا فى عرضها وتقديمها . بقى عليها أن نتحدث عنه من الناحية الموضوعية وأعنى بذلك منهجه وخطته التى سار عليها فى شرحه وهذا ما سنتاوله فى ^(٤) المجلد التالى ان شاء الله ... فالى لقاء على صفحاته ...

(١) عنوان الزمان ص ٤٢

(٢) عنوان الزمان ص ٤٤

(٣) الجواهر ص ٩٠٦ و ٩٠٧

الفصل الثاني

نماذج من شرح ابن حجر لصحيح البخاري

توضيحاً وتعليقاً لمنهج

تمهيد :

لقد أستهل ابن حجر كتابه (فتح الباري) بمقدمة مختصرة قال فيها (أما بعد فقد آن الشروع فيما قصدت له من شرح الجامع على ما وعدت به في أول المقدمة وكنت عزمـت على أن أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جداً فسلكت الآن فيه طريقاً وسطياً أرجو نفعها كافلها بما أطلعت عليه من ذلك إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وربما أعدت شيئاً مما تقدم في المقدمة لمعنى يقتضيه أما لبعض المهد به أو لغير ذلك ولكن اعتمادي غالباً على الحوالة عليها وسميته (فتح الباري بشرح البخاري) وقد رأيت أن أبدأ الشرح بأسانيدى إلى الأصل بالسماع أو بالأجازة .. ثم ذكر أسانيد وساقها وقال بعد أن فرغ منها (وقد انتهى الفرض الذى أردته من التوصل الذى أوردته فليقع الشروع فى الشرح والأقتصار على اتقن الروايات عندنا وهى رواية أبى ذر عن مشايخه الثلاثة لضبطه وتمييزه لاختلاف سياقها مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه ما يخالفها)

وقد رسم ابن حجر لنفسه خطة سار عليها ومنهجاً ترسمه لهذا الشرح ~~المنهج~~ ^{شأنه} ذلك شأن مؤلفي المصنف وقد وضع لي من تتبعى له في منهجه أنه ما حاد عنه فسي شرحه وما ضل عن جزئية من جزئياته وسوف أعدم هذا المنهج على تلكم الصفحات منصلاً مشفهاً كل جزئية من جزئياته بما يدل عليها ومشهد لها ^{في بحث خاص} فأقول وبالله التوفيق ...

المبحث الأول

الترجمة ومناسبة الحديث لها :

الترجمة هي العنوان الذي جعله البخاري رمزا لما قصد اليه وأراد به ثم يسوق تحتها ما شاء من الأحاديث لعلاقة تجمعها ومناسبة بينهما - وقد حرص ابن حجر في شرحه - كل الحرص على إبراز هذه العلاقة التي بين الحديث والترجمة وإظهار وجهه المناسبة بينهما حتى يكون هناك تجانس والتئام ومطابقة بين الترجمة وما ذكر تحتها من الأحاديث غير أن هذه المناسبة تارة تكون ظاهرة لا تحتاج إلى أعمال ذهن وقدح نكسر يستوى في ادراكها العالم الجهد ومن عنده مسحة من السلم وليس لأبن حجر عندهما وقفة وتأمل وسوف نسوق لها نماذج فيما يلي . . .

النموذج الأول :

ترجم البخاري في كتاب الجهاد (باب من جهز غازيا أو خلفه بخير) وساق في هذا الباب حديث زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا) ومناسبة هذا الحديث للترجمة ظاهرة واضحة لأن الترجمة هي متن الحديث لذا فقد سكت ابن حجر عن بيانها وإيضاحها لأنها من التوضيح لا تحتاج إلى إيضاح .

النموذج الثاني :

ترجم البخاري في كتاب الطب (باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) وذكر تحت هذا الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ومطابقة هذا الحديث للترجمة ظاهرة واضحة لأن الترجمة عين الحديث لذا نرى ابن حجر سكت عن إيضاحها وبيانها لأنها من الظهور لا تحتاج إلى إظهار .

وما سقاه من النماذج إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر والا فالكتاب فيه الكثير والكثير . . وتارة أخرى تكون المناسبة خفية تحتاج إلى أعمال ذهن وقدح زائد ففكر وهي

ما تأملها ابن حجر ووقف عندها حتى أبرزها وجلالها وأزال ما فيها من خفاء ^{ما} واكتشفها من غموض . وابن حجر نفسه يصرح بذلك في مقدمته حيث يقول (فأسوق ان شاء الله الباب وحديثه أولا ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية) وسوف نسوق نمساذج لهذا النوع فيما يلي . .

النموذج الأول : —

قال البخاري : كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وسأجبه فيه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول / (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى) الحديث بتمامه

قال ابن حجر متحدثا عن مناسبة هذا الحديث لبدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى المهلب أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب به حين قدم المدينة مهاجرا فناسب ايراده في بدء الوحي لأن الأحوال التي كانت قبل الهجرة كانت كالمقدمة لها لأن بالهجرة افتتح الأذن بقتال المشركين وسبقه النصر والمنظر والفتح أهـ

ثم قال : وهذا وجه حسن الا أنني لم أرمأ نقله أو ذكره من كونه صلى الله عليه وسلم خطب به أول ما هاجر منقولا وقد وقع في باب ترك الحيل بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يا أيها الناس انما الأعمال بالنية . في هذا ايماء الى أنه كان في أثناء الخطبة أما كونه كان في ابتداء قدومه المدينة فلم أرمأ يدل عليه . . وقال ايضا وهو لا يزال يتحدث عن هذه المناسبة : وعن أبي عبد الملك اليماني قال مناسبة الحديث للترجمة أن بدء الوحي كان بالنية لأن الله تعالى نظر محمدا على التوحيد وبغض اليه الأوثان ووهب له أول أسباب النبوة وهي الرؤيا الصالحة فلما رأى ذلك أخلى الله في ذلك فكان يتعبد بشارحراء فقبل الله عمله وأتم له النعمة .

النموذج الثاني : -

ترجم البخاري في كتاب الايمان (باب أي الاسلام أفضل)

وساق فيه حديث أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله أي الاسلام أفضل قال (من سلم المسلمون من لسانه ويده) قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث للترجمة (وإذا ثبت ان بعض خصال المسلمين المتعلقة بالاسلام أفضل من بعض حصل مراد المصنف بقبول الزيادة والنقصان . . أي في الايمان ان الايمان والاسلام عنده مترادفان . ١٠ هـ .

على أنني قد لاحظت هنا وفي مواضع أخرى أن ابن حجر لم يذكر وجه المناسبة بسين الحديث والترجمة الا بعد أن يشرح الحديث ويستوفيه من جميع جوانبه وكان الأليق به أن يذكر وجه المناسبة بادئ ذي بدء قبل التمرضي لشرح الحديث وبيان أي شيء مما يتعلق به خصوصاً وأنه ذكر في مقدمته عندما تحدث عن منهجه - ما يشير الى هذا حيث يقول (فأسوق ان شاء الله الباب وحديثه أولاً ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية ثم استخرج ثانياً) وهذا يدل على أنه أخذ على نفسه أن يذكر وجه المناسبة بين الحديث والترجمة أولاً ولكنه أخل بذلك .

ومن هذا القبيل أيضاً حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم الا على أزواجه فقيل له فقال (اني أرحمها قتل أخوها موسى) ذكر البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد - في - باب من جهز غازياً أو خلفه بخير - ونرى ابن حجر هنا أيضاً شرح الحديث واستوفاه ثم قال مبيناً وجه مناسبة الحديث للترجمة () تنبيه : قال ابن المنير مطابقة حديث أنس للترجمة من جهة قوله أو خلفه في أهله لأن ذلك أعم من أن يكون في حياته أو بعد موته والنبي صلى الله عليه وسلم كان يجسبر قلب أم سليم بزيارتها ويحلل ذلك بأن أخاها قتل معه ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته وذلك من حسن عهده صلى الله عليه وسلم (١٠ هـ .

النموذج الثالث :

ترجم البخاري في كتاب الأذان : باب كم بين الأذان والاقامة ومن ينتظر اقامة الصلاة . . . وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه مالك قال كان المؤذن اذا أذن قام ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب ولم يكن بينهما شيء (

قال ابن حجر بعد أن استوفى الكلام على الحديث مبينا مطابقتها للترجمة (ومطابقة حديث أنس للترجمة من جهة الإشارة الى أن الصحابة اذا كانوا يبتدرون الى الركعتين قبل صلاة المغرب مع قصر وقتها فالمبادرة الى التثقل قبل غيرها من الصلوات تقع من باب الأولى . ولا يتقيد بركعتين إلا ما ضاهى المغرب في قصر الوقت كالصبح علي أنني قد لاحظت أيضا أنه يورد بيان مناسبة الحديث للترجمة على صورة اعتراضه — جواب عنه أحيانا كقوله فان ^(١) قلت ما مناسبة هذا الحديث للترجمة قلت مناسبة كذا وكذا . . .

النموذج الرابع :

ترجم البخاري في كتاب مواقيت الصلاة — باب قوله تعالى مبين من يدين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . . . وساق فيه حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا هذا الحي من ربيعة ولنا نصل

(١) مثال ذلك حديث أبي سفيان في قصة هرقل قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث لبدء الوهر : فان قيل ما مناسبة حديث أبي سفيان في قصة هرقل ببدء الوحي فالجواب أنها تضمنت كيفية حال الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الأبداء ولأن الآية المكتوبة الى هرقل للدعاء الى الاسلام ملتزمة مع الآية التي في الترجمة وهي قوله تعالى : (اذا اوحينا اليك الآية) وقال تعالى شرع لكم من الدين الآية فبيان أنه أوحى اليهم كلهم أن أقيموا الدين وهو معنى قوله تعالى (سواء بيننا وبينكم الآية . .

فمرنا

اليك الا في الشهر الحرام ^{فمرنا} بشيء نأخذه عندك وتدعو اليه من وراءنا فقال أمركم بأربع وأنهاركم عن أربع الايمان بالله — ثم فسرهما لهم شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تدوا الى خمس ما غنمتم وأنهي عن الهرط ^{وهو الهرط} والحنتم والمقير ^{وهو المقير} والنقيير ^{وهو النقيير} أ.هـ. قال ابن حجر موضحا وجه مطابقة الحديث للترجمة (ومناسبة الحديث للترجمة أن في الآية اقتران نفي الشرك باقامة الصلاة وفي الحديث اقتران اثبات التوحيد باقامتها) أ.هـ.

النموذج الخامس :

ترجم البخاري في كتاب الاعتصام — باب ما يكره من كثرة السؤوال ومن تكلف ما لا يعنيه وقول الله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وذكر فيه / زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليالى حتى اجتمع اليه ناس ففقدوا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتحنن ليخرج اليهم فقال (ما زال بكم الذي رأيتم من صنعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة) قال الحافظ ^{ابن حجر} في بيان مناسبة الحديث للترجمة (والذي يتسلسل بهذه الترجمة من هذا الحديث ما يفهم من انكاره صلى الله عليه وسلم ما صنعوا من تكلف ما لم يأذن لهم فيه من التجميع في المسجد في صلاة الليل — ولعل فيما سقناه من النماذج كفاية للاستدلال على ما بذله ابن حجر من جهد في هذا الصدد هذا ونود أن نشير الى أن ابن حجر صرح بأنه يوجد أحاديث مناسبتها للترجمة فيها غموض — أى بالنسبة له — بل يذهب الى أبعد من ذلك فيصرح بأن بعض الأحاديث لا توافق ما ذكرت تحتها من التراجم — أى في نظره — وأليق بها أن تذكر تحت ترجمة اخرى وهذا منه — في نظري — يعتبر نقدا متواضعا هادئا لصاحب الصحيح في سياقه تلك الأحاديث تحت هذه التراجم وهاكم نموذجا / الأحاديث التي صرح ^{ابن حجر} بأن في مناسبتها للترجمة

غموضاً — ترجم البخاري في كتاب التمني — باب ما يكره من التمني ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الى قوله ان الله كان بكل شيء عليماً . . .

وساق فيه حديث أنس قال : لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تمنوا الموت لتخزيتم . . .

وساق أيضا حديث قيس بن أبي حازم قال : أتينا خباب بن الارت نعوده وقد أكتوى سبعا فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن تدعو بالموت لدعوت به . . . وساق كذلك حديث سعد بن عبيدة مولى عبد الرحمن بن أزهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يتخني أحدكم الموت أما محسنا فلعله يزداد وأما مسيئا فلعلسه يستعيب . . .

قال ابن حجر في بيان مناسبة هذه الأحاديث للترجمة (ذكر في هذا الباب ثلاثة أحاديث كلها في الزجر عن تمنى الموت وفي مناسبتها للآية غموض إلا أن كان أراد أن المكروه من التمني هو جنس ما دلت عليه الآية وما دل عليه الحديث وحاصل ما في الآية الزجر عن الحسد وحاصل ما في الحديث الحث على الصبر) لأن تمنى الموت غالبا ينشأ عن وقوع أمر يختار الذي يقع به الموت على الحياة . فاذا نهى عن تمنى الموت كان أمرا بالصبر على ما نزل ويجمع الحديث والآية الحث على الرضا بالقضاء والتسليم لأمر الله تعالى . . . أ هـ .

واليكم أيضا نماذج لبعض الأحاديث التي صرح ابن حجر بأنها لا توافق ما ذكرت تحته من التراجم وأليق بها أن تذكر تحت ترجمة أخرى . . .

التمودج الأول : —

ترجم البخاري في كتاب الجهاد — باب الهجن — ومن يترس بترس صاحبه — وساق فيه حديث علي رضي الله عنه قال : ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يغدي رجلا بعبد سعد سمعته يقول : ارم فداك أبي وأمي . . .

قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث للترجمة (ودخول هذا الحديث هنا غير ظاهر لأنه لا يوافق واحدا من ركني الترجمة وله مناسبة بالترجمة التي بعده وهي - باب الدرق - من جهة أن الرامي لا يستغنى عن شيء بقي به ، نفسه سهيا من يراميه) .

النموذج الثاني : -

ترجم البخاري في كتاب الجهاد - باب الخدمة في الفزو - وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه قال : صحبت جرير بن عبد الله - أي البجلي - فكان يخذمني وهو أكبر من أنس - قال ابن حجر في بيان مناسبة الحديث للترجمة (وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردها المصنف في غير مظنتها وأليق المواضع بها المناقب) . . . وبعد ما قدما قلعله يكون قد وفقنا إلى عزى ما يتعلق بالترجمة ومناسبة الحديث لها قال مبحث آخر . . .

المبحث الثاني متن الحديث ومدى الاهتمام به في شرح ابن حجر : -

المتن . . لفظة ما صلب وارتفع من كل شيء . .
واصطلاحا . . ما ينتهي إليه السند من الكلام ، فهو نفس الحديث الذي ذكره الأسناد له . وقد اعتنى ابن حجر عناية تامة بالمتن عند شرحه لأحاديث الجامع فشرح غريب مفرداته (١) وأوضح معاني لغوياته وبين ما فيه من النحو وأوجه الأعراب وكذلك جلى صوره البيانية والبلاغية (٢)

(١) وقد عقد لها فصلا مستقلا في مقدمته . .

(٢) بينا ذلك في المباحث المطبوعة بأسهاب مع التمثيل . .

وكشف عن مبهماتـه (١) . وما فيه من أدراج (٢) ولم يقف به الأمر

عند ذلك بل استخرج - كما يقول هو - ما يتعلق به غرض صحيح من ذلك الحديث

من الفوائد المتينة من تمامات وزيادات وكشف غامض ... وسوف نسوق نماذج يتضح منها
استخرجه ابن حجر ... ~~من الفوائد المتينة من المتن~~ من تمامات وزيادات المتن ...
واليك البيان ...

(١) المبهم هو : من أبهم ذكره ولم يعين اسمه ويتوصل لمعرفته بجمع طرق الحديث
غالباً ويكون في السند وفي المتن مثاله في السند : ما رواه أبو داود من طريق حجاج بن
قراقصة عن رجل عن أبي هريرة - المؤمن عزيز كريم - هو يحيى بن كثير فقد رواه أبو داود
أيضاً والترمذي من حديث بشر بن رافع عنه عن أبي سلمه ... ومثاله في المتن ما رواه
الشيخان عن عائشة أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من الحيض فالسائلة
هي أسماء بنت يزيد بن السكن وفي رواية لمساء بنت شكل ... بفتحيتين وقد عقد ابن حجر
لها فصلاً في مقدمته وأشار إليها أثناء شرحه ...

(٢) المدرج : هو كلام يذكر متصلاً بالحديث يوهم أنه منه أو يكون عنده متين باسنادين
فيرويهما بأحدهما كرواية سعيد بن أبي مريم (لا تباعضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا
تنافسوا) أدريج ابن أبي مريم (ولا تنافسوا) ... ويكون في المتن
تارة في أوله كحديث أبي هريرة أسبغوا الوضوء فلن أبا القاسم قال : (ويل للأعقاب
من النار) فأسبغوا من قول أبي هريرة والباقي مرفوع ... وتارة في أثناءه
كحديث عائشة أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة
وفيه (وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد) فقوله وهو
التعبد ... هذا المدرج في الخبر من تفسير الزهري - كتاب بدء الوحي فتح الباري ج ١ ص ٢١
وتارة يكون في آخره كحديث ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول
أقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفتين والأبتر فانهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل قال :
عبد الله فبينما أنا أطارد حية لأقتلها ناداني أبو لبابة لا تقتلها فقلت أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد أمر بقتل الحيات فقال انه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت وهي
العوامر فقوله وهي العوامر من كلام الزهري أدريج في الخبر وقد بينه معمر عن الزهري -
فساق الحديث وقال في آخره وقال في آخره قال الزهري وهي العوامر وقد جمع ابن حجر
كل ما في الصحيح من المدرج في كتابه تقريب المنهج بترتيب المدرج بعد أن أشار
إليه في مواضعه من الشرح من كتاب بدء الخلق - باب قوله تعالى وث فيها من كل
دابة ج ٦ ص ٤١١ .

النموذج الأول : -

روى البخارى حديث عائشة ولفظه (أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم) وفيه (وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله) وفيه (حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ) وفيه (فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى) وفيه (فقالت له خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل) وفيه (وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الإنجيل بالعبرانية) وفيه (وأن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرا) قال ابن حجر مينا ما يتعلق بهذا الحديث من الفوائد المتيسرة - من زيادات وتتمات - وقوله فقالت له خديجة كلا الخ ٠٠)

وفى رواية المصنف فى التفسير من طريق يونس عن الزهرى من الزيادة وتضمنت الحديث ٠٠ وفى رواية هشام بن عروة عن أبيه فى هذه القصة وتؤدى الأمانة . (قوله فكتب من الإنجيل بالعبرانية) وفى رواية يونس ومعمرو يكتب من الأنجيل بالعربية ولمسلم فكان يكتب الكتاب العربى . (قوله وأن يدركنى يومك) زاد فى رواية يونس فى التفسير حيا ولا بن اسحاق ان أدركت ذلك اليوم . (١) ٠ هـ .

النموذج الثانى : -

روى البخارى حديث ابن مسعود ولفظه أن النبی صلى الله عليه وسلم كان یصلی عند البیت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ان قال بعضهم لبعض أیکم یجی . بسلم جزور یسنی فلان فیضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقی القوم فجاء به فنظر حتى سجده النبی صلى الله عليه وسلم ووضع على ظهره بین کتفيه ٠٠ وفيه (فجعلوا یضحکون ومیل بعضهم على بسن ورسول الله ساجد لا یرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره فرفس رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم اذ دعا عليهم وكانوا یرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سعى اللهم عليك بأبى جهل) ٠٠٠ وفيه (قال

فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
صرعى فى القليب قليب بدر (قال : ابن حجر مبينا ما يتعلق بهذا الحديث ~~من~~
الفوائد المتتية — من زيادات وتمات — (قوله بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساجد) بقيته من طريق هيدان — راوى الحديث — وحوله ناس من قريش من المشركين ..
(قوله ان قال بعضهم) زاد مسلم وقد نحررت جزور بالأمس .

(قوله فيضعه) زاد فى رواية اسرائيل فيعهد الى فرشها ودمها وسلاها ثم يمسك
حتى يسجد .. (قوله لو كانت لى منعة) زاد مسلم لطرحته عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم (قوله ويحيط ، بعضهم على بعض) ولمسلم من رواية زكريا ويميل بالميم وتكثرا
للمصنف من رواية اسرائيل ..

(قوله فاطمه) زاد اسرائيل وهى جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله
عليه وسلم ساجدا (قوله فطرحته) زاد اسرائيل وأقبلت عليهم تشتمهم وزاد البزار فلم
يردوا عليها شيئا ...

(قوله فرفع رأسه) زاد البزار من رواية زيد بن أنيسة عن أبى اسحاق محمد الله
وأثنى عليه ثم قال أما بعد اللهم

(قوله ثم قال) وعند البزار فرفع رأسه كما كان يرفع عند تمام سجوده فلما قضى
صلاته قال : اللهم ولمسلم والنسائي نحوه (قوله ثلاث مرات) زاد مسلم وكان اذا دعا
دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا ... (قول فشق عليهم) ولمسلم فلما سمعوا صوته ذهب
عنهم الضحك وخافوا دعوته .. قوله قال فوالذى نفسى بيده .. وفى رواية مسلم والذى
بمحمدا بالحق وللنسائي والذى أنزل عليه الكتاب . (١)

(قوله صرعى فى القليب) فى رواية اسرائيل لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا السرى
القليب قليب بدر . وزاد شعبه فى روايته الا أمية فانه تقطعت أوصاله لأنه كان يادى ١٠ ١٠ هـ .

(١) من كتاب الوضوء — باب اذا ألقى على ظهر المصلى قدرا أو جيفة

النموذج الثالث : —

روى البخارى حديث جابر بن عبد الله ولكنه (بعثني النبي صلى الله عليه وسلم فسمي حاجة له فانطلقت ثم رجعت وقد قضيتها فأتيته النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي فوقع في قلبي ما الله أعلم به) . قال ابن حجر مينا ما في هذا الحديث من الثواب المتنية — من زيادات وتمتات — (قوله بعثني النبي في حاجة) بين مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر أن ذلك كان في غزوة بني المصطلق . .

(قوله فلم يرد علي) في رواية مسلم المذكورة فقال لي بيده هكذا وفي رواية له أخرى فأشار الي (١) . .

وما قدمته إنما هو نماذج والا فالكتاب لا يوجد فيه حديث الا وقد كشف ابن حجر غامضه وجلا معناه وذكر ما فيه من زيادات وتمتات استمدها من كتب السنة ومسانيد علماء ومستخرجاتها وأجزائها بشرط الصحة أو الحسن كما أشار هو الى ذلك في مقدمته (٢) .
أ . ه . أ

المبحث السادس

الأسناد ولطائفه في شرح ابن حجر : —

قبل أن نتحدث عن اهتمام ابن حجر وضايته بالأسناد في شرحه ، يجمل بنا أن نشير الى تعريف السند والاسناد ، فنقول . .

السند لفة . . المصنف . . واصطلاحاً الطريق الموصلة الى المتن أى الرواة الذين يتوصل بهم الى الحديث . .

أما الاسناد لفة : فهو مطلق الأخبار . . واصطلاحاً الأخبار عن طريق المتن فهو مشترك مع السند في اعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه ولذا قال ابن حجر

(١) كتاب الصلاة — باب لا يرد السلام في الصلاة ج ٣ ص ٦٧

(٢) المقدمة ص ١٦

المحدثون يستعملون السند والاسناد لشئ واحد (١) . والإسناد منة من الله وفضيلة
 خص بها هذه الأمة يقول ابن حزم نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه
 وسلم مع الاتصال فضيلة خص الله بها هذه الأمة دون سائر الملل وأما مع الإرسال
 والإعصال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقرؤون من موسى قرينا من محمد صلى الله عليه
 وسلم بل يفتنون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا . وأما النصارى فليس
 عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق (٢) . وعن طريق البحث والنظر فليس
 الإسناد ورجاله يتبين غث الحديث من سمينه وصحيحه من سقيم . وينكشف ما هو مدخول
 موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم لذا قال ابن المبارك لولا الإسناد لقال من شاء
 ما شاء (٣) . وقد اعتنى علماء الحديث وحفاظ السنة منذ العصور الأولى بحفظ الأسانيد
 فصانوا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من الضياع وعصموها من أهمل
 اللاحاد والمبتدعة أن يضيفوا اليها ما ليس منها . .

يقول الحاكم أبو عبد الله - لولا كسرة طائفة المحدثين على حفظ الأسانيد لدرس منار
 الاسلام ولتوكل أهل اللاحاد والمبتدعة من وضع الأحاديث وقلب الأسانيد (٤) . وقد اهتم
 ابن حجر عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح بالإشارة إلى لطائف الأسناد ورجاله فيذكر
 مواليدهم ووفياتهم أحيانا وبلدانهم والقابهم وكناهم واسماءهم وضبط ما يشكل منها
 لذلك
 وسوف نسوق نماذج / فيما يلي . . .

-
- | | |
|---------------------------|----------|
| (١) حاشية مقدمة القسطلاني | ص ١٣ |
| (٢) فهرس الفهارس | ص ٥٠ ج ١ |
| (٣) حاشية القسطلاني | ص ٣٩ |
| (٤) حاشية القسطلاني | ص ٦ |

النموذج الأول :

قال البخاري حدثنا الحميد بن عدي قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة ابن وقاص الليثي يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انما الأعمال بالنيات) قال ابن حجر في بيان رجال اسناد هذا الحديث ولطائفه ..

(قوله حدثنا الحميد بن عدي) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى منسوب إلى حميد بن أسامة بطن من بني أسد بن عبد المطلب بن قصي رهط خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قصي وهو امام كبير منصف رافق الشافعي في الطلب عن ابن عيينة وطبقته وأخذ عنه الفقه ورحل معه إلى مصر ورجع بعد وفاته إلى مكة إلى أن مات بها سنة ٢١٩ هـ .

(قوله حدثنا سفيان) هو ابن عيينة بن أبي عمرو والهالكي أبو محمد المكسي أصله مولد الكوفة وقد شارك مالكا في كثير من شيوخه وعاش بعده عشرين سنة وكان يذكر أنه سمع من سبعين من التابعين . (قوله عن يحيى بن سعيد الأنصاري) اسم جده قيس ابن عمرو وهو صحابي ويحيى من صفار التابعين وشيخه محمد بن إبراهيم بن الحارث بسم خالده التيمي من أوساط التابعين وشيخ محمد علقمة بن وقاص الليثي من كبارهم ففي الأسناد ثلاثة من التابعين في نسق وفي المعرفة لابن منجد ما ظاهره أن علقمة صحابي فلو ثبت لكان فيه تابعيان وصحبايان وعلى رواية أبي ذر — وهي التي ارتضاها ابن حجر — يكون قد اجتمع في هذا السند أكثر الصيغ التي يستعملها المحدثون وهي التحديث والأخبار والسماع والمحتضنة والله أعلم . (١) هـ ١٠٠ .

النموذج الثاني :

قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم الحديث) ..

(١) كتاب كيف كان بدء الوحي — فتح الباري — ج ١ ص ٧

قال ابن حجر هـ في معرض ذكر رجال الأسناد في هذا الحديث قوله (حدثنا يحيى بن بكير) هو يحيى بن عبد الله بن بكير نسب إلى جده لشهرته بذلك وهو من كبار حفصا على المصريين وأثبت الناس في الليث ابن سعد الفهم فقيه المصريين وقيل بالضم على التفسير وهو من أثبت الرواة عن ابن شهاب وهو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الفقيه نسب إلى جد جده لشهرته • الزعفراني نسب إلى جده الأعلى زهره بن كلاب وهو من رهط أم النبي صلى الله عليه وسلم اتفقوا على فضله وإمامته (١)

النموذج الثالث :

قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيهم وجد حلاوة الإيمان الحديث) قال ابن حجر في بيان رجال أسناد هذا الحديث ولطائفه • (قوله حدثنا محمد بن المثنى) هو أبو موسى العنزي بفتح النون بعدها زاي قال : حدثنا عن الوهاب هو ابن عبد الحميد حدثنا أيوب هو ابن أبي تيمية السخثياني بفتح السين المهملة على الصحيح وحكى ضمها وكسرهما عن أبي قلابة بكسر القاف وبياء موحدة وهذا الأسناد كله بصريون • (٢)

النموذج الرابع :

قال البخاري حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله ابن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهيد بدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال وحوله عصاة من أصحابه بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا الحديث) ••

(١) في التاريخ ج ١ ص ٤١ كتاب بدء الوحي :

(٢) في التاريخ كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان - ج ٩ ص ٥٦ • ٥٨ •

قال ابن حجر في بيان لطائف هذا الاسناد ورجاله .

(قوله عائذ الله) هو اسم علم أي ذو عياده بالله وأبو عبيد الله بن عمرو الخولاني صحابي وهو من حيث الرواية تابعي كبير وقد ذكر في الصحابة لأن له رؤية ومولده عام حنين والاسناد كله شاميون . (١)

النموذج الخامس :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ^{عبد}الرحمن بن ^{عبد}الله بن مسن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قال : ابن حجر في بيان لطائف الاسناد ورجاله . .

(قوله عن أبيه) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي صعصعة فسقط الحارث من الرواية واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري ثم المازني هلك فمضى الجاهلية وشهد ابنه الحارث أحدا واستشهد باليامة . .

(قوله عن أبي سعيد) اسمه سعد على الصحيح وقيل سنان بن مالك بن سنان - استشهد أبوه بأحد وكان هو من المكثرين وهذا الاسناد كله مدنيون وهو من أفسراد البخاري عن مسلم . (٢)

النموذج السادس :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا أبو روح الحرابي بن عمارة قال حدثنا شعبة بن واقد بن محمد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أموت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة . الحديث) قال ابن حجر في معرض ذكر رجال هذا الحديث ولطائف اسناده :

(١) كتاب الايمان - باب حلاوة الايمان ج ١ ص ٦٠ فتح الباري
(٢) كتاب الايمان - باب من الدين الفسار من الفتن - فتح الباري ج ١ ص ٦٥

(قوله حدثنا عبد الله بن محمد) زاد ابن عساکر المسند هو هو بفتح النون قال حدثنا

أبو روح هو بفتح الراء ..

(قوله الحرص) هو بفتح المهملة واللام والاصلي حرص وهو اسم بلفظ النسب تثبت فيه الألف واللام وتحذف .. وقال الكرمانى أبو روح كنيته واسمه ثابت والحرص نسبته كذا قال وهو خطأ من وجهين أحدهما فى جعله اسمه نسبته والثانى فى جعله اسم جده اسمه وذلك أنه حرص بن عمار بن أبي حفصة واسم أبي حفصة ثابت وكأنه رأى فى كلام بعضهم واسمه ثابت فظن أن الضمير يعود على حرص لأنه المتحدث عنه وليس كذلك بل الضمير يعود على أبي حفصة لأنه الأقرب وأكد ذلك عنده ورود فى هذا السند الحرص بالألف واللام وليس هو منسوباً إلى الحرص بحال لأنه بصرى الأصل والمولد والنشأ والمسكن والوفاة .

(وقوله عن واقد بن محمد) زاد الأصلي يعنى زيد بن عبد الله بن عمر فهو من رواية الأبناء عن الأباء وهو كثير لكن رواية الشخص عن أبيه عن جده أقل وواقدهنا روى عن أبيه عن جد أبيه وهذا الحديث غريباً لأسناد تفرد بروايته شعبة عن واقد قاله ابن حبان وهو عن شعبة عزيز تفرد بروايته عنه حرص هذا وعبد الملك بن الصباح وهو عزيز عن حرص تفرد به عنه المسند كوابراهيم بن محمد بن عرفة ومن جهة إبراهيم أخرجه أبو عوانة وأبسن حبان والاسماعيلي وغيرهم وهو غريب عن عبد الملك تفرد به عنه أبو غسان مالك بن عبد الواحد شيخ مسلم فاتفق الشيوخ على الحكم بصحته مع غرابته .^(١)

النموذج السابع :

قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا بشر بن الحر حدثنا نافع عن ابن عمر عن

ابن مليكة قال : قالت أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) كتاب الإيمان - باب فان تابوا وأقاموا الصلاة - فتح البارى ج ١ ص ٧٠ و ٧١ .

أنا على حوض أنتظر من يرد على فيؤخذ بناس من دوني فأقول أمي • الحديث •

قال ابن حجر في بيان لطائف هذا الاسناد وذكر رجاله ••

(قوله حدثنا بشر بن السري) هو بكسر الموحدة وسكون المعجمة وأبوه بفتح الميملة وكسر الراء بعدها باء ثقيلة وبشر بصرى سكن مكة وكان صاحبها ^{مواظف} فلقب الأنوه وهو شقة عند الجميع إلا أنه تكلم في شيء يتعلق برؤية الله في الآخرة فقام عليه الحميدى فاعتذر وتنصل فتكلم فيه بعضهم حتى قال ابن معين رأيته بمكة يدعو على من ينسبه لأبن جهم وقال ابن عدى له أفراد وغرائب قلت وليس له في البخارى سوى هذا الموضوع وهو متابعة • (١)

النموذج الثامن :

قال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الزبير بن عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما يلقون من الحجاج فقال اصبروا فإنه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم •

قال ابن حجر في معرض ذكر رجال الاسناد ولطائفه ••

(قوله سفيان) هو الثوري (والزيبر بن عدى) بفتح العين بعدها دال وهو كوفي همداني بسكون الميم ويكنى أبا عدى وهو من صفار التابعين وليس له في البخارى سوى هذا الحديث •• (٢)

النموذج التاسع :

^{حمير} قال البخارى حدثني عبد الله بن الصباح حدثنا محبوب بن الحسن حدثنا خالد عن حمير ابن هلال عن أبي هريرة عن أبي موسى أن رجلا أسلم ثم تهود فأتاه معاذ بن جبل وهو عند ••• الحديث •••

(١) كتاب الفتن - باب ما جاء في قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصبن الذين ظلموا منكم خاصة ج ١٣

(٢) كتاب الفتن - باب لا يأتي زمان الا الذي بعده شر منه ج ١٣

قال ابن حجر في بيان لطائف هذا الاسناد ورجاله " قوله محبوب " بمهملة وموحدين
ابن الحسن بن هلال بصرى واسمه محمد ومحبوب لقب له وهو به أشهر وهو مختلف فسى
الاحتجاج به وليس له في البخارى سوى هذا الموضع وهو فى حكم المتابعة لانه تقدم فسى
استتابه المرتد بن من وجه آخر عن حميد بن هلال " قوله حدثنا خالد " هو الحداد ١٠١ هـ (١)

على أننى لاحظت ان ابن حجر لم يتوسع فى الحديث عن رجال الاسناد وما يتعلق بهم
بل يكفى بما يكشف عن احوالهم وقد اشار الى ذلك ابن حجر نفسه حيث قال " وما
أعتمد فى هذا الفتح ان لا اطلل بتراجم الرواة اعتناء بالكتب المؤلفة فى ذلك لكن ان اتفق
التباس الراوى بغيره بينته وكذا من ليست له رواية فى البخارى الا فى موضع او موضعين وكذا
من ذكروا بالتضعيف فاعتنى بالبحث فى ذلك ^{ويوضح} اللوم عن أورد حديثه فى الصحيح " (٢)

كما لاحظت أيضا انه عند ذكر لطائف الاسناد لم يكن مرتباً ولا منسقا فتارة يتحدث عنها
فى اول الكلام على الحديث واخرى بعد ان يفرغ من شرحه وبسط كل ما يتعلق به ١٠١ هـ

كذلك اشار اثناء حديثه على الاسناد ولطائفه الى تصريح كل مدلس بسماع لينفى عنه
تهمة التدليس . (٣)

كما اشار الى غرائب الصحيح (٤) وثلاثياته (٥) وافراده عن مسلم (٦) - وفى ذلك كله
ابلق دليل على انه قد بذل فى ابراز لطائف الاسناد والحديث عن رجاله جهدا موفورا لا يسح
منصف الا ان يحمده عليه وحسبنا فى ذلك قول استاذ الفقيروز يادى
جلا بشهاب فضله عن وجه الاسناد ^{اللى} كل مشكل بهم (٧)

(١) كتاب الاحكام - باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه ج ١٣ .

(٢) ابن حجر انتقاض التراضى ص ٥٧ ٥٨٤

(٣) مثل حديث شعبه عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حسين المعلم
قال حدثنا قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه " قال ابن حجر ورواية المتن هى رواية شعبه وقد صرح
احمد والنسائى فى روايتهما بسماع قتادة له عن انس فانتفت تهمة تدليس - كتاب
الايمان - باب من الايمان ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

(٤) مثل حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم " من اخذ من الارض شيئا بغير
حق " الحديث . كتاب المظالم - باب آثم من ظلم شيئا من الارض .

(٥) مثل حديث سلمه بن الاكوع عن النبي صلى الله عليه وسلم " من ضحك منكم فلا يصحب
بعد ثالثة " الحديث . كتاب الاضاحى - باب ما يؤكل من لحوم الاضاحى .

(٦) مثل حديث أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم " يوشك ان يكون خير مال المسلم
غنم يتبع بها شرف الجبال " الحديث . كتاب الايمان - باب من الدين الفرار من الفتن .

المبحث الرابع العام والخاص في شرح ابن حجر ..

يجمل بنا أن نشير إلى تعريف العام والخاص ونورد شيئاً مما يتعلق بهما قبل أن

نتعرض لذكرهما في شرح ابن حجر فنقول وبالله التوفيق

العام :-

لغة مأخوذ من العموم وهو الشمول والاحاطة ..

وفي اصطلاح الأصوليين لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق جميع

ما يصلح له . مثاله لفظ (السارق) في قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا

أيديهما) ولفظ " المطلقات " في قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة

أشهر .. ولفظ " أولادكم " في قوله تعالى " يوصيكم الله في أولادكم " فجميع هذه

الألفاظ تفيد العموم لأنها وضعت ^{لكثير} لكثير غير محصور من الأفراد وهي تستغرق جميع هذه

الأفراد وتشملها دفعة واحدة وليس على سبيل البديل فلفظ (السارق) يشمل كل سارق

ولفظ " أولاد " يشمل جميع الأولاد ..

الخاص :-

لغة مأخوذ من الخصوص وهو الأفراد يقال اختص فلان بكذا إذا انفرد به ولم

يشاركه غيره فيه ..

وفي اصطلاح الأصوليين .. لفظ وضع لواحد أو لكثير محصور والواحد قد يكون

واحداً بالذات كزبد أو بالنوع كرجل أو بالجنس كأنسان وأما الكثير المحصور فكأسماء

الأعداد والمشي (١) . وما دنا بصدده العام والخاص فينبغي أن نشير إلى معنى التخليص

والمخصص فنقول ..

(١) أصول الفقه ج ٢ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ حسين حامد

التخصيص :-

قصر العام على بعض أفراد * بدليل لفظي مقارن * ومعنى هذا بيان أن العام لم يكن شاملا لهذه الأفراد ابتداءً ولنوضح ذلك بالمثال الآتي :

قال الله عز وجل " اقتلوا المشركين " دل هذا القول على جواز قتل كل مشرك ظاهرا فإذا جاء قوله تعالى " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره " عرفنا أن لفظ المشركين في الآية الأولى كان مرادا منه غير طالب بالإجارة والأمان * فالتخصيص بيان للعام وتفسير له بمعنى أن ما أخرجه الدليل المخصص من العام لم يكن داخلا فيه ابتداءً وبهذا يفارق التخصيص النسخ لأن المنسوخ كان مرادا ابتداءً ثم اقتضت المصلحة نسخه ..

المخصص :-

هو الدليل الذي يخرج بعض أفراد العام وذلك بأثبات حكم ما تناوله العام ومثاله قوله تعالى " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا " فإن هذه الآية دلت بعمومها على أن كل متوفى عنها زوجها تعتد بأربعة أشهر وعشرة أيام وذلك يشمل المتوفى عنها إذا كانت حاملا - ثم جاء النص القرآني بأثبات حكم للمتوفى عنها الحامل يخالف الحكم الذي ثبت لها بمقتضى النص العام إذ جعل عدتها بوضع الحمل وهذا النص قوله تعالى " وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن " فإنه يفيد أن كل ذوات الأحمال بما فيهن المتوفى زوجها تعتد بوضع الحمل .. والقول بالتخصيص هنا أخرج المتوفى عنها الحامل من حكم النص العام وقصره على غير الحامل على أن يثبت في الحامل حكم النص الخاص ..

هذا ومن أراد الوقوف على شرح التعريفين السابقين للعام والخاص والأخراج بالمحترزات وألفاظ العموم ودلالة هذه الألفاظ هل هي ظنية أم قطعية وشروط التخصيص وأدواته فليراجع كتب الأصول فإن فيها خير غناء * ويجوز تخصيص الكتاب بالكتاب والسنة المتواترة على

خلاف في السنة الفعلية ويخبر الواحد على رأي الجمهور وتخصيص السنة بمثلها وبالنسبة

وفي كل ذلك خلاف محله كتب الأصول ويجوز تخصيصها بما بالقياس القطوع وبالمظنون

• ان استدلال الى نفسى خاص

ولعلنا بما قدمناه نكون قد ألقينا ضوءا يكشف عن حقيقة (١) العام والخاص وما يتعلق

بهما ••

ولقد حرص ابن حجر حرصا تاما عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح على أن يبين

العام وما يخصه وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلي ••

النموذج الأول : -

روى البخارى حديث أبى أيوب الأنصارى ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(إذا أتى أحدكم الفائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقا أو غربا)

وروى أيضا حديث ابن عمر ولفظه (لقد أرتقيت يوما على ظهر بيت لنا فرأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم على لهنتين مستقبلا بيت المقدس لحاجته وقيل لملك من الذين يصلون

على أوراكنهم فقلت لا أدري والله)

قال ابن حجر في بيان العام وما يخصه ••

وهذا الحديث العام - أى حديث أبى أيوب - قد خصص بحديث أبى عمر ثم تابع

كلامه فقال :

فدل حديث ابن عمر على تخصيص ذلك بالأبنية وحديث أبى أيوب عام في الأبنية وغيرها

والعمل بالدليلين أول من الفاء أحدهما • وقد جاء عن جابر فيما رواه أحمد وابن خزيمة

وغيرهم تأييد ذلك ولفظه عند أحمد * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نستدبر القبله أو أن نستقبلها بغروجنا اذا هرقنا الماء ثم رأيت قبل موته بعام يبول مستقبل القبلة * .
ثم استورد فقال : والحق أنه ليس بناسخ لحديث النبي بل هو محمول على أنه رآه نسي بناء ونحوه لأن ذلك هو المصمود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ورؤية ابن عمر له كانت عن غير قصد . .

هذا كلام ابن حجر ويؤيده أن ابن عمر صرح بذلك في رواية أخرى حيث قال " ارتثيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام * . ثم قال : ابن حجر بعد ذلك وكذا رواية جابر أي أن رؤيته للنبي كانت عن غير قصد كذلك ودعوى خصوصية ذلك بالنبي لا دليل عليها إذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال (١) ١٠ هـ .

النموذج الثاني : —

روى البخاري حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه . . " فيما سقت السماء والعيون أو كان عشرين العشر وما سقى بالضح نصف العشر * .
وروى أيضا حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " ليس فيما أقل من خمسة أو سق صدقه * .

قال ابن حجر في توضيح العام وما يخصه . .
فحديث ابن عمر بعمومه ظاهر في عدم اشتراط النصاب وفي إيجاب الزكاة في كل ما يسقى بمؤونة وغير مؤونة ولكنه عند الجمهور مختص بالمعنى الذي سبق لأجله وهو التمييز بين ما يجب فيه العشر أو نصف العشر بخلاف حديث أبي سعيد فإنه مساق لبيان جشع المخرج منه وقدره فأخذ به الجمهور علا بالدليلين .

(١) كتاب الوضوء . — باب لا تستقبل القبلة ببول ولا غائط . — وباب من تبرز على لبنتين . — وباب التبرز في البيوت .

وقال في مقام آخر : ان فيما سقت — وهو حديث ابن عمر — عام يشمل النصاب ودونه
وليس فيما دون خمسة أو سق صدقه — وهو حديث أبي سعيد — خاص بقدر النصاب ..

النموذج الثالث : —

روى البخارى حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " لا تسبوا الأموات فانهم
قد أفضوا الى ما قدموا "

وروى أيضا حديث أنس أنهم مروا بجنائزة فأتوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم وجبت ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر رضى الله عنه ما وجبت قال:
هذا أتيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أتيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء
الله في الأرض ه قال : ابن حجر في بيان العام والخاص ...

ولفظ الخبر — وهو حديث عائشة — مضمونه النهي عن السب مطلقا وعمومه مخصوص
بحديث أنس السابق حيث قال صلى الله عليه وسلم عند ثنائهم بالخير وبالشر وجبت وأنتم شهداء
الله في الأرض ولم ينكر عليهم . (١)

ومن باب العام والخاص أيضا العام المراد به الخصوص وذلك كحديث ابن عمر
تصدق بمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ثغ وكان نخلا ..
قال ابن حجر " قوله تصدق بمال "

هو من إطلاق العام على الخاص لأن المراد بالمال هنا الأرض التي لها غلة وهي
التي تسمى ثغ .. (٢)

(١) كتاب الجنائز — باب ثنائ الناس على الميت ه باب ما ينهى عن سب الأموات .

(٢) كتاب الوصايا — باب ما للوصي أن يعمل في مال اليتيم ...

طوبى لفراس

المطلق والمقيد في شرح ابن حجر ..

عنه

ينبغي قبل أن نتعرض لذكر المطلق والمقيد في شرح ابن حجر أن نعرف ما هو المطلق

وما هو المقيد ونذكر شيئاً مما يتعلق بهما فنقول - وبالله التوفيق -

عرف بعض الأصوليين المطلق بأنه ما دل على الماهية من غير قيد ..

والمقيد ما دل على الماهية مع قيد مضاف (١) .

فالمطلق عند هؤلاء كل لفظ يدل على الماهية والحقيقة دون ملاحظة أي قيد معين .
ومثال ذلك لفظ بقرة في قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " فان بقرة لفظ يدل
على الماهية والحقيقة دون ملاحظة قيد أو صفة أما لفظ " بقرة صفراء " فاقع لونها تسمى
الناظرين " فانه مقيد لأنه دل على الحقيقة والماهية مع ملاحظة صفات وتيود معينة ..

والمطلق عند هؤلاء مغاير للنكرة (٢) .

وعرف البعض الآخر المطلق بأنه ما دل على فرد شائع من أفراد جنسه "

والمقيد بأنه ما دل على صفة معينة من هذا الجنس ..

فالمطلق مثل لفظ " رقبة " في قوله تعالى في كفارة اليمين " أو تحرير رقبة "

والمقيد كل لفظ (رقبة مؤنثة) في قوله تعالى في كفارة القتل " ومن قتل مؤمناً خطياً فتحرير رقبة
مؤنثة " فلفظ رقبة دل على فرد شائع من أفراد الرقبة أي فرد كان مما يصدق عليه لفظ الرقبة
وأما لفظ " رقبة مؤنثة " فانه دل على رقبة من الرقاب وهي الرقاب المؤنثة دون الكافرة

(١) حاشية البناني ص ٣٠ ، ج ١

(٢) أصول / ص ٤٥٨ حسين حامد

وعلى هذا التصريف المطلق مرادف للنكرة لأنها ما دل على فرد شائع من أفراد جنسه . (١)
 ويجوز تقييد الكتاب بالكتاب وبالسنة ، والسنة بالسنة وبالكتاب وتقييدهما معا بفعل النبي
 صلى الله عليه وسلم وتقريره . (٢) وان اتحد المطلق والمقيد في الحكم والموجب السبب -
 وكانا مثبتين وتأخر المقيد عن وقت العمل بالمطلق فالمقيد ناسخ للمطلق . . . وان تأخر
 عن وقت الخطاب بالمطلق دون العمل أو تأخر المطلق عن المقيد مطلقا أو تقارنا أو جهلا
 تاريخهما حمل المطلق على المقيد جمعا بين الدليلين . . . وقيل المقيد ناسخ للمطلق أن
 تأخر عن وقت الخطاب كما لو تأخر عن وقت العمل به بجامع التأخر . . .

وقيل يحل المقيد على المطلق يلغى القيد لأن ذكر المقيد ذكر لجزئ من المطلق
 فلا يقيد . . .

وان كان المطلق والمقيد منفيين أو منفيين ، فالقائل بحججه مفهم المخالفة
 بقيد المطلق بالمقيد في ذلك ، وذلك نحو لا تمتق مكاتبا لا تمتق مكاتبا كافرا لا يجزئ مؤق
 مكاتب كافر . (٣)

وان كان أحدهما أمرا والآخر نهيا ، فالمطلق مقيد بضد الصفة في المقيد نحو أعتق
 رقبه لا تمتق رقبة كافرة ، أعتق رقبة مؤمنة لا تمتق رقبة . فالمطلق مقيد بالإيمان في المثال
 الأول ومقيد بالكفر في المثال الثاني . (٤) . ولحل فيما أوردناه كفاية ومن أراد استيفاء
 جميع ما يتعلق بهذا الموضوع فليراجع كتب الأصول . . .

وقد عني ابن حجر عناية تامة عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح أن يوضح ويبين
 المطلق وما يقيد ، وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلي : -

(١) حاشية البناني ص ٣٠ ج ٢ أصول الفقه ص ٤٥٨

(٢) ج ٢ ص ٣٢ حاشية البناني

(٣) المصدر السابق ص ٣٣

(٤) ص ٣٣ ، ٤٤

النموذج الأول :-

ذكر البخاري حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " سبعة ينظلمهم الله تحت ظله - وفيه - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " الخ ..
وروى أيضا حديث حارثة بن وهب الخزاعي ولفظه " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته فيقول الرجل لو جئت بهما بالأمن لقبلتها منك "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد ..

وحمل المطلق في هذا - أي الحديث الثاني - وهو قوله يمشى الرجل بصدقته - على المقيد في الحديث السابق عليه وهو قوله فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .
وذلك لأنه إذا كان حاملا لها بنفسه كان أخفى لها فكان في معنى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ومن هنا حمل المطلق على المقيد .. (١)

النموذج الثاني :-

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد - حين بعثه الى اليمن إنك سيأتي قوم أهل كتاب " وفيه " فإياك وكرائم أموالهم واثق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد ..

قال ابن العربي إلا أن هذا الحديث وإن كان مطلقا فهو مقيد بالحديث الآخر أن الداعي على ثلاث مراتب " أما أن يعجل له ما طلب وأما أن يدخر له أفضل منه وأما أن يدفع عنه من السوء مثله وهذا كما قيد مطلق قوله تعالى .. يجيب المضطر إذا دعاه .. بقوله تعالى " فيكشفنا تدعون اليه إن شاء " .. (٢)

(١) كتاب الزكاة - باب الصدقة باليمين .

(٢) كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء ..

النموذج الثالث : —

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام " وأورد أيضا حديث أبي بكر ولفظه " خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال أتدرون أي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم " الحديث هـ قال ابن حجر في توضيح المطلق والمقيد وليس في شيء من أحاديث الباب التصريح بغير يوم النحر وهو الموجود في أكثر الأحاديث كحديث الهرماس بن زياد وأبي أمامة كلاهما عند أبي داود وحديث جابر بن عبد الله عند أحمد خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ثم تابع كالله فقال : وأما قوله في حديث ابن عمر أنه قال ذلك بمشي فم هو مطلق فيحمل على المقيد فيتحمين يوم النحر ١٠ هـ . (١)

النموذج الرابع : —

روى البخاري حديث سعد بن أبي وقاص ولفظه " جاء النبي صلى الله عليه وسلم يهودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها هـ قال : يرحم الله ابن عفرات قلت : يا رسول الله أوصي بما لي كله قال : لا قلت : فالشطر قال : لا قلت : الثلث قال : فالثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس " الحديث .

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد

وفي هذا الحديث تقييد مطلق القرآن بالسنة لأنه سبحانه وتعالى قال : " من بعد وصية يوصي بها أو دين " فأطلق وقيدت السنة الوصية بالثلث . (٢)

(١) كتاب الحج — باب الخطبة أيام منى .

(٢) كتاب الوصايا — باب الوصايا .

النموذج الخامس : —

روى البخارى حديث عبد الله بن مسعود ولفظه " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوعك وعكا شديدا ، قلت ان ذاك بأن لك أجرين قال : أجل ما من مسلم يصيبه أذى الا حاك الله عنه خطايا كما تحات ورقة بالشجر "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد

و ظاهر الحديث تعميم جميع الذنوب لكن الجمهور خصوا ذلك بالصنائر للحديث الذى تقدم فى أوائل الصلاة ..

" الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهما من ما اجتنبت الكبائر "

فحملوا المطلقات الواردة فى التكفير على هذا المقيد . (١)

النموذج السادس : —

روى البخارى حديث أسماء بنت أبى بكر ولفظه ..

" أتتني أمى رغبة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية أخرى عنها قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش "

قال ابن حجر فى بيان المطلق والمقيد

قال الطيبى الذى تحرر أن قولها رغبة ان كان بلا قيد . فالمراد رغبة فى الاسلام لاغير واذا قرنت بقول مشركة أو فى عهد قريش فالمراد رغبة فى صلتى ..

ثم تابع ابن حجر كلامه فقال : —

وان كانت الرواية رغبة بالميم فمعناها كارهة للاسلام أما التى بالموحدة فيتعين حمل المطلق فيه على المقيد فانه حديث واحد فى قصة واحدة ويتعين القيد من جهة أخرى ونسب أنها لو جاءت رغبة فى الاسلام لم تحتج أسماء أن تستأذن فى صلتها لشيوع التألف على

(١) كتاب المرضى — باب شدة المرض .

الاسلام من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأمره فلا يحتاج الى استئذانه في ذلك . (١)

النموذج السابع : —

روى البخارى حديث أبي عريوة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " انكم ستحرمون على الأمانة وستكون ندامة يوم القيامة فمنع المروضة وبثت الفاطمة "

قال ابن حجر فى بيان المطلق والتقييد ..

وهذا المطلق مقيد بما أخرجه الطبرانى فى حديث زيد بن ثابت رفعه ، نعم الشئ * الأمانة لمن أخذها بحقها وحليها وبثمن الشئ * الأمانة لمن أخذها بغير حقها تكون عليه حسرة يوم القيامة ..

ويقوده أيضا ما أخرجه مسلم عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله الا تستعملنى قال انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها ...

وهذا قل من كثر وقطرة من بحر قصدنا به أن ننوه الى جهد ابن حجر فى هذا الصدد فالى بحث آخر ...

(١) كتاب الأدب — باب صلة النوالد المشترك *

الناسخ والمنسوخ في شرح ابن حجر :

طريق السالك
تتميم

إن من دعائم التشريع الاسلامي أن تساير أحكامه مصالح الناس وتسد حاجاتهم وتحققا لهذا فان الشارع قد سن وشرع بعض الأحكام ثم ابطالها ونسخها لما اقتضت المصلحة ذلك بحكم آخر ..

والحكم الأول يسمى منسوخا والثاني ناسخا وهو الذي يحقق هدف الشارع وفرضه بعد ان يكون الشارع قد اعد الناس ووطد نفوسهم لقبوله ومادنا بصدور الحديث عن الناسخ والمنسوخ فجدد بنا أن نشير الى ماهية النسخ وحقيقته ، فنقول : -

النسخ : -

في اصطلاح الفقهاء .. رفع الحكم الشرعي لدليل شرعي متأخر (١) والفرض منه مراعاة مصالح العباد وارشادهم في أمور دينهم ولم يخالف في وقوعه الا أبو مسلم الاصفهاني (٢)

وقد اتفق الفقهاء على جواز نسخ القرآن والسنة بالقرآن ونسخ السنة بمثلها من السنة أما نسخ القرآن بنفي القرآن والمتواتر من السنة بنفي المتواتر فقد منعه جماعة واجازه آخرون (٣) وقد حرص ابن حجر عند شرحه لاحاديث الجامع الصحيح على بيان الناسخ والمنسوخ *

والبيكم نماذج من هذا النوع حتى يتضح ما بذله ابن حجر من جهد في هذا الصدد ..

(١) حاشية البناني على شرح الجامع الجوامع ج ٢ ص ٤٩

(٢) المدخل للفقهاء الاسلامي ص ١٢

(٣) المدخل للفقهاء الاسلامي ص ١٢ ، حاشية البناني على شرح جميع الجوامع ص ٥٢ ، ٥٣

النموذج الأول : -

روى البخارى حديث عبد الله بن مسعود ولفظه " كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال : " ان فى الصلاة سهواً " .

وروى أيضا حديث زيد بن أرقم ولفظه " ان كنا لنتكلم فى الصلاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت حافظوا على الصلوات .. الآية .. فأمرنا بالسكوت " .

قال ابن حجر مبينا ما فى هذين الحديثين من النسخ ..

" قوله فى الحديث الثانى حتى نزلت حافظوا ظاهر فى ان نسخ الكلام فى الصلاة وقع بهذه الآية فيقتضى ان النسخ وقع بالمدينة لأن الآية مدنية باتفاق . ثم تابع كلامه فقال :

فيشكل ذلك على قول ابن مسعود ان ذلك لما رجعوا من عند النجاشى وكان رجوعهم من عنده الى مكة وذلك ان بعض المسلمين هاجر الى الحبشة ثم بلغهم ^{بلفظهم} ان المشركين أسلموا فرجعوا الى مكة فوجدوا الأمر بخلاف ذلك واشتد الأذى عليهم فخرجوا اليها أيضا فكانوا فى المرة الثانية أضعاف الأولى وكان ابن مسعود مع الفريقين ثم قال ابن حجر بعد ذلك ..

واختلف فى مراده بقوله فلما رجعنا هل أراد الرجوع الأول أو الثانى .

فجنح القاضى أبو الطيب الطبرى وآخرون الى الأول وقالوا كان تحريم الكلام بمكة وحملوا حديث زيد على أنه وقومه لم يبلغهم النسخ وقالوا لا مانع أن يتقدم الحكم ثم تنزل الآية ^{بلفظهم} بوقفه . وجنح آخرون الى الترجيح فقالوا يترجح حديث ابن مسعود بأنه حكى لفساد النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف زيد بن أرقم فلم يحكه .

وقال آخرون انما أراد ابن مسعود رجوعه الثانى وقد ورد أنه قدم المدينة والنبي صلى

الله عليه وسلم يتجهز الى بدر ..

وفي مستدرك الحاكم **هو طريق أبي اسحاق عن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن ابن مسعود**

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ثمانين رجلا فذكر الحديث بطوله وفي

آخره فتمجل عبد الله ابن مسعود لمشهد بدره ، وفي السيرة لأبي اسحاق أن المسلمين بالعيشة

لما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة رجع منهم سبعة وتوجه الى المدينة

اربعة وعشرون رجلا فشهدوا بدره ، فعلى هذا كان ابن مسعود من هؤلاء فظهر أن

اجتماعه بعد رجوعه كان بالمدينة والى هذا الجمع نحا النخالي ولم يقف من تمقب كلامه

على مستنده ويقوى هذا الجمع رواية كلهم الغزالي عند النسائي فانها ظاهرة في أن كلامه

ابن مسعود وزيد بن أرقم حكى أن الناسخ قوله تعالى وقوموا لله قانتين وأما قول ابن حبان

كان نسخ الكلام بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين قال : وصحى قول زيد بن أرقم كنا نتكلم كان قوم

يتكلمون لأن قومهم كانوا يصلون قبل الهجرة مع مصعب بن عير الذي كان يحلمهم القرآن فلما

نسخ جواز الكلام بمكة بلغ ذلك أهل المدينة فتركوه ..

وتوجه

فتمقب بأن الآية مدنية باتفاق وبأن اسلم الأنصار وتوجهه اليهم انما كان قبل

الهجرة بسنة واحدة وبأن في حديث زيد بن أرقم كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذا أخرجه الترمذي فما تنفى أن يكون المراد الأنصار الذين كانوا يصلون بالمدينة قبل

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم .

وأجاب ابن حبان في موضع آخر بأن زيد بن أرقم أراد بقوله كنا نتكلم من كان يصل

خلف النبي صلى الله عليه وسلم بمكة من المسلمين وهو متقب أيضا بأنهم ما كانوا بمكة يجتمعون

الا نادرا . وما روى الطبراني من حديث أبي أمامه قال : كان الرجل اذا دخل المسجد

فوجد هم يصلون سأل الذي الى جنبه فيخبره بما فاتة فيقضى ثم يدخل معهم حتى جاء معاك يوما

فدخل في الصلاة الحديث بتمامه .

وهذا كان بالمدينة قطعا لأن أبا أمامة وصعاق بن جهم إنما أسلما بها • ثم
استطرد ابن حجر في ذكر ما يتعلق بهذا الموضوع فقال : وقيل ليس في هذه القصة نسخ
لأن إباحة الكلام في الصلاة كان بالبراءة الأصلية والحكم المزيل لغيرها ليس نسخا •

وأجيب بأن الذي يقع في الصلاة ونحوها مما يمنع أو يباح إذا قرره الشارع كان حكما
شرعيا فإذا أورد ما يخالفه كان نسخا وهو كذلك هنا (١) ٥١ هـ

النموذج الثاني : —

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين
فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للذبيهن لكل واحد منهما
السدس وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوجة الشطر والربع "

قال ابن حجر في تبيان ما في هذا الحديث من النسخ •
قال جمهور العلماء كانت هذه الوصية في أول الإسلام واجبة لوالدي الميت وأقربائه
على ما يراه من المساواة والتفضيل ••

ثم نسخ ذلك بآية الفرائض ••

وقيل كانت للوالدين والأقربين دون الأولاد فإنهم كانوا يرثون ما يبقى بعد الوصية ••
وأعرب ابن شريح فقال : كانوا مكلفين بالوصية للوالدين والأقربين بمقدار الفريضة
التي في علم الله قبل أن ينزلها • واشتد انكار امام الحرمين عليه في ذلك وقيل إن الآية
مخصوصة لأن الأقربين أهم من أن يكونوا وارثا وكانت الوصية واجبة لجميعهم فخص منها من
ليس بوارث بآية الفرائض ويقول صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وبقي حق من لا يرث من
الأقربين من الوصية على حاله قاله طائفة وغيره • ثم تابع ابن حجر مقالته فقال •

(١) من أبواب العمل في الصلاة — باب ما ينهي من الكلام في الصلاة ج ٣ ص ٥٦ ٥٧

واختلف في تعيين ناسخ آية الوصية للوالدين والأقربين (١) فقيل آية الفرائض (٢) وقيل الحديث المذكور (٣) وقيل دل الإجماع على ذلك وإن لم يتعين دليله (٤)

النموذج الثالث : —

روى البخارى حديث جابر بن عبد الله ولفظه " كما لا نأكل من لحم بدننا فوق ثلاث منى فرخص لنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال كلوا وتزودوا فأكلنا وتزودنا "

وروى أيضا حديث أبى سعيد ولفظه " أنه كان غائبا فقدم فقدم إليه لحم قالوا هذا من لحم ضحيانا فقال أخروه لا أذوقه قال : ثم قت فخرجت حتى أتى أخى أبوا قتاده — وكسان أخاه لأمه — فذكر ذلك له فقال : إنه قد حدث بعدك أمر •

وروى أيضا حديث سلمة بن الأكوع ولفظه " قال النبي صلى الله عليه وسلم من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثه وبقى في بيته منه شيء فلما كان العام المقبل قالوا يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام ^{الماضى} قال : كلوا وأطعموا وأدخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهنم فأردت أن تعينوا فيها •

قال ابن حجر في بيان ما في هذه الأحاديث من النسخ • وقد جزم الشافعى في الرسالة في آخر باب العلل في الحديث فقال ما نصه • فإذا دفت الدافة ثبت النهى عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث وإن لم تدف دافة فالرخصة ثابتة بالأكل والتزود والادخار والصدقة قال الشافعى ويحتمل أن يكون النهى عن إمساك اللحم بعد ثلاث منسوخا في كل حال •

ثم تابع ابن حجر كلامه فقال ••

(١) آية الوصية هي قوله تعالى " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية

لوالدين والأقربين — الآية •

(٢) آية الفرائض " يوصيكم الله في أولادكم للذكور مثل حظ الأنثيين •• الآية •

(٣) قوله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث "

(٤) كتاب الوصايا — باب لا وصية لوارث •

وهذا الثاني أخذ المتأخرون من الشافعية فقال الرافعي الظاهر أنه لا يحرم ^{المعوم} ~~المعوم~~ بحال وتبعه النووي فقال في شرح المذهب الصواب المعروف أنه لا يحرم الادخار اليوم بحال، وحكى في شرح مسلم أنه من نسخ السنة بالسنة قال والصحيح نسخ النهي مطلقاً وأنه لم يبق تحريم ولا كراهة فيها اليوم الادخار فوق ثلاث والأكل إلى متى شاء، وإنما رجع ذلك لأنه يلزم من القول بالتحريم إذا دفت الدافعة إيجاباً لأطعام وقد قامت الأدلة عند الشافعية أنه لا يجب في المال حق سوى الزكاة •

ونقل ابن عبد البر ما يوافقنا نقله النووي فقال : لا خلاف بين فقهاء المسلمين في إجازة أكل لحم الأضحية بعد ثلاث وأن النهي عن ذلك منسوخ كذا أطلق وليس بجديد •
فقد قال القرطبي حديث سلمة وعائشة نص على المنع ^{أو} كان لعله فلما ارتفعت ارتفع لا ارتفاع موجب فيتعين الأخذ به ويحرم الحكم لعود الحلة فلو قدم على أهل بلد ناس محتاجون في زمن الأضحية ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم إلا الضحايا • تعين عليهم أن لا يدخروها فوق ثلاث • وقد حكى الرافعي عن بعض الشافعية أن التحريم كان لعله فلما زالت زال الحكم لكن لا يلزم عود الحكم عند عود الحلة قلت واستبعدوه وليس ببعيد لأن صاحبه قد نظر إلى أن الخلعة لم تستبد يومئذ إلا بما ذكر فأما الآن فإن الخلعة تستبد ^{بغير} بخير لحم الأضحية فلا يعود الحكم إلا لو فرض أن الخلعة لا تستبد إلا بلحم الأضحية وهذا في غاية الندور •

وحكى البيهقي عن الشافعية أن النهي عن أكل لحم الأضحية فوق ثلاث كان في الأصل للتنزيه قال : وهو كالأمر في قوله تعالى " فكلوا منها وأطعموا القانع والمستر " وحكاه الرافعي عن أبي علي الطبري احتمالاً وقال المذهب أنه الصحيح لقول عائشة وليس بمعزومة • ٥٠١ هـ •

وفيد هذا الحديث نسخ الأثقل بالأخف لأن النسخ عن ادخار لحم الأضحية بعد ثلاث
ما يثقل على المشحين والاذن في الادخار أخف منه .

وفيه رد على من يقول ان النسخ لا يكون الا بالأثقل للأخف . هـ .

وبعد فهذا قليل من كثير قصدنا به الاستشهاد على ما نحن بصدد
وليس الاستقصاء . (١)

النحو والأعراب في شرح ابن حجر

الحسين بن علي
بن حجر

لا جدال بين علماء العربية في أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو وقواعده
وسبب ذلك أن ابنته قالت له يوما ما أحسن السماء برفع أحسن وإضافة السماء اليها فقال
لها ~~لها~~ ^{نحوها} فقالت اني لم أرد هذا وانما أتعجب من حسنهما فقال لها اذن فقولسي
فما أحسن السماء ووضع مبادئ النحو من ساعتها . . وكان أول ما رسم منه باب التعجب . . (٢)
وتأسست بعد ذلك بالبصرة أول مدرسة نحوية وكان لها منهج خاص في استنباط قواعد
النحو وأصوله وتلتها مدرسة الكوفة وكان لها أيضا منهجها وعن طريق هاتين المدرستين
تكونت مدرسة بغداد والأندلس وعلى الرغم من أنهما تأثرتا بمدرسة الكوفة والبصرة الا أن كل
واحدة منهما كانت لها قواعد نحوية جديدة ومن هنا كثرت الآراء والتخریجات النحوية
التي حاول بها كل فريق أن يبطل بها حجة الآخر - وكثرت أوجه الأعراب وتعددت المعاني
فلكل أعراب معنى وقد حرص ابن حجر حرصا تاما عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح (٣)
ان يستمر في هذا هذاب هؤلاء النحويين وتخریجاتهم وأن يشير الى خلاقاتهم في الأعراب وفرضه من
ذلك أن يكشف معاني الأحاديث وأن يجليها وسوف نسوق نماذج يتضح منها جهد ابن حجر
في هذا الباب فيما يلي :-

(١) من كتاب الأضاحي - بابها يؤكل من لحم الأضاحي وما يتزود منها .

(٢) ابن الابناري نزعة الألباء في طبقات اللغويين والأدباء ص ١٢

(٣) من رسالة الزميل القصبي زلط ص ١٧٨

النموذج الأول : -

روى البخارى حديثاً شاعراً لفظه " إن الحارث بن هشام رضى الله عنه
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال : رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على .. ونبيه - وأحياناً
يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأخى ما يقول " الحديث .

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من النحو والأعراب ..

" قوله يتمثل لى الملك رجلاً " رجلاً منصوب بالمصدرية أى يتمثل مثل رجل أو بالتمييز
أو بالحال والتقدير هيئة رجل (١) .. أ . ه .

النموذج الثانى : -

روى البخارى حديثاً شاعراً لفظه " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصالحة فى النوم "

وفى الحديث حكاية عن ورقة بن نوفل أنه قال " ياليتنى فيها جذع " قال ابن حجر ففى
توضيح ما فى الحديث من النحو والأعراب ..

" قوله ياليتنى فيها جذع " كذا فى رواية الأصيلى وعند الباقيين بالنصب جذعاً - على
أنه خبر كان المقدرة قاله الخطابى وهو مذهب الكوفيين فى قوله تعالى " انتموا خيراً لكم "
وقال ابن برى ياليتنى جعلت فيها جذعاً .. وقيل النصب على الحال إذا جعلت فيها خبر
ليت والعامل فى الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار (٢)

النموذج الثالث : -

روى البخارى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم لفظه " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
الايان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .. الحديث "

(١) من كتاب بدء الوحي ..
(٢) من كتاب بدء الوحي ..

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب :-

قوله " ثلاث " هو مبتدأ والجملة الخبر وجاز الابتداء بالنكرة لأن التنوين عوض عن المضاف اليه فالتقدير ثلاث خصال ويحتمل في اعرابه غير ذلك .. " قوله كن " أي حصل في فهي تامة لا تحتاج الى اسم وخبر " قوله أحب اليه " منصوب لأنه خبر يكون .. (١)

النموذج الرابع :-

روى البخاري حديث ابن عمر ولفظه " كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غالما شابا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كما البئر واذا لها قرنان " الحديث

قال الحافظ في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب .

" قوله واذا لها قرنان " هكذا للجمهور وحكى الكرماني أن في نسخة قرنمين فأعرابها بالجر أو بالنصب على أن فيه شيئا مضافا حذف وترك المضاف اليه على ما كان عليه وتقديره فاذا لها مثل قرنين وهي كقراءة من قرأ " تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة " بالجر أي يريد عرض الآخرة أو ضمن اذا المفاجأة معنى الوجدان أي فاذا بي وجدت لها قرنين . (٢)

النموذج الخامس :-

روى البخاري حديث أبي سلمة ولفظه " حدثني مصعب " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال ان كنت فاعلا فواحدة "

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب .

" قوله فواحدة " بالنصب على اضمار فعل أي فامسح واحدة أو على النعت لمصدر محذوف ويجوز الرفع على اضمار الخبر أي فواحدة تكفي أو اضمار المبتدأ أي فالمشروع واحدة (٣) هـ

- (١) كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ..
(٢) كتاب الصلاة - باب فضل قيام الليل ..
(٣) كتاب الصلاة - باب مسح الحصى في الصلاة ..

النموذج السادس : —

روى البخارى حديثاً شائناً ولفظه " ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يحمل به الناس فيفرض عليهم " قال الحافظ في بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله ان كان " بكسر الهمزة وهى المخففة من الثقيلة وفيها ضمير الشأن .. " قوله خشية " بالنصب متعلق بقوله ليدع " قوله فيفرض " بالنصب عطفاً على يحمل (١)

النموذج السابع : —

روى البخارى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى " قال الحافظ فى عرض ما فى الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله الا " الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال الى موضع والمستثنى منه نفسى الاستثناء المفرغ مقدر بالعام — وهو موضع — " قوله المسجد الحرام " بالخفض على البدلية ويجوز الرفع على الاستئناف " قوله ومسجد الأقصى " هو من اضافة الموصوف الى الصفة وقد جوزة الكوفيون واستشهدوا له بقوله تعالى " وما كنت بجانب الغربى " والبصريون يؤولونه بانفسار المكان الذى بجانب المكان الغربى ومسجد المكان الأقصى (٢)

النموذج الثامن : —

روى البخارى حديث أنس ولفظه " كان فزعٌ بالمدينة فاستعمار النبى صلى الله عليه وسلم فوسا من أبى طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما رأينا من شئ وان وجدناه لبحراً "

(١) كتاب الصلاة — باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل.

(٢) كتاب الصلاة — باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة .

قال الحافظ لبن حجر في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب •
 " قوله وان وجدناه لبحرا " قال الخطيب ابن هجر النافية واللام في لبحرا بمعنى الا أو ما وجدناه
 الا لبحرا قال ابن التين هذا مذهب الكوفيين • وعند البصريين ان مخففة من الثقيلة واللام
 زائدة (١)

النموذج التاسع :-

روى البخاري حديث عائشة ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة
 تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها "

قال الحافظ في عرض ما في الحديث من النحو والاعراب •
 " قوله حتى الشوكة " جوزوا فيه الحركات الثلاث فالجر بمعنى النهاية أي حتى
 ينتهي الى الشوكة أو عطفا على لفظ مصيبة والنصب بتقدير عامل أي حتى وجدانه الشوكة •
 والرفع عطفا على الضمير في تصيب • وقال القرطبي قيده المحققون بالرفع والنصب
 فأنزع على الإسناد ولا يجوز على المحل كذا قال ووجهه غوره بأنه يسوغ على تقدير أن من
 زائدة .. (٢)

النموذج العاشر :-

روى البخاري حديث أبي هريرة ولفظه " قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن
 ابن علي ~~عليهما السلام~~ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال : الأقرع ان لي عشرة من الولد
 ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من لا يرحمهم
 لا يرحم "

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب •
 " قوله وعنده الأقرع بن حابس " الجملة حالية •

(١) كتاب التبيين في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب
 (٢) كتاب المرض - باب ما جاء في قلة المرض

" قوله من لا يرحم لا يرحم " هو بالرفع فيهما على الخبر وقال عياض هو الأكثر .
وقال أبو البقاء من موصولة ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ بالجزم فيهما . قال السهيلي جعله
على الخبر أشبه بسياق الكلام لأنه سيق للرد على من قال بأن لى عشرة من الولد أى السدى
يفعل هذا الفعل لا يرحم ولو كانت شرطية لكان فى الكلام بعض انقطاع لأن الشرط وجوابه
كلام مستأنف . على أن ابن حجر قد ارتضى ما ذهب اليه السهيلي ورجحه فقال " وهو
أولى من جهة أخرى لأنه يصير من نوع ضرب المثل . .

ثم استطرد قائلا . .

ورجح بعضهم كونها موصولة لكون الشرط اذا أعقبه نفى ينفى غالباً بلم ثم عقب على
ذلك فقال : وهذا لا يقتضى ترجيحاً اذا كان المقام لاثماً بكونها شرطية .

ثم تابع كلامه فى عرض آراء النحويين فقال :

وأجاز بعض شراح المشارق الرفع فى الجزأين والجزم فيهما والرفع فى الأول والجزم فى
الثانى وبالعكس فيحصل أربعة أوجه واستبعد الثالث ووجه بأنه يكون فى الثانى بمعنى النهى

أى لا ترحموا من لا يرحم الناس ومثله قول الشاعر :

فقلت ~~لها~~ احمل فوق طوقك ~~إنها~~ . . مطوقة من يأتها لا يضرها (١)

على أننى لاحظت أن ابن حجر لم يتوسع كثيراً فى النحو وأوجه الأعراب بل يذكر

من ذلك ما يوضح المعنى ويؤيد الفرض الذى يهدف اليه . . أ . ه .

ولعله يكون بعد هذا قد وضح جهد ابن حجر فى هذا الباب ،

فالى بحث آخر . . .

كتاب الأعراب باب رحمة الله تعالى على عباده



طريق التماسه
الحمد

البلاغة في شرح ابن حجر :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس قاطبة وأبلغهم عبارة وأوجزهم لفظاً ومن ثم جاء كلامه في غاية الرصانة والمتانة وفي أعلى مراتب البلاغة مشتملاً على جميع صورها وأساليبها التي عرفها علماءها بعد - ^{وقدروا} القواعد ووضعوا لها التحريفات - واقتبسوا من بديع كلامه ومن جوامع كلمه ما يشهد لما ذهبوا اليه . ولا غرابة في ذلك فقد قال عن نفسه - كما رواه أبو هريرة - " بعثت بجوامع الكلم " (١)

وقد حرص ابن حجر على أن لا يخلو شرحه لأحاديث الجامع الصحيح من إبراز الصور البلاغية والبيانية والمحسنات البديعية المثبوتة في ثانياً أحاديث الصحيح وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلي :

النموذج الأول :

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج مومن من الغنم شدة " وفيه " فمما نزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال :

" جمعه لك صدرك " ^{د صرحه تفسيره عيسى}

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من البلاغة ..

" قوله جمعه لك صدرك " فيه اسناد الجمع الى الصدر بالمجاز (٢) كقوله أنبت الربيع البقل فان المنبت هو الله تعالى (٣)

(١) كتاب الاعتصام - باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم .

(٢) مجاز عقلى .. وهو اسناد الفعل الى غير ما هو له مثال حديث المقداد بن اسود (ابن آدم وعاء شوا من بطنه أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان .

(٣) من كتاب بدء الوحي .

النموذج الثاني :

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركبته قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مآذ أبا سفيان وكفار قريش " وفيه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلم عليهم اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فانما عليك اسم الأريسين " الحديث .

قال ابن حجر فى بيان ما فى هذا الحديث من أنواع البلاغة " قوله أما بعد أسلم تسلم " فيه نوع من البديع وهو الجناس . (١) الاشتقاقى - " قوله فان توليت " أى أعرضت عن الاجابة فى الدخول الى الاسلام وحقيقة التولى انما هو بالوجه ثم استعمل مجازا فى الأعراض عن الشئ وهى استعارة تبعية (٢)

النموذج الثالث :

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزا يومئذ للناس فأتاه جبريل فقال ما الأيمان " وفيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم " هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " .

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من أنواع البلاغة

" قوله هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " فاسناد التعليم هنا الى جبريل مجازى

لأنه كان السبب فى الجواب فلذلك أمر بالأخذ عنه (٤)

(١) الجناس هو تشابه الكلمتين فى اللفظ واختلافهما فى المعنى أو هو اتفاق اللفظين فى

وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما . .

(٢) كتاب يد الوحي .

(٣) لأنها جرت فى الفعل .

(٤) كتاب الايمان - باب سؤال جبريل النبى عن الايمان والاسلام .

النموذج الرابع :

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتسجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن وفيه " ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق " وفيه " والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق " وفيه " اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت " الحديث .

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من البلاغة .

ووعدك الحق ولقاؤك حق " وعرفه ونكر ما بعده لأن وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره ^{والتكبر} فى البواقي للتعظيم " قوله والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق " خصه بالذكر تحظيما له وجرده عن ذاته كأنه غيره ووجب عليه الايمان به وتصديقه بمبالغة فى اثبات نبوته " قوله والساعة حق " للمبالغة فى التأكد من أنه لا بد من كون هذه الأمور وأنه مما ^{يجب} أن يصدق بها . . . " قوله اللهم لك أسلمت وبك آمنت " وقدم مجموع صلاة هذه الأفعال عليها اشعارا بالتخصيص وافادة للحصر وكذا قوله ولك الحمد (١) أ. هـ .

النموذج الخامس :

روى البخارى حديث أبي هريرة ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يعقده الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقده " الحديث

قال ابن حجر فى بيان ما فى هذا الحديث من الصور البلاغية .

فيلما قيل هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر ^{نلما} بالمسحور ^{نلما} كان الساحر يمنع بحقه ذلك تصرف من يحاول عقده كان هذا مثله من الشيطان للنائم ، وقيل المراد به عقد القلب وتصميمه على الشئ كأنه يوسوس له بأنه بقى من الليلة قطعة طويلة فيتأخر عن القيام ،

(١) كتاب الصلاة - باب التسجد فى الليل .

وانحلال العقد كتابة عن علمه بكذب فيها يسوس به وقيل العقد كتابة عن تشييط الشيطان للنائم
بالقول المذكور ومنه عقدت فلانا عن أمراته أي منعت عنها أو عن تشييله عليه النوم كأنه قد شهد
عليه شهادا (١)

النموذج السادس :

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعاذ بن جبل
حين بعثه الى اليمن انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض خمس صلوات
كل يوم وليلة " وفيه " فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على
فقرائهم " وفيه " فايك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله
حجاب "

قال ابن حجر في بيان ما في هذا الحديث من البلاغة .. " قوله اتق دعوة المظلوم "
تدبر (١) لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره .. " قوله فانه ليس بينه
وبين الله حجاب " تمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان مظلوما فلا يحجب (٢)

النموذج السابع :

روى البخاري حديث أبي هريرة ولفظه " وكلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة
رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : انى محتاج ^{الى} وعلى عيال ولى حاجة شديدة فخليت عنه فأصحت " فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ^{اسمك} ما فعل / البارحة " وفيه " قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى
كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله قال صلى الله عليه وسلم ما هى قلت : / اذا آويت المسى
فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا اله الا هو الحى القيوم وقال : لو لن يزال عليك

(١) كتاب الصلاة - باب عقد الشيطان على قافية الرأس اذا لم يصل بالليل

(٢)

(٣) كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء

من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبسى
صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليالي يا أبا هريرة
قال : لا قال ذاك شيطان *

قال ابن حجر فى بيان بلاغة هذا الحديث

" قوله وكانوا أحرص شيء على الخير " فيه التفات (١) اذ السياق يقتضى أن يقول

وكنا أحرص شيء على الخير ..

" قوله وهو كذوب " من التميم (٢) البليغ النفاية فى الحسن لأنه أثبت له الصدق

فأوهم له صفة المدح ثم استدرك ذلك بصفة المبالغة فى الذم بقوله وهو كذوب (٣)

النموذج الثامن :

روى البخارى حديث عروة بن الجعد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه " الخيل معقود

فى نواصيها الخير الى يوم القيامة "

قال الحافظ ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من الصور البلاغية :

قال الطيبى يحتمل أن يكون الخير استمارة لظهوره وملازمته وخص الناصية لرفعة قدرها

وكانه شبهه - أى الخير - لظهوره بشئ محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخسائر

الى لانم المشبه به وذكر الناصية تجريد للأستمارة ثم استرسل فقال :

قال عياض فى هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة والعدوية ما لا مزيد عليه فى الحسن

مع الجناس السهل الذى بين الخيل والخير (٤)

(١) الالتفات : هو الانتقال من صيغة الخطاب أو الفيبة أو التكم الى واحدة من هذه

الصيغ بشرط أن يكون الكلام بعد النقل مع من كان قبله .

(٢) التميم ويسمى الاحتراس والأحتياط . وهو أن يؤتى فى كلام يومهم خلافا لمقصود بما
يدفع ذلك الوهم .

(٣) كتاب الوكالة - باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازة الموكل فهو جائز .

(٤) كتاب الجهاد - باب الخيل معقود فى نواصيها الخير .

النموذج التاسع :

روى البخارى حديث أبي بردة ولفظه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا * قال ابن حجر فى عرضها فى هذا الحديث من الصور البلاغية

" قوله كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا * هو من اللف (١) والنشر المثلث سوب فالاقامة فى مقابل السفر والصحة فى مقابل المرض (٢)

النموذج العاشر :

روى البخارى حديث عكرمة ولفظه * أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظى قالت عائشة وعليها خمار أخضر فشكت اليها وأرتها خضرة بجلدها * وفيه * فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رأيت مثلا يلقي المؤمنات لجلدها أشد من خضرة ثوبها * وفيه أن عبد الرحمن قال : * انى لأنفضها نفى الأديم "

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من البلاغة :

" قوله قالت عائشة وعليها خمار أخضر فشكت اليها * فيه التفات أو تجريد وكان السياق أن يقال فشكت الى لأن عائشة هى المتحدث * قوله انى لأنفضها نفى الأديم * كناية بليغة فى النهاية من ذلك لأنها أوقع فى النفس من التصريح لأن الذى ينفى الأديم يحتاج الى قوة ساعد وملازمة لدويله (٣)

النموذج الحادى عشر :

روى البخارى حديث أبي هريرة ولفظه * قال النبى صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "

(١)

(٢) كتاب الجهاد - باب يكتب للمسافر ما كان يعمل فى اقامه

(٣) كتاب اللباس - باب الثياب الخضراء *

قال ابن حجر في بيان الصور البلاغية في هذا الحديث ..

" قوله كلمتان " هو الخبر وحبيبتان وما بعدها صفة والمبتدأ سبحانه الله الى آخره ..

والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع الى المبتدأ ^{أو} كلما طال الكلام في وصف الخبر حسن

تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقاً ..

ثم استطرد فقال :

قال الطيبي الخفة مستعمارة للسهولة وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على

الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشئ الثقيل وفيه من البديع المقابلة ^(١) والمناسبة

والموازنة في السجع لأنه قال حبيبتان الى الرحمن ولم يقل للرحمن لموازنة قوله على اللسان ^(٢) ٢٠ هـ

ولعل فيما قلناه ^{ذكرناه} كفاية لبيان جهد ابن حجر في هذا الصدد على أننى قد لاحظت

أن ابن حجر لم يسهب ولم يتوسع في عرض الأسرار البلاغية أثناء شرحه لأحاديث الصحيح

كما فعل غيره بل اكتفى بما يؤدى الفرض ويساعد على فهم المعنى . ٠ هـ .



(١) هي أن يؤتى بمعنىين متوافقين أو معانى متوافقة ثم يؤتى بما يقابل

ذلك على الترتيب ..

(٢) كتاب التوحيد - باب ونضع الموازن القسط ليوم القيامة .

الأحكام الفقهية (١) (٢)

الموسم
عشر

القرآن هو المعين الفياض والينبوع الأصل للتحاليم الدينية والمصدر الأول للشرعة الإسلامية وقد حفلت السنة بما يؤيد أحكامه وموافقه من حيث الاجمال والتفصيل حينما وما يوضحه ويبين أحكامه من تفصيل مطلق أو تفصيل مجمل أو تخصيص عام حينما ودلت على حكم سكت فيه فلم يوجبته ولم ينفيه حينما آخر . (٣)

فلا عجب إذن أن كانت السنة هي المصدر الثاني للشرعة الإسلامية بعد كتاب الله تعالى وحيث كانت السنة بهذه المنزلة ، فقد اتجهت هم العلماء اليها وتوفرت جهودهم عليها بحثا . . .

(١) الأحكام جمع حكم . . والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين من طلب أو تخيير أو وضع وهو باعتباره قاعدة لم يوضع لحالة خاصة أو فرد معين وإنما هو قاعدة كلية والحكم يفترض وجود ما يأتي : حاكم وهو الله لأنه مصدر الأحكام . . . ومحكوم فيه وهو الفعل الذي يتعلق به الحكم الشرعي . . . ومحكوم عليه وهو المكلف ، نفسه من يتجه اليهم خطاب الشارع ويلزم بهم التكليف ص ٣٥ ، ٣٦ المدخل للفقه الاسلامي .

(٢) الفقه في أصل اللغة . . عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه . وفي اصطلاح العلماء ^{المستعير} عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العملية ^{المعينة} من أدلتها التفصيلية . . . وعبارة فخر الدين الرازي بعد قوله العملية المستدلة على أعيانها . . .

(٣) فمن النوع الأول ، الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج من غير تعرض لشرائطها وأركانها فانها موافقة للآيات التي وردت في ذلك كحديث بنى الاسلام على خمس فانه توافق لقوله تعالى " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " ومن النوع الثاني الأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والزكاة والصيام والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة فمضى في القرآن وهو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودا .

ومن النوع الثالث الأحاديث التي دلت على حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وأحكام الشفعة ورجم الزاني المحصن ، وغير ذلك ، وتحريم الحصر الأهلية .

وإن أرادوا وجدوا واجتهدوا ونظروا فيها واستنبطوا من عيونها أحكاما ومساائل وتفريعات وأقاموا الأدلة عليها كل منهم على قدر فهمه وبحسب قدراته واستعداداته وما تسمع به قريحته وملكته وقد اعتنى ابن حجر عناية تامة - أثناء شرحه لأحاديث الجامع الصحيح - بإيضاح ما استنبطه العلماء من أحكام ومساائل وعرض ما توصلوا إليه من آراء فقهية - مع ذكر أدلتهم ومستندهم فيما ذهبوا إليه وسوف نسوق نماذج فيما يلي حتى نبين بوضوح وجلاء جهد ابن حجر في هذا الباب •

النموذج الأول :

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " شهد عندى رجال مرضيون وأرضاهم عندى عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب) (١) قال - النووي - أجمعت الأمة على كراهية صلاة لا سبب لها نفسى الاوقات المنهى عنها واتفقوا على جواز الفرائض المؤداة فيها واختلفوا فى النوافل المسمى لها سبب كصلاة تحية المسجد وسجود التلاوة والشكر وصلاة العيد والكسوف وصلاة الجنائز وقضاء الفائتة •

وذهب الشافعى وطائفة الى جواز ذلك كله بالكراهية • وذهب أبو حنيفة وآخرون الى أن ذلك داخل فى عموم النهى واحتج الشافعى بأنه (صلى الله عليه وسلم) قضى سنة الظهر بعد العصر وهو صريح فى قضاء الفائتة فالحاضرة أولى والفريضة المقضية أولى ويلحق ما له سبب •

ولم يكتف ابن حجر بعرض هذه الآراء وسرد تلك الأحكام بل كان له تعقبات على بعضها ، يدلنا على ذلك أنه تعقب كلام النووى السالف الذكر فقال •

(١) من كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلاة بعد الفجر حتى تغرب الشمس

وما نقله النووي عن الاجماع والاتفاق متعقب فقد حكي غيره عن طائفة من السلف الأباة
مطلقا وأن أحاديث النهي منسوخة وبه قال داود وغيره من أهل الظاهر وبه حزم
وعن طائفة أخرى المنع مطلقا في جميع الصلوات .

وصح عن أبي بكر وكعب بن عجرة المنع من صلاة الفرض في هذه الأوقات وما ادعاه
ابن حزم وغيره من النسخ مستند إلى حديث (من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس
فليصل إليها أخرى) فدل على إباحة الصلاة في الأوقات المنهية وقال غيرهم ادعاء التخصيص
أولى من ادعاء النسخ فيحمل النهي على ما لا سبب له ويخص ماله سبب جمعا بين الأدلة .

وقال البيضاوي : - اختلفوا في جواز الصلاة بعد الصبح والعصر وعند الدلوع
والغروب وعند الاستواء فذهب داود إلى الجواز مطلقا وأنه حمل النهي على التنزيه
قال ابن حجر ^{على} مكهتبا كلام البيضاوي بل المحكى أنه ادعى النسخ ~~كما تقدم~~

قال البيضاوي : - وقال الشافعي . . تجوز الفرائض وما له سبب من النوافل - وقال
أبو حنيفة يحرم الجميع سوى عصر يومه وتحرم المندورة أيضا . وقال مالك - تحرم النوافل
دون الفرائض ووافقه أحمد لكنه استثنى ركعتي الطوائف أ . هـ (١)

النموذج الثاني : -

ذكر البخاري حديث عائشة ولفظه " كانت احدا اذا كانت حائضا فأراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن ~~تفترق~~ ^{تفترق} فور حيضها ثم يباشرها قالت وأيكم
يملك إربه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك إربه " .

قال ابن حجر في سوق الآراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث " والمراد
أنه صلى الله عليه وسلم كان أملك لأمره فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحرم حول

(١) كتاب مواضع الصلاة باب الصلاة بعد الغزاة حتى تغرب الشمس

الحى مع ذلك فكان يباشر فوق الأزار تشريحا لغيره ممن ليس بمحصى وبهذا قال أكثر
العلماء وهو الجارى على قاعدة المالكية فى باب سد الزرائع — وذهب كثير من السلف
والثورى واحد واسحاق الى أن الذى يمتنع من الاستمتاع بالحائض الفرج فقط وبه قسما
محمد بن الحسن من الحنفية ورجحه الطحاوى وهو اختيار أصبغ من المالكية وأحد الوجهين
للشافعية واختاره ابن المنذر وقال النووى هو الأرجح دليلا لحديث أنس فى مسلم " اصنعوا
كل شئ الا الجماع " وحملوا حديث الباب وشبهه على الاستغناء ^{سجيا} باب جمعا بين الأدلة •
وقال ابن دقيق العيد ، ليس فى حديث الباب ما يقتضى منع ما تحت الأزار لأنه فصل
مجرد •• أ • هـ •

ويدل على الجواز أيضا ما رواه أبو داود بإسناد قوى عن عكرمة عن بعض أزواج النبى
صلى الله عليه وسلم " أنه كان اذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا " •
واستدل الطحاوى على الجواز بأن المباشرة تحت الأزار دون الفرج لا توجب حدا ولا غسلا
فاشبهت المباشرة فوق الأزار •

وفصل بعض الشافعية فقال • ان كان يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج ويثقلها
باجتنابه جاز والا فلا واستحسنه النووى • ولا يبعد تخريج وجه مفرق بين ابتداء
الحيض وما بعده لظاهر التقييد بقولها " فور حيضتها " ويؤيده ما رواه ابن ماجه
بإسناد حسن عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم " كان يمسح سورة الدم ثلاثا
ثم يباشر بعد ذلك " ويجمع بينه وبين الأحاديث الدالة على المباشرة على اختلاف
هاتين الحالتين أ • هـ •
(١)

النموذج الثالث : —

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه " لا تشهد الرجال الا الى ثلاثة مساجد المسجد
الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى " • قال ابن حجر فى بيان الأراء

والأحكام الفقهية المأخوذة والمستنبطة من هذا الحديث * * * واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها * .

فقال الشيخ أبو محمد الجويني : يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال عياض وطائفة ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن ممن انكار نضرة الفخاري على أبي هريرة خروجه إلى الطور وقال له لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث فدلى على أنه يرى حمل الحديث على عمومته ووافقه أبو هريرة * .

والصحيح عند امام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم * .

وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها :

أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فانه جائز وقد وقع في رواية لأحمد بلفظ " ولا ينبغي للمطى أن تعمل " وهو لفظ ظاهر في غير التحريم * .

ومنها أن النهي مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد فغير الثلاثة فانه لا يجب الوفاء به * قاله ابن بطال * .

وقال الخطابي اللفظ لفظ الخبر ومعناه الإيجاب فيما ينذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها أي لا يلزم الوفاء بشئ من ذلك غير هذه المساجد الثلاثة * * * ومنها أن المراد حكم المساجد فقط وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة أو نزهة فلا يدخل في النهي ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرته عنده الصلاة في ~~الطور~~ فقال * . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ينبغي للمطى أن يشد رحاله إلى مسجد يتنفي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى * .

ومسجدي * وشهر حديث وان كان فيه بعض الضعف .

وفيها أن المراد قصد ما بالاعتكاف فيها حكاه الخطاي عن بعض السلف أنه قال
" لا يعتكف في غيرها " وهو أخص من الذي قبله ولم أر عليه دليلا . . . واستطرد ابن حجر

في سرد ما يؤخذ من الحديث من الأحكام وما ذهب اليه العلماء من آراء فقال :

واستدل به — أي بحديث الباب — على أن من نذر اتيان أحد هذه المساجد لزومه
ذلك وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا وقال الشافعي في الأم يجب في المسجد الحرام ^{الحرام} ^{التعلق}
النمك به بخلاف المسجدين الآخرين وهذا هو المنصوص لأصحاب الشافعي .

وقال ابن المنذر يجب ^{في} الحرمين وأما الأقصى فلا . واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال
لنبي صلى الله عليه وسلم اني نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس قال صلى
همنا . . . وقال ابن التين الحجة على الشافعي أن أعمال المولى الى مسجد المدينة والمسجد
الأقصى والصلاة فيهما قرينة فوجب أن يلزم بالنذر كالمسجد الحرام . هـ . وفيما يلزم من
نذر اتيان هذه المساجد تفصيل وخلاف يطول ذكره محله كتب الفروع .

وبعض ابن حجر في بيان بقية الأحكام الفقهية فيقول .

واستدل به — أي بحديث الباب — على أن من نذر اتيان غير هذه المساجد الثلاثة
للمصلاة أو غيرها لم يلزمه ~~لأنه~~ لأنه لا فضل لبعضها على بعض فتكفي صلاته في أي مسجد كان .
قال النووي . لا خلاف في ذلك إلا ما روى عن الليث أنه قال يجب الوفاء به . وعن الحنابلة
رواية يلزمه كفارة يمين ولا ينعقد نذره .

وعن المالكية رواية ان تعلقت به عبادة تختص به كرباط لزوم والا فلا . وذكر عن
محمد بن مسلمة أنه يلزم في مسجد قباء لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيه كل سبت
وأجيب عن ذلك بأنه كان يأتي كل سبت ليتفقد الأنصار حينما يتخلفون عن صلاة الجمعة .
ومضى ابن حجر في هذا الصدد فقال " قال السبكي الكبير ليس في الأرض بقعة لهما

فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة والمراد بالفضل ما شهد الشمس
باعتباره ورتب عليه حكما شرعيا وأما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة أو
جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات قال • وقد التبس ذلك على
بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لأن
الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه فمعنى الحديث لا تشد الرحال إلى مسجد من
المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا الثلاثة المذكورة وشد الرحال إلى
زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان • أ • هـ (١)

النموذج الرابع : —

ذكر البخاري حديث عائشة ولفظه " صلى النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم صلى ثمان
ركعات وركعتين جالسا وركعتين بين الندائين ولم يكن يدهما أبدا •
قال ابن حجر • مبينا ما استنبطه العلماء من الآراء والأحكام الفقهية من هذا
الحديث • واستدل بقولها " ولم يكن يدهما " من قال بوجوب ركعتي الفجر وهو منتول عن
الحسن البصري أخرجه ابن أبي شيبة بلفظ " كان الحسن يرى الركعتين قبل الفجر واجبتين •
ونقل المزيغاني مثله عن أبي حنيفة • وفي جامع المحبوب عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة
لو صلاهما قاعدا من غير عذر لم يجز واستدل به بعض الشافعية للتقديم في أن ركعتي الفجر
أفضل التطوعات • وقال الشافعي في الجديد أفضلها الوتر وقال بعض أصحابه أفضلها صلاة
الليل • (٢)

(١) من ابواب التطوع — باب فضل الصلاة في مسجد مكة •

(٢) من ابواب التهجد — باب المداومة على ركعتي الفجر •

النموذج الخامس :

ذكر البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه " مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقى الله واصبري فقالت • اليك عنى فانك لم تصب بعصيتي ولم تعرفه فقيل لها انه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الأولى " قال ابن حجر موضحا ومبيناً ما استنبطه العلماء من هذا الحديث من الآراء والأحكام الفقهية •

قال النووي تبعاً للمعتمد رى والحازمى وغيرهما اتفقوا على أن زيارة القبور للرجال جائزة • قال ابن حجر معقباً على هذا •• كذا أطلقوا وفيه نظر ^{لغيره} ابن أبي شيبة وغيره عن ^{نقل} ~~أن~~ ~~ابن~~ ~~الحجر~~ سيرين وإبراهيم النخعي والشعبي الكراهة مطلقاً حتى قال الشعبي لولا نهى النبي صلى الله عليه وسلم لزرت قبر ابنتي فلعل من أطلق أراد بالاتفاق استقر عليه الأمر بعد هؤلاء وكان هؤلاء لم يبلغهم النسخ • والله أعلم •

قال ابن حزم ان زيارة القبور واجبه ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به • واختلف في النساء فقيل دخلن في عموم الأذن وهو قول الأكثر ومحلّه اذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث الباب وموضع الدلالة منه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة قعودها على القبر وتقريسه حجة ومن حمل الأذن على الرجال والنساء عائشة • فروى الحاكم من طريق ابن أبي مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن فقيل لها أليس قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالت نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها وقيل الأذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبور وبه جزم الشيخ أبو اسحاق في المذهب واستدل بحديث " لمن الله زوارات القبور " أخرجه الترمذي •

واختلف من قال بالكراهة في حقهن هل هي كراهة تحريم أو تنزيه قال القرطبي هذا للحن انما هو للمكرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المباينة وهل السبب ما يفضى اليه ذلك من

تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصباح ونحو ذلك فقد يقال ان أمن جميع ذلك
فلا مانع من الأذن لأن تذكر الموت يحتاج اليه الرجال والنساء ٠ ١٠ هـ (١)

النموذج السادس :

ذكر البخارى حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعان بن جبل
حين بعثه الى اليمن انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا ألا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس
صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ
من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم " قال ابن حجر
فى سوق الأراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث : قال الاسماعيلى ظاهر حديث
الباب أن الصدقة ترد على فقراء من أخذت من أغنيائهم • وقال ابن المنير اختيار البخارى جواز
نقل الزكاة من بلد المال لعموم قوله فترد فى فقرائهم لأن الضمير يعود على المسلمين فأى فقير
منهم ردت فيه الصدقة فى أى جهة كان فقد وافق ~~الحديث~~ الحديث •

وكانى بابن حجر لم يرتضى هذا فمقب بقوله • والذي يتبادر الى الذهن من هذا الحديث
عدم النقل وأن الضمير يعود على المخاطبين فيختص بذلك فقرائهم ثم قال بعد ذلك • • لكن
وجع ابن دقيق العيد الأول وقال انه وان لم يكن الأظهر الا أنه يقويه أن أعيان الأشخاص
المخاطبين فى قواعد الشرع الكلية لا تعتبر فى الزكاة كما لا تعتبر فى الصلاة فلا يختص بهم
الحكم وان اختص بهم خطاب المواجهة • ثم استرسل ابن حجر فقال • وقد اختلف العلماء
فى هذه المسألة فأجاز النقل الليث وأبو حنيفة وأصحابهما ونقله ابن المنذر عن الشافعى واعتاره •
والأصح عند الشافعية والمالكية والجمهور ترك النقل فلو خالف ونقل أجزاء عند المالكية على الأصح •
ولم يجزئ عند الشافعية على الأصح الا اذا فقد المستحقون لها •

" قال ابن حجر عقب ذلك

ولا يبعد أنه اختيار البخارى لأن قوله فى الترجمة — حيث كانوا — يشعر بأنه لا ينتقلها
عن بلد وفيه من هو متصف بصفة الاستحقاق أ • ه • (١)

النموذج السابع :

روى البخارى حديث على رضى الله عنه ولفظه (أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن
يقوم على بدنه وأن يقسم بدنه كلها لحومها وجلودها وجلالها ولا يعطى فى جزارتها شيئاً)
قال ابن حجر فى بيان الآراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث • واستدل به على
منع بيع الجلد قال القرطبى فيه دليل على أن جلود الهدى وجلالها لا تباع لمطعمها على اللحم
واعطائها حكمة • وقد اتفقوا على أن لحمها لا يباع فكذلك الجلود والجلال • وأجساره
الأوزاعى وأحمد وإسحاق وأبو ثور وهو وجه عند الشافعية • قالوا ويصرف ثمنه مصرفاً لأضحية
واستدل أبو ثور على أنهم اتفقوا على جواز الانتفاع به • وكل ما جاز الانتفاع به جاز بيعه •
وعرض باتفاقهم على جواز الأكل من لحم هدى المتطوع ولا يلزم من جواز أكله جواز بيعه •
قال ابن حجر — وأقوى من ذلك فى رد قوله ما أخرجه أحمد فى حديث قتادة ابن النعمان
مرفوعاً " لا تبيعوا لحم الأضاحى والهدى وتصرفوا وكلوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها
وأن أطعمتم من لحومها فكلوا إن شئتم " (٢)

النموذج الثامن :

روى البخارى حديث معقل بن يسار ولفظه " زوجت أختاً لى من رجل فطلقها حتى إذا
انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمك فطلقتها ثم جئت تخاطبها
لا تعود إليك أبداً • وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه • فأنزل

(١) كتاب الزكاة — باب اخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا •
(٢) كتاب الحج — باب يتصدق بجلود الهدى

الله هذه الآية فلا تضرهم أن ينكحن أزواجهن ، فقلت الآن أفعل يا رسول الله

•• قال ابن حجر ذكر الأراء الفقهاء والأحكام المستنبطة من هذا الحديث ••

قال ابن بطال اختلفوا في الولي فقال الجمهور ومنهم مالك والثوري والليث والشافعي

وغيرهم الأولياء في النكاح وهم العصبة وليس للمخال ولا لولد الأم ولا الأخوة من الأم ونحو

هؤلاء ولاية •

وعن الحنفية هم من الأولياء واحتج الأبهري بأن الذي يرث ^{الولاية} ~~العصبة~~ دون

ذوي الأرحام قال فذلك عقدة النكاح ثم مضى ابن حجر يقول : واختلفوا فيما إذا مات الأب

فأوصى رجلا على أولاده هل يكون أولى من الولي القريب في عقدة النكاح أم مثله ^{أولا} ~~ولاية~~ له ،

فقال ربيعه وأبو حنيفة ومالك الوصي أولى واحتج لهم بأن الأب لو جعل ذلك لرجل بعينه ^{واحبوا}

في حياته لم يكن لأحد من الأولياء أن يعترض عليه فكذا بعد موته - وتحق بأن الولاية

انتقلت بالموت فلا يقاس بحال الحياة •• ثم استرسل ابن حجر فقال وقد اختلف العلماء في

اشتراط الولي في النكاح ، فذهب الجمهور إلى ذلك وقالوا لا تزوج المرأة نفسها أصلا واحتجوا

بالحديث المذكورة ومن أقواها هذا السبب المذكور في نزول الآية المذكورة وهي أصرح دليل

على اعتبار الولي والا لما كان لفضله معنى ولأنها لو كانت لها أن تزوج نفسها لم تحتج لأخيها

ومن كان أمره إليه لا يقال ان غيره منعه منه ، وذكر ^{ابن المنذر} أنه لا يعرف عن أحد من أصحابه

خلاف ذلك •• وعن مالك رواية أنها ان كانت غير شريفة زوجت نفسها •• وذهب أبو حنيفة

إلى أنه لا يشترط الولي أصلا ويجوز أن تزوج نفسها ولو بخير اذن وليسها اذا تزوجت كفوا •

واحتج بالقياس على البيع فانها تستقل به وحمل الأحاديث الواردة في اشتراط الولي على ^{الصغيرة} ~~المصغرة~~

وخص بهذا القياس ، قال ابن حجر تحقيقا على رأي أبي حنيفة لكن حديث معقل المذكور رفع

هذا القياس ويدل على اشتراط الولي في النكاح دون غيره ليندفع عن موليته العار باختصار

الك • ثم عاد ابن حجر إلى ما كان يصدده أولا فقال • ^{وانفصل} ~~انفصل~~ بعضهم عن هذا الإيراد

بالتزامهم اشتراط الولي ولكن لا يمنع ذلك تزويجها نفسها ويتوقف ذلك على اجازة الولي
كما قالوا في البيع وهو مذهب الأوزاعي . وقال أبو ثور نحوه لكن قال يشترط اذن الولي
لها في تزويج نفسها .

وتعقب بأن اذن الولي لا يصح الا لمن ينوب عنه والمرأة لا تنوب عنه في ذلك لأن الحق له
ولو اذن لها في انكاح نفسها صارت كمن اذن لها في المبيع من نفسها ولا يصح . ثم قال
بعد ذلك في حديث معقل أن الولي اذا أغضل لا يزوج السلطان الا بعد أن يأمره عن الرجوع
عن المغضل فان أجاب فذاك وان أصر زوجته الحاكم . أ . ه . (١)

النموذج التاسع :

روى البخاري حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " من رأى من أميره
شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شراً فمات في فراقها مات ميتة جاهلية " قال ابن حجر
في ذكر الآراء والأحكام القهية المستنبطة من هذا الحديث قال ابن بطال في الحديث حجة
في ترك الخروج على السلطان ولو جار وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب
والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الأهواء
وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ولم يستثوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر لله
الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب جهادته لمن قدر عليها (٢) . أ . ه .

(١) كتاب النكاح - باب من قال لانكاح الا بولي

(٢) كتاب الفتن - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدى أمورا
تكرونها . .

وأخيرا فمن هذه النماذج التي سقناها ، يتبين بوضوح وجلالة أن
ابن حجر قد ألمّ بأراء الفقهاء ومذاهبهم وأدلتهم على ما ذهبوا اليه المما
تاما . ولم يقف الأمر عند ذلك بل تعقب بعضها وعارض بعض ما ساقه
العلماء من الأدلة على رأيهم مما يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن
مجرد ناقل بل كانت له مشاركة في هذا الباب تدل على سعة علمه وفهمه
واجتهاده .

ومعد

قال في بحث آخر نستجلى فيه جزئية أخرى من منهج

ابن حجر



طريق الموعظ والآداب في شرح ابن حجر

لم تكن وظيفة السنة ومهمتها وضع النظم والقوانين والتشريعات الإسلامية فحسب ، بل
حصلت في أحشائها أنواعا أخر من الأغراض التي بحث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها
ففيها - بالاضافة الى التشريع - الدعوة الى التوحيد وذكر القصص والترغيب والترهيب ،
والموعظ والآداب التي من شأنها أن تهذب النفوس وتطهر القلوب وتقيم الأخلاق - وقد
حرص ابن حجر أشد الحرص - عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح - على إيصال
ما يستفاد من الحديث من هذه الأغراض المتعددة وتلك الأنواع المختلفة وهاكم
نماذج لتكون شواهد حسية وأمثلة تطبيقية لما ذكرناه : -

النموذج الأول

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس
وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة فيدارسه القرآن ، فله رسول
الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة " قال ابن حجر في إياد ما يستفاد
من هذا المتن من الموعظ والآداب ، قال النووي في هذا الحديث فوائد ، منها :
الحث على الجود في كل وقت ، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح
وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير وتكرار ذلك اذا كان المزور لا يكرهه والاستحباب في اكثر
القراءة في رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار اذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعله .
قال ابن حجر بعد ما ساق كلام الامام النووي في هذا الصدد ، وفيه اشارة الى أن ابتداء
نزول القرآن كان في شهر رمضان لأن نزوله الى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان
كما ثبت من حديث ابن عباس فكان جبريل يتحاده في كل سنة فيمارضه بما نزل عليه من
رمضان الى رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه ~~عنه~~ به مرتين كما ثبت في الصحيح عن
فاطمة (١)

النموذج الثاني

روى البخارى حديثين عن عائشة ولفظ الأول أن عائشة رضى الله عنها قالت * أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع — وهو صحيح أفصح — فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك * فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشاء — وكانت امرأة طويلة — فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزله الله آية الحجاب ولفظ الحديث الثانى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال * قد أذن أن تخرجن فى حاجتكن * قال ابن حجر ومصل ما فى الحديث أن سودة خرجت بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت عظيمة الجسم فرآها عمر فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين فرجعت فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وهما يتعشى فأوحى الله إليه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن فى حاجتكن * ثم ساق ابن حجر بعد ذلك ما يستفاد من الفوائد والمواعظ والرفاق فقال * قال ابن بطال فقه هذا الحديث انه يجوز للنساء التصرف فيما لهن الحاجة اليه من مصالحهن وفيه مراجعة الأدنى للأعلى فيما يتبين له أنه الصواب وحيث لا يقصد التعنت فيه وفيه منقبة لحرمة جواز كلام الرجال مع النساء للضرورة *

وجواز الاغلاظ فى القول لمن يقصد الخير وفيه جواز وعظ الرجل أمه فى الدين لأن سودة من أمهات المؤمنين وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي فى الأمسور الشرعيه لأنه لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة اليه وكذلك فى اذنه لهن بالخروج ..

أ. هـ . (١)

النموذج الثالث

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا انا لسنا كهيتتك يا رسول الله ان الله قد غفر لك ما تقدم ميسر ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا " .

قال ابن حجر في ذكر ما يستفاد من الآداب والمواظظ • وفي هذا الحديث فوائد •

الأولى أن الأعمال الصالحة ترقى صاحبها الى المراتب السنية من رفع الدرجات ومحو الخطايا لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم استدلالهم ولا تحليلهم من هذه الجهة بل من جهة أخرى • الثانية أن العبد اذا بلغ الغاية في العبادة وشراتها كان أدى له الى المواظبة عليها استبقاء للنعمة واستزادة لها بالشكر عليها — الثالثة الوقوف عندما حد الشارع من عزيمة ورخصة واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له —

الرابعة : أن الأولى من العبادة القصد والملازمة لا المبالغة المغضبة الى الترك —

الخامسة : التنبية على شدة رغبة الصحابة في العبادة وطلبهم الازيد من الخير —

السادسة : مشروعية الغضب عند مخالفة الامر الشرعي والانكار على الحاذق المتأهل لفرض المعنى ان قصر عن الفهم •

السابعة : جواز تحدش الامر بما فيه من فضل عند الأمن من المباهاة والتعظيم اذا اقتضت الحاجة • (١)

النموذج الرابع

ذكر البخارى حديث ابن مسعود ولفظه " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس اذ قال بعضهم لبعض أيكم يأتي ^{بمسلم} يسلم جندور بنى فسلان

(١) كتاب الايمان — باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب •

فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كفيه وأنا أنظر لا أغير شيئاً لو كان لي منعة قال فاجعلوا يضحكون وميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره فرفع رأسه ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم اذ دعا عليهم قال وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سألهم عليك بأبي جهل وعليك بعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأميرة بن خلف وعقبة بن أبي معيط قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر قال ابن حجر في بيان ما في هذا المتن من ~~الاعتناء~~ ~~بالدعاء~~ وفي الحديث تعظيم الدعاء بمكة عند الكفار وما ازدادت عند المسلمين الاتعظيم وفيه معرفة الكفار بصدقه صلى الله عليه وسلم لخوفهم من دعائه ولكن حملهم الحسد على ترك الانقياد وفيه حلمه صلى الله عليه وسلم عن آذاه وفيه استحباب الدعاء ثلاثاً وفيه جواز الدعاء على الظالم وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها في قومها ونفسها لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤوس قريش فلم يردوا عليها . . أ . هـ (١)

النموذج الخامس

ابن روى البخاري عن عبد بن عباس ولفظه " كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهمجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد نور السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاءك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد (صلى الله عليه وسلم) حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وأليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت كنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك "

(١) كتاب الوضوء - باب اذا ألقى على ظهر المصلي قدراً أو جيفة

قال ابن حجر في بيان ايضاح ما يستفاد من المتن من المواعظ والآداب ، قال
الكرمانى وفيه الاشارة الى النبوة والى الجزاء ثوابا وعقابا ووجوب الايمان والاسلام والتوكل
والانابة والتضرع الى الله والخضوع له ثم قال بعد أن ساق كلام الكرماني بهذا الصدد وفيه
زيادة معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء
والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والاقرار بصدق وعده ووعد به وفيه استحباب تقديم الثناء
على المسألة عند كل مطلوب اقتداء به صلى الله عليه وسلم . أ . هـ (١)

النموذج السادس

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{قام} ذات ليلة ففى
المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثرت الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو
الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيت السدى
صنعت ولم يمنعنى من الخروج اليكم الا أنى خشيت أن تفرض عليكم وذلك فى رمضان .
قال ابن حجر فى ايراد ما يستفاد من المتن من الرقاق والآداب وفى حديث الباب من
الفوائد ندب قيام الليل ولا سيما فى رمضان جماعة لأن الخشية المذكورة آمنت بعد النبى
صلى الله عليه وسلم ولذلك جمعهم عمر بن الخطاب على ابن ابي كعب وفيه جواز الفرار
من قدر الله الى قدر الله قال المهلب وفيه أن الكبير اذا فعل شيئا خلافا ما اعتاد اتباعه
أن يذكر لهم عذره وحكمه والحكمة فيه . وفيه ما كان النبى صلى الله عليه وسلم ^{عليه} من الزهادة
فى الدنيا والاكتفاء بما قل منها والشفقة على أمته والرافة بهم وفيه ترك بعض المصالح لخوف
المفسدة وتقديم أهم المصلحتين وفيه ترك الأذان والاقامة للنوافل اذا صليت جماعة (٢)

-
- (١) من أبواب قيام الليل - باب التهجيد بالليل وقوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك .
(٢) من أبواب قيام الليل باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير
ايجاب .

النموذج السابع

ذكر البخاري حديث ابن عباس * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لمعان حين بعثه الى اليمن انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم اطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب " قال ابن حجر فى بيان ما يؤخذ من الحديث من الآداب والمواعظ * وفى الحديث الدعاء الى التوحيد قبل القتال وتوصية الامام عامله فيما يحتاج اليه من الاحكام وغيرها وفيه بحث السحابة لأخذ البركة وقبول خبر الواحد ووجوب العمل به وايجاب الزكاة فى مال الصبى والمجنون لعدم قوله من أغنيائهم قاله عياض وان الزكاة لا تدفع للكافر لعود الضمير فى فقرائهم الى المسلمين وان الفقير لازكاة عليه وان ملك ناصبا لا يعطى من الزكاة من حيث أن جعل المأخوذ منه غنيا وقابله بالفقر * ٢٠ هـ (١)

النموذج الثامن

ذكر البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه * غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله بن أبى طلحة ليحثك فوافيته وفى يده الميسم يسم به ابل الصدقة * قال ابن حجر فى ايراد ما يستفاد من المتن من المواعظ والرقائق قال المهلب وغيره فى هذا الحديث أن للامام أن يتخذ ميسما وليس للناس أن يتخذوا نظيره وفيه اعتناء الامام بأموال الصدقة وتوليها بنفسه وفيه جواز الايام للحاجة وفيه قلادة أهل الفضل لتحنيك المولود لأجل البركة

(١) كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا -

وفيه جواز تأخير القسمة ولو أنها عجلت لاستغنى عن الوسم وفيه مباشرة أعمال المهنة وترك الاستتابة فيها للرغبة في زيادة الأجر ونفى الكبر . (١)

ومحمد

فلعله يكون فيما قدمنا من النماذج كفاية ودليل على جهد ابن حجر في هذا

الباب . وإلى مبحث آخر نقدم فيه جهد آخر



الجمع بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث

في شرح ابن حجر

في شرح ابن حجر

محمد

التعارض معناه اقتضاء كل من الدليلين عدم ما يقتضيه الآخر (٢) هذا في عرف

الفقهاء والأصوليين فإذا انتقلنا إلى ما يقع من التعارض بين الأحاديث في عرف المحدثين

لوجدناهم يسمونه مختلف الحديث ومعناه أن يأتي حديثان متعارضان في المعنى ظاهرًا

فإن أمكن الجمع تحين ذلك ويجب العمل بهما وإن لم يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه

فإن علم أحدهما ناسخًا والآخر منسوخًا وذلك أن علم تاريخهما عمل بالناسخ والاعمال

بالراجح منهما . قال النووي وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون

الفواصون على المعاني . (٣)

(١) كتاب الزكاة - باب وسم الامام ابل الصدقة .

(٢) من المدخل للفقه الاسلامي ص ١٢٩ .

(٣) كتاب التقريب ص ٣٣ .

وقد اعتنى ابن حجر عناية فائقة عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح بالجمع والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث وتتبع ذلك في مواطنه حتى جازاه وأزال عنه كل لبس واشتباه وسنقدم نماذج من ذلك فيما يلي :

النموذج الأول

روى البخارى حديث أبى بكره ولفظه ~~ذكر~~ أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بحيره وأمسك انسان بخطامه أو بزمامه ثم قال أيوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فأى شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس بنى الحجة قلنا بلى قال فان دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم . الحديث .

قال ابن حجر فى بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينهما .

وقع فى حديث الباب فسكتنا بعد السؤال وعند المصنف فى الحج ^{الحج} من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال أيوم هذا قالوا يوم حرام وظاهرهما التعارض والجمع بينهما أن الطائفة الذين كان فيهم ابن عباس أجابوا والطائفة الذين كان فيهم أبو بكره لم يجيبوا بل قالوا الله ورسوله أعلم كما أشرنا إليه أو تكون رواية ابن عباس بالمعنى لأن ~~حديث~~ أبى بكره عند المصنف فى الحج وفى الفتى أنه لما قال أليس يوم النحر قالوا بلى فقولهم بلى بمعنى قولهم يوم حرام بالاستلزام وغايته أن أبا بكره نقل البيهقان بتامه واختصره ابن عباس وكان ذلك بسبب قرب أبى بكره منه لكونه أخذاً بزمام الناقة . . . (١)

وقيل فى الجمع بين الحديثين لعلهما واقعتان قال ابن حجر تحقيقاً على هذا وليس بشئ لأن الخطبة يوم النحر إنما تشترع مرة واحدة وقد قال فى كل منهما ان ذلك كان يوماً حراماً .

(١) كتاب العلم - باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) رب مبلغ أوعى من سامع
ج ١ ص ١٤٠

وقيل في الجمع أنهم فوضوا أولا كلمهم بقولهم الله ورسوله أعلم فلما سكوت أجاب بعنهم
دون بعض وقبل وقع السؤال في الوقت الواحد مرتين بلفظين فلما كان في حديث أبي بكسرة
كفامة ليست في حديث ابن عباس لخلوه عن ذلك أشار إلى ذلك الكرماني • وقيل غير
ذلك • (١)

النموذج الثاني

روى البخاري حديث أنس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر
حتى نطن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى نطن أن لا يفطر منه شيئا • وكان لا تشاء أن تراه من الليل حائما
الا رأيته ولا نائما الا رأيته •

قال ابن حجر في بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينهما •

" قوله وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا الا رأيته " أي أن حالته ونومه كان يختلف
بالليل ولا يربث وقتا معيناً بل بحسب ما تيسر له القيام ولا يعارضه قول عائشة السابق كان اذا
سمع الصبح قام فهي تخبر عما لها عليه اطلاع وذلك ان صلاة الليل كانت تقع منه غالباً
في البيت ^{فحيث} ~~فحيث~~ أنس محمول على ما وراء ذلك • (٢)

النموذج الثالث

• روى البخاري حديث حميد ولفظه " صلى بنا أنس فكبر ثلاثاً ثم سلم فقبل القبله
ثم كبر الرابعة ثم سلم " قال ابن حجر في بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينهما :
" قوله وقال حميد صلى بنا أنس الحديث " فهذا يفيد أن أنس كبر أربعاً وروى عن أنس
الاقتصار على ثلاثة قال ابن أبي شيبة حدثنا معاذ بن حماد عن عمر بن الخطاب عن جرير قال صليت

(١) كتاب الحج - باب الخطبة بمنى ج ٣ ص ٤٥٢

(٢) ابواب التهجد ج ٣ ص ١٨ باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم من نومه بالليل •

مع أنس بن مالك على جنازة فكبر عليها ثلاثا لم يزد عليها روى ابن المنذر من طريق حماد بن ~~عليه~~ عن يحيى بن اسحاق قيل لأنس ان فلانا كبر ثلاثا فقال وهل التكبير الا ثلاث . . . ويمكن الجمع بين ما اختلف فيه على أنس اما بأنه كان يرى الثلاثة مجزئة والأربع أكمل منها واما بأن من أطلق عنه الثلاث لم يذكر الأولى لأنها افتتاح الصلاة كما تقدم في باب سنة الصلاة معن طريق ابن علية عن يحيى بن أبي اسحاق أن أنسا قال أوليس التكبير ثلاثا فقل له يا أبا حمزة التكبير أربع قال أجل غير أن واحدة هي افتتاح الصلاة . . . هـ (١)

النموذج الرابع

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " دخلت على أبي بكر فقال في كم كنتم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه " فنظر الى ثوب عليه كان بمرض فيه به درج من زعفران فقال انما لوا ثوبى هذا وزيد وا عليه ثوبين فكفونى فيها قلت إنه خلق قال ان الحى أحق بالمجديد من الميت انما هو للمهلة الحديث " قال ابن حجر في بيان التمازى بين الأحاديث والجمع بينهما " قوله خلق " ظاهره أن أبا بكر كان يرى عدم المخالفة في الأركان ويؤيده قوله بعد ذلك انما هو للمهلة وروى أبو داود من حديث علي مرفوعا لا تفالوا في الكفن أخرجه مسلم فانه يجمع بينهما ^{ومحل طهارة} يحمل التحسين على الصفة ومحل المبالغة على الثمن وقيل التحسين حق الميت فساذا أوصى بتركه أتبع كما فعل الصديق . . . هـ

(١) كتاب الجنائز - باب التكبير على الجنائز اربعا ج ٣ ص ١٥٧ .

النموذج الخامس

روى البخارى حديث أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ولفظه " أن أبا عبد الرحمن أخبر مروان أن عائشة وأم سلمة أخبرتا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم " وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث أقسم بالله لتفزعن بها أبا هريرة ومروان يومئذ على المدينة فقال أبو بكر فكره عبد الرحمن ذلك ثم قدر لنا أن نجتمع بذي الخليفة وكانت لأبى هريرة هناك أرض فقال عبد الرحمن لأبى هريرة انى ذاكر لك أمرا ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكر لك فذكر قول عائشة وأم سلمة فقال : أى أبو هريرة - حدثنى الفضل بن عباس كان النبى يأمر بالفطر والأولى أسند " والحاصل أن في هذه المسألة رأيين : رأى أبى هريرة وهو أنه من أصبح جنباً فلا يتم صومه وليفطر ومستنده حديث الفضل بن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالفطر - وقد رجح أبو هريرة عن ذلك حينما علم بقول عائشة وأم سلمة والثانى رأى عائشة وأم سلمة من أصبح جنباً فليغتسل ويتم صومه ومستندهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم . وهذاان الرأيان متعارضان تماما . ومستند أحدهما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر فعله . قال ابن حجر فى الجمع بين هذين الحديثين . وقد سلك العلماء فى التوفيق بينهما مسالك مختلفة فقال بعضهم أن حديث أبى هريرة عن الفضل بن عباس - كان النبى يأمر بالفطر - هذا الخبر منسوخ وهذا رأى ابن خزيمة لأن الله تعالى عند ابتداء فرض الصيام كان منع فى ليل الصوم من الأكل والشرب والجماع بعد النهم قال فيحتمل أن يكون خبر الفضل حينئذ ثم أباح الله ذلك كله الى طلوع الفجر فكان للمجامع أن يستمر الى طلوعه فيلزم أن يتع اغتساله بعد طلوع الفجر فدل على أن حديث عائشة ناسخ لحديث الفضل ولم يبلغ الفضل ولا أبا هريرة

الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا به ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه قال ابن حجر تحقيقا على هذا الرأي . ويقويه ان في حديث عائشة الأخير وهو ما أخرجه مسلم والنسائي وابن خزيمة وغيرهم من طريق أبي يونس مولى عائشة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال يا رسول الله تدركني الصلاة - أي صلاة الصبح - وأنا جنب أفأصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم فقال لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله اني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى . . ما يشعر بأن ذلك كان بعد الحديبية لقوله فيها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأشار الى آية الفتح وهي انما نزلت عام الحديبية سنة ست وابتداءً فسر في الصيام كان في السنة الثانية أ . هـ . ثم استطرد فقال والى دعوى النسخ فيه ذهب ابن المنذر والخطابي وغير واحد وقرره ابن دقيق العيد بأن قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث السى نسائكم - يقتضى اباحة الوطء في ليلة الصوم ومن جعلتها الوقت المقارن لطلوع الفجر فيلزم اباحة الجماع فيه ومن ضرورته أن يصبح فاعل ذلك جنباً ولا يفسد صومه فان اباحة التمسبب للشئ اباحة لذلك الشئ . ثانياً قال بعضهم ان حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك ورواية اثنين ^{نصف} على رواية واحد ولا سيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال ولأن روايتهما توافق المنقول وهو ما تقدم من مدلول الآية والمقول وهو أن الفسل شئ وجب بالانزال وليس في فعله شئ يحرم على صائم فقد يحتلم بالنهار فيجب عليه الفسل ولا يحرم عليه فيتم صومه اجماعاً فكذلك اذا احتلم ليلاً بل هو من باب الأولى وانما يمنع الصائم من تعدد الجماع نهاراً وهو شبهه بمن منع من التحليب وهو محرم لكن لو تطيب وهو حلال ثم أحرم فبقى عليه لونه أو ريحه لم يحرم ذلك عليه .

ثالثاً : جمع بعضهم بين الحديثين بأن الأمر في حديث أبي هريرة أمر ارشاد الى الأفضل فان الأفضل أن يفستل قبل الفجر فلو خالف جاز ويحمل حديث عائشة على بيان الجواز ونقل النووي

هذا عن أصحاب الشافعي : قال ابن حجر تعقيبا على هذا وفيه نظر فان الذي نقله
 البيهقي وغيره عن نص الشافعي سلوك الترجيح وعن ابن المنذر وغيره سلوك النسخ ويحكر
 على حمله على الارشاد التصريح في كثير من طرق حديث أبي هريرة بالأمر بالفطر وبالنهي عن
 الصيام فكيف يصح الحمل المذكور اذا وقع ذلك في رمضان وقيل هو محمول على من أدركه
 الفجر مجامعا فاستدام بعد طلوعه عالما بذلك ويحكر عليه ما رواه النسائي من طريق أبي بصير
 حازم عن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه أن أبا هريرة كان يقول من احتلم ولم
 باحتلامه ولم يستسل حتى أصبح فلا يصوم وحكى ابن المتيّن عن بعضهم أنه سقط — لا — من
 حديث الفضل وكان في الأصل من أصبحجنباً في رمضان فلا يفطر فلما سقط لا صار فليفطر — قال
 ابن حجر تعقيبا على ذلك وهذا بعيد بل باطل لأنه يستلزم عدم الوثوق بكثير من الأحاديث
 وأنها يطرقها مثل هذا الاحتمال وكان قائله ما وقع على شيء من طرق هذا الحديث لا علمي
 اللفظ المذكور ثم قال الحافظ ابن حجر عقب ذكر رأيه من قال بالنسخ — وهذا أولى من
 سلوك الترجيح بين الخبرين . . أ . ه .

ولحل فيما سقناه خير شاهد على طول باع ابن حجر ورسوخ قدمه في هذا الصدد
 والا فالكتاب لا يوجد فيه حديثين أو أحاديث ظاهرة^{ها} المتعارض الا وقد جمع بينهما . . .

ينبغي أن نعرف أولا المعجل ، فنقول :

المعجل هو اللفظ الذي خفي معناه بسبب من ذات اللفظ ولا يدرك المراد منه إلا ببيان الشارع فلا بد فيه من أن يبينه الشارع ويزيل خفاءه بدليل نقلى قولاً أو فعلاً . (١)

المبين هو ما يذكره الشارع لبيان وتعيين المراد من المعجل .

وقد اعتنى ابن حجر في شرحه أتم العناية بتوضيح المعجل وما يبينه واليك نماذج

من ذلك فيما يلي : -

النموذج الأول :

روى البخاري حديث ابن عمر قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " (٢) وروى أيضاً حديث عروة البارقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم " (٣) . قال ابن حجر في بيان المعجل وما يبينه قول النبي صلى الله عليه وسلم " الأجر والمغنم " بيان وتوضيح وتعيين للفظ " الخير " في هذا الحديث والحديث السابق عليه ١٠ هـ

النموذج الثاني :

روى البخاري حديث أبي هريرة سمعت الصادق المصدوق يقول " هلكة امتي على يد غلبة من قريش "

قال ابن حجر في بيان المعجل وما يبينه ، جاء المراد بالهلاك مهينا في حديث آخر . أخرجه علي بن محمد وابن أبي شيبة بن وجه آخر عن أبي هريرة رفعه " أعوذ بالله من أمارة الصبيان ، قالوا وما أمارة الصبيان قال إن أطعموهم هلكتم - أي في دينكم - وأن

(١) حسين حامد ، أصول الفقه ص ٩٦

(٢) كتاب الجهاد - باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .

(٣) كتاب الجهاد - باب الجهاد ما من مع البر والفاجر .

(٤) كتاب الفتن - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " هلاك امتي على يدي أغلبه سفهاء "

عصيتهم أهلككم — أى فى دنياكم — وفى رواية ابن أبى شيبه أن أبا هريرة كان يمشى فى السوق ويقول اللهم لا تدركى سنة ستين ولا أمانة الصبيان • وفى هذا إشارة الى أن أولم الأغيلمة كان سنة ستين • (١) أ هـ

النموذج الثالث

روى البخارى حديث عائشة أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن العيش كيف تفتسل منه قليل تأخذين فرصة ممسكة فتوضئين بها قالت كيف أتوضأ بها يا رسول الله • وكررت السائلة ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم • وفى الحديث قالت عائشة فعرفت الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبتها الى فعلتها •••••

قال ابن حجر فى توضيح المجهول ما يبينه • قال ابن بطال لم تفهم السائلة غرض النبى صلى الله عليه وسلم لأنها لم تكن تصرف أن تتبع الدم بالفرصة يعنى توضأ اذا أقترن بذكر الدم والأذى وإنما قيل له ذلك لكونه مما يستحب من ذكره • ففهمت عائشة غرضه فبينت للمرأة ما خفى عليها من ذلك • أ هـ • (٢)

وواضح مما تقدم أن البيان وقع للسائلة بما فهمته عائشة وأقرار النبى صلى الله عليه وسلم لها على ما فهمت •••••

-
- = أولا : الاشتراك مع تعذر ترجيح أحد معانى المشترك بالقرائن •
 ثانيا : نقل اللفظ من معناه لفظة الى معنى شرعى قبل العلم بوضعه لهذا المعنى كالفاظ الصلاة والزكاة •
 ثالثا : غرابة اللفظ قبل تفسيره كالمهلوع فى قوله تعالى " ان الانسان خلق ظلوما " الآية
 (٢) فتح البارى كتاب الجهاد — باب الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة •
 (٣) فتح البارى كتاب الجهاد — باب الجهاد ما خرج مع البر والفاجر •

-
- (١) كتاب الفتن — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " هلاك أمتر على يد أغيلمة منها " •
 (٢) فتح البارى كتاب الاعصام : باب الاحكام التى لا تصرف الا بالذليل •

المسألة الثالثة عشر آراء الفرق الاسلامية في شرح ابن حجر

تمهيد

لم يلبث العرب أن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واستجابوا لدعوته ودخلوا في دين الله أفواجا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصف لهم به ما وصف به نفسه في كتابه الكريم وما أجراه على لسانه من سنته فلم يحال أحد منهم عن شيء من ذلك كما كانوا يسألون عن الصلاة والصيام وغير ذلك من الأحكام لأن هذا من الأمور التي تتوفر الدواعي على نقلها لو أنه حدث ولم ينقل لنا أن أحد التبعين عليه فهم شيء من ذلك لمسا فأنشأ يسأل ليكشف شبهة أو يزيل لبسا أو يشرح غامضا كما نقلت الأحاديث الكثيرة التي تتضمن الحلال والحرام وسائر الأحكام • فدل هذا كله على أنهم فهموا ذلك وفقلوه في يسر وسهولة من غير أن يفلسفوه أو شيئا منه يقول المقرري ومن أمعن النظر في ~~الحديث~~ الحديث النبوي — ووقف على الآثار السلفية — علم أنه لم يرد قط — من طريق صحيح ولا سقيم — عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عدد هم أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف التريث سبحانه — به نفسه الكريم في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بل كلمهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما اثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة — وسائر الصفات — وما تسموا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على نفسه من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين فأثبتوا بلا تشبيهه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض أحد منهم إلى شيء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن

عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

سوى كتاب الله تعالى ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة (١)

على هذا النحو — وفي هذا الموضوع الذي ثارت فيه عجاجة المتكلمين فيما بعد —

انتهى القرن الأول فهو أنه قد ثبت في هذا القرن رجلا ن شغلا الناس بما لم يكونوا يعرفونه

عن نبيهم وصحابته وكلا الرجلين كان دخيلا في الاسلام فاسد الطوية أما أحدهما فرجل

نصراني من أهل العراق يقال له سوسن صاحب معبد بن عبد الله الجهمي البصري (٢) ونفت

في صدره سمومه وعلمه القول بالقدر وزينه له فكان معبد أول من قال بالقدر في الملمسة

المحمدية وقد أخذ عنه غيلان بن مروان الدمشقي فقال بالقدر خيره وشره من العبد • وقال

في الامامة انها تصلح في غير قریش ما دام قائما بالكتاب والسنة • (٣)

وأما الرجل الآخر فهو عبد الله بن وهب بن سبأ — وتتلخص شروعه في ثلاثة أمور:

الاول: هو أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب بالامامة •

الثاني: كان أول من أحدث القول برجعة علي الى الدنيا بعد موته وبرجعة الرسول صلى الله عليه

وسلم •

الثالث: كان أول من أحدث القول بأن عليا لم يقتل وأنه لا يزال حيا يسكن السحاب وألغى الرعد

سوطه وكذا البرق وأن فيه جزءا إلهيا وأنه لا بد أن ينزل الأرض فيملاها عدلا كما ملأت جورا

وعن هذه الآراء تفرعت آراء كثير من الفرق فيما بعد على أن الذين شايحوا عليا ونصروه ووقفوا

معه في حربه ضد معاوية يسمون " شيعة " وقد انفصلت شعبة منهم وناصبته الحسداء

وأشعلت شواظ الفتن بعده بعد ما كانت تغديه بالأنفس وبعد ما كانت ترى طاعته مخلصا

وهؤلاء هم الخوارج الذين حملوا عليا على قبول التحكيم ثم راحوا بعد ذلك يعلنون كفره وكفر

كل من قبل تحكيم الرجال وأبوا أن يفتوا إلا أن يعلن علي أنه كفر بتحكيمه الرجال وأنه تائب الى

اللعن هذا الكفر (٤)

(٢) الذهي تاريخ الاسام ج ٣ ص ٣٠

(١) المقرئ خط ج ٢ ص ٣٥٦

(٤) مقدمة مقالات الاساميين ص ١١ ١٢٥ ١٣٠

(٣) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٣٨٥

وفي نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثاني هـ ظهر رجل يقال له جهنم بن صفوان يبرهن
وبلا د المشرق فأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها
بلاء كثير وكثر أتباعه على أقواله التي تقول الى التعطيل (١) فأخذ يحلن في الناس أن لمقدور
الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية هـ وأن لأفعاله آخره وأن الجنة والنار تغنيان ويفني أهلها
حتى يكون الله تعالى آخره لا شيء معه كما كان أولا لا شيء معه وذهب الى أن علم الله
تعالى محدث والى القول بخلق القرآن (٢)

وفي أوائل القرن الثاني هـ كذلك كان شر الخوارج قد استطار وكانوا قد أعلنوا أن
مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار لا يخرج منها أبدا وكان جماعة المسلمين يقولون أنه مؤمن وأن
فسق بارتكاب الكبيرة وكان أبو حذيفة واصل بن عطاء يجلس الى الحسن البصري ويتلمذ عليه
فجري يوما ذكر هذه المسألة فقال واصل أنا أقول في مرتكب الكبيرة من هذه الأمة أنه لا مؤمن
ولا كافر منزلة بين المنزلتين فغضب الحسن لذلك وطرده من مجلسه فاعتزل عنه وجلس فسي
ناحية من المسجد وانضم اليه عمرو بن عبيد وجماعة قليل لهما ولأتباعهما المعتزلة أو
المعتزلون (٣) وأضحت المعتزلة بعد هذه الرجلين فرقة لها أصول وقواعد وتباينت طيقاتها
واتصلوا بالفلسفة اليونانية واستقوا منها واتهموا المتكلمين . . . أهل السنة . . . بالتعصب واستحسان
التقليد وأنهم قد انفتح عليهم باب الحيرة وأصدت في وجوههم أبواب اليقين وقد أشعار
ابن حجر أثناء شرحه لأحاديث البخاري الى آراء هذه الفرق ومقالاتها وكشف عنها وأوضحها
ايما ايضاح بتقديم بعض النماذج كي تكون شاهدا على ذلك
فنقول وبالله التوفيق :

-
- (١) المقرئ خط ج ٢ ص ٣٥٢
(٢) ابو الحسن الأشعري مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٤ ٣١٢٥
(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٣٠ ٣٤٨

النموذج الأول

روى البخاري حديث ابن عباس * لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الى نحو
أهل اليمن قال له انك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم الي أن يوحدوا
الله تعالى فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم * الحديث (١)

قال ابن حجر في بيان آراء المتكلمين واختلاف مذاهبهم المستمدة والمستندة الى هذا
الحديث وقد تمسك بهذا الحديث * فليكن أول ما تدعوهم الي أن يوحدوا الله فاذا عرفوا
ذلك * من قال أول واجب المعرفة كإمام الحرمين واستدل بأنه لا يتأتى الاثبات بشئ من
المأمورات على قصد الامثال ولا الانكاف عن شئ من المنهيات على قصد الانزجار الا بعد
معرفة الأمر والنهي ...

واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى الا بالنظر والاستدلال وهو مقدمة الواجب ، فيجب فيكون
أول واجب النظر وذهب الى هذا طائفة كابن فورك وتعقب بأن النظر ذو أجزاء يترتب
بعضها على بعض فيكون أول واجب جزء من النظر وهو محكي أبي بكر بن الطيب ...

ومن أبي إسحق الاسفراييني أول واجب القصد الى النظر

وقد جمع بعضهم بين هذه الأقوال بأن من قال أول واجب المعرفة أراد طلبها وتكليفها
ومن قال النظر أو القصد أراد امثالاً لأنه يعلم أنه وسيلة الى تحصيل المعرفة فيدل ذلك
على سبق وجوب المعرفة *

ثم استورد ابن حجر فقال وقد ذكرت في كتاب الايمان من أعرض عن هذا من أصله وتمسك
بقول الله تعالى * فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها * وحديث
* كل مولود يولد على الفطرة * فان ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة
وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عليه الصلاة والسلام * فأبواه يهودانه أو ينصرانه *
وقد وافق أبو جعفر السمناني على هذا وهو من رؤس الأشاعرة *

(١) كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى

وقد نقل ابن حجر آراء أخرى تتعلق بهذه المسألة تدل على أنه اطلع على آراء الثم فسي كتبهم واستوعبها وإنما أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة العلة .

النموذج الثاني

روى البخاري حديث عائشة * أن النبي صلى الله عليه وسلم بمشرجلا على سرية وكان يترأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد * فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها * (١) قال ابن حجر في عرض وتوضيح آراء المتكلمين المستمدة والمستندة إلى هذا الحديث . وفي حديث الباب حجة لمن أثبت أن لله صفة وهو قول الجمهور . وهذا ابن حزم فقال بسنده لفظه أصح على أهل الكلام من المحترلة ومن تبعهم ولم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه . فان اعترضوا بحديث الباب فهو من أفراد سميت بن هلال وفيه ضعف قال وعلى تقدير صحته فقل هو الله أحد صفة الرحمن كما جاء في هذا الحديث ولا يزداد عليه بخلاف الصفة التي يطلقونها فانها في لغة العرب لا تطلق إلا على جوهرة أو عرضة كما قال قال أمير حجر وسعيد متفق على الاحتجاج به فلا يلتفت إليه في تضعيفه . وكلامه الأخير مردود باتفاق الجميع على إثبات الأسماء الحسنى قال الله تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " (٢) . والأسماء الحسنى المذكورة في آخر سورة الحشر بلغة العرب صفات ففي إثبات أسمائها إثبات صفاته لأنه إذا ثبت أنه حي فقد وصف بصفة زائدة على الذات وهي صفة الحياة ولولا ذلك لكان لوجوب الاقتصار على ما ينبى عن وجود الذات فقط . وقد قال سبحانه : " سبحانه ربك رب المزة عما يصفون " (٣) فنزه نفسه عما يصفونه به من صفات النقص وفهمه أن وصفه بنفسه الكمال مشروع . أ هـ .

(١) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى .

(٢) الآية ١٨٠ من سورة الاعراف (٣) الآية ١٨٠ من سورة الصافات

وفي هذا الصدد نجتري بهذين المثالين ٠٠٠ والا فمن يطالع كتاب الايمان
وكتاب التوحيد من " فتح الباري " يجد هما زاخرين بأمثال هذا مما يسجل
على سعة علم ابن حجر وطول بابه في هذا الشأن وأنه قد ألمّ بأراء جميع الفرق
الاسلامية وذكر خلافتها المذهبية ٠ أ هـ ٠



ومعتمد

فهذا هو منهج ابن حجر في كتابه فتح الباري قدمناه مفصلاً مع أمثلة تطبيقية
لكل جزئية من جزئياته وقد لخصه ابن حجر وأصبح عنه في مقدمته حيث قال " فأسوق ان
شاء الله الباب وحديثه أولاً ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية ٠

ثم استخرج ثانياً ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنية
والأسانيدية من تنمات وزيادات وكشف غامض وتصريح بسمع ومتابعة سامع من شيخ أختلط
قبل ذلك منبراً كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والنوادر
بشرط الصحة أو الحسن فيما أورد من ذلك ٠ وثالثاً أصل ما انقلع من معلقاته
وموقوفاته وهنا تلتئم زوائد الفوائد وتتظلم شوارد الفرائد (١) ٠ ورابعاً اضطبط ما يشكل
من ما تقدم اسماً وأوصافاً مع إيضاح معاني الألفاظ اللغوية والتبنيه على النكت البليانية
ونحو ذلك ٠ خامساً أورد ما استفدته من كلام الأئمة مما استبدلوه من ذلك الخبر
من الاحكام الفقهية والمواظ الزهدية والآداب المرعية مقتصر على ^{المراجع} من ذلك
متحريراً للواضح دون المستغلق في تلك المسائل مع الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التماضي
مع غيره والتقصيص على المنسوخ مناسخه والعام بمخصه والمالط بمقيد والمجمل بمبينه

(١) تقدم الحديث في موضع خاص في سورة في أدل الفصل الثاني من الجزء الثالث
من دواعي إعداده فزاراً من المطابع

والظاهر بمؤوله والإشارة الى نكت من القواعد الأصولية وتبذ من فوائد العربية ونخب من الغلافات المذهبية بحسب ما اتصل بين من كلام الأئمة ووسع له فهي من المقاصد المهمة وأراعى هذا الأسلوب في كل باب ، فان تكرر المتن في باب بعينه غير باب تقدم نبهت على حكمة التكرار من غير إعادة له الا أن يتفاير لفظه أو معناه فأنبه على الموضع المناسب فان تكرر في باب آخر اقتضت فيما بعد الأول على المناسبة شارحا لما لم يتقدم له ذكر منبها على الموضع الذي تقدم بسط القول فيه ^(١) فان كانت الدلالة لانتهاه في الباب المتقدم الا على بعد غيرت هذا الاصطلاح بالاقتصار في الأول على المناسبة وفي الثاني على سياق الأساليب المتعاقبة مراعى في جميعها مصلحة الاختصار دون الهذر والاكثار والله أسأل أن يمن على بالعمون على أكمله بكرمه ومنه وأن يهديني لما اختلفت فيهم من الحق بأذنه وأن يجزل لي على الاشتغال بآثار نبوته التواب في الدار الأخرى وأن يسبغ علي وعلى من طالعه أو قرأه أو كتبه النعم الوفيرة تترى . . . انه سميع مجيب .

وواضح من كلام ابن حجر أنه منهج مكين رصين . . . وقد أبناه فيما تقدم

بقدر الوسع . . .

فالس مبحث آخر

...

...

...

(١) تقدم الكلام على ذلك عرضا في أول باب الرابع فلا داعي لتكراره
فراسه لطول دأبه كما ألبس لمراجع به هنا
وفي الحاشية ذكر باب الثالث أيضا عند ذكر أسباب تكرار الخبر المذكور

الفصل الثالث الفصل الرابع

(ملحقات بفتح الباء)

وَقَدْ مَبَاحِثُ
وَقَدْ مَبَاحِثُ
الطبع الأول

بين العيني وابن حجر

ولد الامام بدر الدين محمود العيني في ١٧ من شهر رمضان سنة ٧٦٢ هـ بقريسة

عين تاب بجوار حلب ، ثم رحل الى القاهرة .

وتفقه على مذهب أبي حنيفة وتثقف في ثقات ^{المصر} وولى عدة مناصب (١) وله خطوة عند الملوك (٢)

وله عدة مؤلفات أشهرها عقد الجمان في التاريخ وعدة القارى بشرح صحيح البخارى ٠٠٠
وتوفى في ٤ من ذي الحجة سنة ٨٥٥ هـ (٣) - (٤)

وفهم من هذا التاريخ أنه كان معاصرا لابن حجر ولذا فقد كانت بينهما بعض

دعابات طريفة من الطفها أن مؤذنة جامع المؤيد قد مالت في أواخر سنة ٨١٩ هـ - وهي

سنة افتتاحه - وكادت تسقط فهدمت ونيت من جديد وكان العيني شيخا للحديث

بالجامع المذكور فقال ابن حجر في ذلك بيتين وأنشدهما في مجلس المؤيد ، وهما : -

لجامع مولانا المؤيد رونق . . . منارته بالحسن تزهو وبالزينة

تقول وقد مالت عليهم تسهلوا . . . فليس على حسنى أضر من العين

(١) الحسبة والقضاء والتدريس

(٢) يذكر الدكتور مصطفى زيادة في كتابه المؤرخون في مصر سبب ذلك فيقول وهذا تمكن

العيني من اللغة التركية أكبر عون عليها تهيأ له من خطوة لدى سلاطين الممالكة

وعلى الأخص برسباي الذي لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العيني يجلس الى

حضرته ساعات الليل ليفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه حولياته التمسى

كتبها بالعربية وبنى كتاب عقد الجمان .

(٣) ودفن بمدرسته بجوار الأزهر وأصله من عين تاب فنسب اليها .

(٤)

فأراد بعض الجالسين أن يعيث بالمعنى ، فقال ابن حجر يعرض بك
فغضب واستعان بالنواجي الشاعر فنظم بيتين فنسبهما المعنى لنفسه ، وهما : —
شارة كمروس الحسن إذ جلبت ••••• وهدمها بقضا الله والقدر
قالوا أصيبت بمعنى قلت ذا غلط ••••• ما آفة الهدم إلا خسة الحجر (١)
كما أدى هذا التعاصر إلى خلق منافسة شديدة بينهما (٢) وقد بنا قالوا "المعاصر
لا يناصر"

ويتحدث الدكتور زيادة في كتابه المؤرخون في مصر في خلال ترجمته للمعنى
فيقول (٣) " يظهر أن المعنى لم يشأ أن تكون علاقاته بمعاصريه من أهل العلم على
شيء من الرفاق والتقدير المتبادل وربما كانت حظوته عند السلاطين من أسباب الجفوة
الطويلة بينه وبين القريزي وابن حجر وهذا فضلا عن أنه خلف الأول في منصب الحسبة
ولأنه خلق بينه وبين الثاني جدلا عنيفا بشأن كتاب فتح الباري (٤) ولما ابتدأ الامام
المعنى في شرح البخاري رام استعارة ما كمل من أجزاء فتح الباري من البرهان بن خضر
— تلميذ المؤلف — فتوقف البرهان حتى يستأذن المؤلف في ذلك فأذن له رغبة في
عموم النفع (٥) وطالع المعنى ما كمل من أجزاء فتح الباري أولا فأول عن طريق البرهان
بن خضر أو عن طريق غيره — ونقل منه الكثير بتمامه وحرفه وقد أشار إلى ذلك ابن حجر
حيث قال — فصار يستعير من بعض من كتب لنفسه من الطلبة فينقله إلى شرحه من غير
أن ينسبه إلى مخترعه " (٦) وكما نقل المعنى من فتح الباري نراه أيضا تعقبه في
مواضع وقد أجاب عنها ابن حجر على أنني سوف أرجي* الإشارة إلى ما نقله المعنى
بحرفه من فتح الباري إلى بحث يأتي بعد واقدم بين يدي القاري* نماذج من اعتراضات
المعنى • واجابة صاحب الفتح عليها على ان ابن حجر تفرقة بين كلامه وكلام المعترض
عنه

(١) (٢) (٣) محمد مصطفى زيادة المؤرخ في مصر
(٤) البخاري (٥) ابن حجر انتقاهم لا يخبر احد
(٦) البخاري (٧) البخاري (٨) البخاري (٩) البخاري (١٠) البخاري
١٢٨١

قد رمز الى الفتح بحرف (ح) . والى شرح المعنى بحرف (ع)

النموذج الاول - باب الوضوء مرة * مرة - قال ح قوله حدثنا محمد بن يوسف

قال حدثنا سفيان عن زيد بن اسلم * * سفيان هو الثوري ومحمد بن يوسف هو

الفرجاني لا البيهقي قال ع جزئه بأن سفيان هو الثوري ومحمد بن يوسف هو

الفرجاني لا دليل عليه والاحتمال الذي ذكره الكرمانى قائم وهو أن محمد بن يوسف اما

البيهقي واما الفرجاني وزيد بن اسلم شيخ السفريانيين قال ابن حجر ثم قال هذا

المعتز سفيان اما ابن عينة واما الثوري والراجح أنه الثوري لأن أبا الفتح جرح به ^{نفي صريح}

قال ابن حجر قد أثبت من دليل الشارح ^{على} أنه الثوري وإذا ثبت أنه الثوري يلزم ان

يكون محمد بن يوسف هو الفرجاني لان البيهقي لم يدرك سفيان الثوري (١)

النموذج الثاني -

قسول البخاري تابعه ^{عبد الرحمن} بن يوسف وأبو صالح قال هو عبد الله بن ع - الح

كاتب الليث ووهب من زعم انه ابو صالح عبد الغفار بن داود الحارثي قال ع لم يبين لي وجه

في الترجيح لان البخاري روى عن كليهما قلت وما على ان لم يكن انتزاع له بان الذي جزمتم

به يترجح من أوجه أحدها كثرة رواية عبد الله بن صالح عن الليث لأنه كان كاتبه واشتهر

بملازمته بخلاف عبد الغفار *

ثانيها كثرة إيراد البخاري الروايات المتعلقة ^{عن} عبد الله بن صالح عن الليث وأخرج

عن مواضع بسيرة موصولة * ثالثها * رواية عبد الله بن يوسف وجدت عند يعقوب بن سفيان

في هذا الحديث بعينه * أخرجه عنه مقررنا ^{بروايته الملقية} (٢)

(١) ص ١٣ انتقاض الاعتراض ابن حجر

(٢) ص ٢٤ ، ٢٥ انتقاض الاعتراض

النموذج الثالث :

باب مسح الرأس : ذكر البخارى - حديث عبد الله بن زيد فى مسح للرأس

كله قال ^ح فى موضع الدلالة من الحديث أن لفظ الرأس فى الآية ^خ يحمل كحمل أن يواد
كله على أن الباء زائدة ومسح الهمض على أنها ^{تتبع} متبوعة بفتحة بفعل النبي صلى الله
عليه وسلم أن المراد الأول قال ع لا أجمال فى الآية وإنما الإجمال فى المقدار
دون السحل فإن الرأس معلوم وفعله كان بياناً للإجمال الذى كان فى المقدار وهذا
القائل لمعلم معنى الإجمال لما قال هذا (١)

النموذج الرابع :

باب المساجد على طريق المدينة ، قال ح عن أنس فى قوله يحتمر وحين حج
أما عبر فى الأول بالمضارع وفى الحج بلفظ الماضى لأنه لم يحج إلا مرة وتكررت منه
الحيرة والمضارع قد يفيد الاستمرار وتعقبه ع بأن الماضى أقوى فى إفادة الاستمرار من
المضارع لأن الماضى قد مضى واستقر قلت من يستدل على الاستمرار بالاستقرار فماله
ولتعقب كلام الناس . (٢)

النموذج الخامس :

باب فضل الطهر بالليل والنهار - قوله لم أتطهر طهوراً فى ساعة من ليلٍ أو نهار
الإصليت قال ح يؤخذ منه جواز صلاة الوضوء فى الأوقات المكروهة لمعوم قوله ساعة قال
ع ليس عمومه بأولى من عموم النهى وقد قال ابن التين ليس فيه ما يقتضى الفورية وقال ع
يجوز أن يكون إخبار النهى بعد قصة بلال قلت قد أخرج الترمذى وابن حزم فى صحيحه

(١) المصدر السابق ص ١٥٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣

الفور

من حديث بريدة ان بلا لا قال ما أصابني حدث قط الا توضأت عندها فهذا ظاهر الفور والتجوز الذي قال ع نسخ لا يثبت بالاحتياط . (١)

النموذج السادس :

كتاب الحج - باب الدعاء عند الجموتين "

حدثنا محمد حدثنا عثمان بن عمر قال الجعفي اختلف في محمد هذا فنسبه ابو علي

ابن السكن فقال محمد بن يسار قال ج وهو المعتمد وتردد الكلا باذي هل هو محمد

ابن يسار او محمد بن المثنى وجزم غيره بأنه الذهلي قال ع لم أر أحدا جزم به - قلت

عادته يقول المثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة يقدم على من لم يحفظ وقد ذكر

هو أن الكلا باذي حكاه صجوزا فهل يمنع غيره أن يجزم به كما جزم ابن السكن وتردد

الكلا باذي وهل الاعتراض بهذا الا من المنة السنادي على قائله بالتحامل (٢)

النموذج السابع :

كتاب البيوع - باب حلب الابل على الماء - قال ج أي ^{عند} عند الماء . قال ع

لم يذكر أحد من أهل اللغة العربية أن على تجيء بمعنى عند بل على هنا بمعنى على

الاستعلاء قلت قال كثير منهم أن حروف الجر تتناوب وحمل على الاستعلاء أن يقع المعلوب

في الماء وليس ذلك مرادا (٣)

(١) المصدر السابق ص ٢٩٦

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٥

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٢

النموذج الثامن :

كتاب الوصايا - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : يسألونك عن البتاني *
 قوله وقال لنا سليمان حدثنا حماد عن أيوب عن نافع مارد ابن عمر على أحد وجهية *
 قال الكرمانى إنما قال : قال * لأنه لم يذكره على سبيل النقل والتحقيق قاله بل هو موصول
 لأن قال لنا بمعنى حدثنا والذي ذكره الكرمانى إنط هو فى قال المجردة عن الجار
 والمجرور * وأما هذه الصيغة فجرت عادة البخارى بالانتيان بها فى الموقوفات غالباً وفى
 المتابعات نادراً ولم يصب من قال إنه لا يأتى بها إلا فى المترجمات وأبعد من قال أنها ^{مكرر}
 للإجازة *

قال ع كيف هو موصول وليس فيه لفظ من الالتاظ التى تدل على التحدث والاختبار
 والسماع ولعنفته والذي قاله الكرمانى هو الأظهر قلت هذا الكلام غاية فى المكابرة والدفع
 بالصواب ^(١) بالصبر

النموذج التاسع :

كتاب فضائل أصحاب النبي - باب أيام الجاهلية *
 قال ح هى ما كان بين المولد النبوى والبعث وقال الكرمانى هى مدة الفترة بين
 عيسى ومحمد قال ع هذا هو الصواب قلت بل هو عيب الخطأ لأنه يلزم أن الزمان الذى
 أوله رفع عيسى كان يسمى زمان جاهلية وليس كذلك * ^(٢)

النموذج العاشر :

كتاب التفسير - باب ما جاء فى خاتمة الكتاب قوله عن أبى سعيد بن المولى قال
 كنت أصلى فى المسجد فدعانى النبي صلى الله عليه وسلم قال ح روى الواقدي هذا الحديث
 عن محمد بن معاذ عن حبيب بن عبد الرحمن بهذا السند فزاد ^{بغير} عبد عن أبى بن
 كعب والذي فى الصحيح أصح والواقدي شذوذ الضعف إذا انفرد فكيف إذا خالف وشيخه

(١) المصدر السابق ص ٤٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٥١٨

مجهول وأظنه دخل عليه حديث في حديث • قال ع ذكر الحافظ المزي هذا ولم
يتمرض له - بمعنى الواقدي - بشي من ذلك • ومن العجائب أن الواقدي آخر
مشايخ الإمام الشافعي وبخط عليه هذا الخط قلت قد قال الشافعي كتب الواقدي
كذب نقله البيهقي وغيره ولا عجب في ذلك • كما أن صابر الجعفي من مشايخ أبي
حنيفة وحديثه عنه في مسند حديثه الذي جمعه وغيره • وقد قال مع ذلك أبو حنيفة
ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر ولمل هذا المعتبر ^٦ يظن أن مجرد رواية السراوي
تعد دليل للمروى عنه • وهو رأي محدود نبيه عليه أئمة الحديث في علوم الحديث
ولو سكت لكان أستر • (١)

×

ولعل فيما سقناه من النماذج خير دليل على سلامة ما ذهب إليه ابن حجر وعلى وهن
مخالفه وقد جمع ابن حجر تعقبات المعين وردوده عليها في كتاب مستقل سماه :
" انتقاض الاعتراض " ^{اعترضته} وقد أخذ منه منته قبل أن يجره • على أنني لاحظت أن بعض
اعتراضات المعين سكت عليها ابن حجر فلم يرد عليها ولمل لشدة ضعفها ولو هربنا لم
تستحق أن يقف عندها • مثال ذلك ما جاء في كتاب الصيام - باب السواك الرطب واليابس
للصائم • فإن ابن حجر بعد أن ذكر تعقب المعين عليه في مقصود الترجمة سكت عن الجواب
على هذا التعقب والأمانة على ذلك كثرة منتشرة في ^{الكتاب} (الانتقاض) ونادر جدا من
التعقبات صادفها هوأيا فلم يسع ابن حجر إلا التسليم للحق والاذعان له مثال ذلك ما جاء
في كتاب البعوض - باب لا يذاب شحم الميتة - قال ابن حجر بعد أن ذكر تعقب المعين
عليه قال وهذه مؤخذة سهلة (٢) • فلم يرد عليها ولم يستطع دفعها بحال وقد علق بعض
الباحثين على ما وجهه المعين من نقده لابن حجر فقال " وكثير ما نقده به وأهمل أو زائف أو
له مخارج وبعضه قوى قوي لا يمكن دفعه عن ابن حجر بأي سبيل " (٣) ولم يقف ابن حجر
عند حد الرد على تعقبات المعين بل لوى عنان قلمه وأخذ يكشف أستاره ويظهر أسرارته ويبين
اختلاساته وسرقاته من " فتح الباري "

وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي

(١) المصدر السابق ص ٥٥٠ ، ٥٥١ (٢) المصدر السابق ص ١٦٦ ، ١٦٧

(٣) من مقدمة فتح الباري سيد أحمد صقر

المبحث الثاني
عشر

نصوص من "فتح الباري" في كتاب "عمدة القاري"

=====

إن من يطالع كتاب عمدة القاري يعجبه لأول وهلة حسن الترتيب والتنظير —
وجمال التنسيق ، فتراه مثلا يذكر مناسبة الحديث للترجمة ثم يتبعها بالكلام على
الاسناد ولطائفه ويعقب ذلك بكل ما يستفاد من الحديث والكلام في كل واحد من هذه
الأغراض نظاما مرتبا مستقلا على حدة — وهذا ما امتاز به المصنف والحق يقال — على
"فتح الباري" فإنه لا يوجد فيه هذا الترتيب ولذلك التنظيم . لذا فإن الطالب
إذا نظروا في عمدة القاري وأراد الوقوف على شيء ما يتعلق بأي حديث فليفر بسؤاله .
ونال بغيته دون أن يضل أو يضل . ابتداء المصنف تأليفه في شهر رجب سنة ٨٢٠ هـ (١)
واستعمله بمقدمة مسهبة طويلة قال فيها " الحمد لله الذي أوضح وجوه معالم الدين وأضجع
وجوه الشك بكشف النقاب عن وجه اليقين بالعلماء والمستنبطين الراشدين والفضلاء
المحققين الشاهدين . ثم ذكر بعد ذلك من تصدى لجميع السنة النبوية إلى أن ذكر
البخاري وكتابه الصحيح وأنه أجل الكتب ومن أجل هذا أقبل عليه العلماء والاجلاء وهملوا
عليه شروحا إلى أن قال لكن لم يقع لي شرح يشفي الغليل ويورى الخليل لأن منهم من ظن
فأمل ومنهم من قصر فأخل على أنه لم يقصد واحد منهم على كثرتهم لشرحه كما هو المقصود
ثم ذكر أن الذي دعاه إلى شرح هذا الكتاب أمور أحدها أن يعلم أن في الزوايا خبايا
ثانيا قطع حجة من يدعي الانفراد في هذا الباب . ثالثا إظهار ما فتحه الله من العلوم .
ثم أخذ في ذم أهل زمانه جميعا . أما علماءهم فلما عندهم من الحسد وأما رؤسائهم فلما
عندهم من الشح والتمهاون بالعلماء ثم وصف ما عزم عليه من شرح هذا الكتاب بأن يظهر
صعابه ويبين معضلاته ويوضح مشكلاته بحيث أن الناظر فيه أن أراد المتقول فلاز بآماله
وأن أراد المحقول فاز بآماله ثم قال بعد ذلك فجاء هذا الكتاب بحمد الله فوق ما فسى
الخواطر فائقا على سائر الشروح بكثرة الفوائد والنوادر وهذه المقدمة على ما فيها

(١) انتقاض الاعتراض هو ٥ سنة هجرية

من المبالغة - غير المستحبة - تدل دلالة واضحة على خلق صاحبها وما عنده من بطور
وتنفج وتطاول على سابقه ومما صر به من العلماء لا يليق بخلق العلماء * وعلى أى حال
فقد أكمل منه بعد المقدمة فى السنة الأولى من شروعه فى التأليف مجلد من ثم أعرض عنه
الشرح جانباً وفترت همته لكن لم يلبث أن عاد بعد فترة طويلة فأكمل المجلد الثالث منه
فى جمادى الأولى سنة ٨٣٨ هـ * ويلاحظ أنه " لم يعد إلى الكتاب فيه حتى شارف
فتح البارى الفرائغ " (١) وهذا بالطبع يؤيد ما سذكروه بعد من أنه كان يعتمد على
" فتح البارى " وينقل منه بحروفه دون تحفظ أو تصرف * ثم أكمله وفرغ منه فى شهر
جمادى الأولى سنة ٨٤٧ هـ (٢) أتم العيني شرحه على نمط من الطول والاسهاب
كان يتم له ما أراد بدونه وفى ذلك يقول السخاوى : " وهول البدر شرحه بما تضمنه
شبهنا حذفه من سياق الحديث بتامه وتراجم الرواة واستيفاء كلام اللغويين ما كان المقصد
يحصل بدونه " (٣) * وقد أشار إلى ذلك ابن حجر أيضاً حيث قال " وربما بالغ - أى
العيني - فى بسط الكلام على أعراب جملة أو تصريف كلمة بما لا يستفاد منه كبير امر كقوله
آية المنافق ثلاث ، فان قلت ما وزان كلمة آية قلت فيه أربعة أقوال فاستمر يسرد ورقه
فى النقل من أجل التصريف فلو التزم ذلك فى جميع أنظاره لكان كتابه أضغاناً ما اقتصر
عليه لكنه بحسب ما يجده مسطوراً لغيره فيجب أن يتكسره " (٤) وذكر مرة بين يدي
ابن حجر أن بعض الفضلاء يوجب شرح المبنى لما اشتمل عليه من ألوان البديع وفيسره
فقال بدبهة هذا شئ نقله من شرح لركن الدين (٥) وكنت وقفت عليه قبله ولكن تركت
النقل منه لكونه لم يتم إنما كتب منه قطعة يسيرة وخشيت من تعيى بعد فراغها فى الاسترسال
فى هذا المهيج بخلاف ~~البر~~ فإنه بعدها لم يتكلم بكلمة واحدة فى ذلك " وقد
أبان ابن حجر بكلامه هذا أن ما فى عمدة القارى من هذا اللون (٦) ليس للعيني فيه فضل

(٢) كشف الطنون ج ١ ص ٥٤٨

(١) انتقائى الاعتراض ص ٥

(٤) انتقائى الاعتراض ص ٥٧

(٣) الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣٤

(٥) ركن الدين هو أحمد بن محمد بن عبد المؤمن القريشى توفى سنة ٧٨٣ هـ *

(٦) الضوء اللامع ج ٨ ص ١٣٤ ، وكشف الطنون ج ١ ص ٥٤٩

وانما هو من سطو على تراث غيره ونهب انتهبه دون تحفظ او استحياء لم يدع ابن حجر معاصره المبنى تطمئن نفسه الى ما قدمه ولم يتركه يتطاول على معاصريه من العلماء ومن قبلهم ويفخر عليهم بكتابه " عبد القاري " - كما هو واضح في مقدمته - لذا نراه قد تعقبه فيه وتبعه ايما تتبع قاض ما عظم من سرقاته من " فتح الباري " وسائر ~~أول~~ ^{مؤلف} ~~أول~~ ^{مؤلف} وaban ما كبر من اختلاساته وغفا عن صفوها وكشف للناس ان ما قدمه المبنى ليس من سميره وانما هو من سطو على جهود غيره دون ان ينسبها اليهم ^{كثرا} منه أنها تنسب عنهم أو تخفى عليهم ، يقول ابن حجر " وقد كنت قصدت أن أتبع ما أخذه وأبين كيفية أخذه ظنا أنه يقع له أحبارنا فلما لمحت وجدت النظر فيه يطول جدا لانه لا يخلو في جميعه عن شيء من ذلك اما في الكلام على الاسناد واما في الكلام في المتن " وقد اثبت ابن حجر جانبنا من هذه السرقات وتلك الاختلاسات في صدر كتابه انتقاضي الاعتراض كذلك اشار اليها السخاوي والشوكاني وصاحب كشف الظنون (١) . وسنقدم بين يدي القارئ في الصفحات القليلة القادمة نماذج من هذه السرقات وأمثلة لتلك الاختلاسات . . .

النموذج الأول :

قال ابن حجر في الكلام على حديث عائشة أن الحارث بن هشام سأل هكذا في أكثر الروايات فيحتمل ان تكون عائشة حضرت ذلك وعلى ذلك اعتمد اصحاب الاطراف فأخرجوه في مسند عائشة ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد ويؤيد هذا الثاني ما أخرجه أحمد والبيهقي من رواية عامر بن سالم عن هشام فقال عن أبيه عن عائشة عن الحارث قال سألت . . . وقال المبنى في الكلام على هذا الحديث قال بعض المصنفين هذا الحديث أدخله الحفاظ في مسند عائشة دون الحارث قلت أدخله الامام أحمد في مسند الحارث بن هشام فإنه رواه عن عامر بن سالم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن الحارث بن هشام قال سألت - يقول الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا . فأخذ الكلام فبالغ حتى نسبته لنفسه حتى قال قلت . . . ١٠ هـ (٢)

(١) الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣٣ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٤٩

(٢) انتقاضي الاعتراض ص ٧

النموذج الثاني :

قول البخارى فى حديث أبى سفيان مع هرقل قال أشرف الناس اتبعوه أم ضعفائهم قلت بل ضعفائهم قال ابن حجر المراد بالأشرف أهل النخوة والتكبر منهم لا كل الأشراف حتى لا يدخل مثل أبى بكر وعمر وحزمه وغيرهم ممن أسلم قبل هذا السؤال . فأما رواية ابن اسحاق تبعه من الضعفاء المساكين فأما ذرو الأنساب والأشرف فما تبعه منهم أحد فهذا محمول على الأغلب وقال الحينى فى ذلك قال بعضهم المراد بالأشرف أهل النخوة لكن الأشراف قلت هذا على الغالب والا فقد سبق الى اتباعه أكابر وأشرف منهم — الصدوق والفاروق وحزمه وغيرهم وهم أيضا كانوا أهل النخوة . قال ابن حجر تحليقا على هذا فآخذ كلام غيره فادعاه لنفسه ثم اعترض عليه لأنه حذف من كلامه " والتكبر " وبهذا النقطة يتوقع اعتراضه لان أبى بكر ومن ذكر معه وان كانوا أشراف أهل نخوة لم يكونوا أهل تكبر فالتكبر محطة الفرق بين الفريقين ^{خبرها} ~~مستفيضا~~ لم يعترض (١)

النموذج الثالث :

قال ابن حجر فى الكلام على حديث عبد الله بن عمر فى باب اطعام الطعام رواة هذا الإسناد كلهم ^{بصريون} ~~بصريون~~ والذي قبله كلهم كوفيون والذي بعده من طريقه كلهم بصريون فتوقع له التسلسل فى الابواب الثلاثة على الولا وهو من اللطائف . . فآخذ الحينى هذا الكلام بنصه ووضعه فى مكان آخر غير المكان الذى استعمله منه فذكره عند الكلام على حديث أنس " لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " وقال ان رواته كلهم بصريون فتوقع هذا من الغرائب ان اسناد هذا كلهم بصريون واسناد الذى قبله كلهم كوفيون والذي قبله كلهم بصريون فتوقع له التسلسل فى الابواب الثلاثة على الولا . . ١٠ هـ (٢)

(١) المصدر السابق ص ٨٠ ٩

(٢) المصدر السابق ص ١٧

النموذج الرابع :

قال العيني في شرح حديث البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة نزل على أجداده وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا (١) وقوله ستة عشر كذا وقع الشك في رواية زهير هاهنا وفي الصلاة أيضا عن ابن نعيم وكذا في الترمذي عنه وفي رواية إسرائيل عند الترمذي أيضا ورواه أبو عوانة في صحيحه عن عمار بن رباح وغيره عن أبي نعيم فقال ستة عشر من غير شك وكذا المسلم من رواية أبي الأحسن والنسائي عن رواية ابن زكريا بن أبي زائدة وشريك ولا يروونه أيضا من رواية عمار بن رزيق كلهم عن ابن إسحاق وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس وللهزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف سبعة عشر وكذا للطبراني عن ابن عباس وهذا الكلام كله كلام ابن حجر في الفتح بحروفه (٢) ثم استرسل العيني في ذكر باقي ما يتعلق بالحديث في نفس الصفحة فقال " فان قلت كيف الجمع بين الروايتين قلت وجه الجمع ان من جزم بسبعة عشر اخذ من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا وألقى الأيام الزائدة فيه ومن جزم بسبعة عشر عد هما معا ومن شك تردد في ذلك وذلك ان القدوم كان في شهر ربيع الأول بخلاف وكان التحويل في نصف رجب في السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس وجاءت فيه روايات أخر ففي سنن أبي داود ثمانية عشر شهرا وكذا في سنن ابن ماجه من طريق أبي بكر ابن عياض عن أبي إسحاق وأبو بكر سيء الحفظ وقرأه ابن جرير في طريقه من رواية سبعة عشر شهرا وفي رواية تسعة عشر وخرجه بعضهم على قول محمد بن حبيب ان التحويل كان في نصف شعبان وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره مع كونه رجع في شرحه رواية ستة عشر شهرا لكونها مجزوما بها عند مسلم ولا يستقيم ان يكون ذلك في شعبان وقد جزم موسى بن عتبة بأن التحويل كان في جمادى الآخرة وهذا الكلام بحروفه كلام ابن حجر في نفس الصفحة له .

(١) العيني ج ١ ص ٢٤٥

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٨٩

النموذج الخامس :

في شرح حديث ابن عمر * أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمروا أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله * قال العيني في بيان لطائف أسناده . . (١)

ومنها أن أسناده هذا الحديث غريب انفرد بروايته شعبة عن واقد قال ابن حيوان وهو عن شعبة عزيز انفرد بروايته عنه الحرشي المذكور وعبد الملك بن الصباح وهو عزيز عن الحرشي انفرد به عنه المستوري وأبراهيم بن محمد بن عرفة ومن جهة إبراهيم أخرجه أبو عوانة وابن حيوان والاسماعيلي وغيرهم وهو غريب عن عبد الملك انفرد به عنه أبو غسان مالك بن عبد الواحد شيخ مسلم فاتفق الشيخان على الحكم بصحته مع غرابته وهذا الكلام بمنزلة لابن حجر في فتح الباري (٢) ولو ذهبنا نحصى سرقاته لما أمكننا ذلك فأنها لكثرتها لا يحصىها حاصل ولا يستقصىها من يروى استقامتها وأخيراً نود أن نسوق نصاً لابن حجر تعقيباً على ما قدمناه من هذه الأمثلة ، يقول * وإذا تأمل من يصف هذه الأمثلة عرف أن الرجل هذا عرض الدعوى بغير موجب متبوع بما لم يعطه منتهب لاختراعات غيره ينسبها إلى نفسه من غير مراعاة عاتب عليه ولا طماع من يقف على كلامه وكلام من اغار عليه ولو حلفت أنه لم يخل باب من أبواب هذا الكتاب على غزارتها من شيء لبسرت وشاهدني عدل على ذلك من كلامه نصاً لا اقتصاراً ثم قال وسيجزي الله كلا بفعله وما ريك بظلام للعبيد (٣)



(١) ج ١ ص ١٢٩ على سطر

(٢) ج ١ ص ٧٠ - ٧١ فتح الباري .

(٣) انتقاص الاعتراض ص ١٩ ، ٢٠

ولم يكتف ابن حجر بأن أبان سرقاته من فتح الباري ، بل ألف كتابا بعنوان :
 " ذكر من أبهم من رجال البخاري في عمدة القاري " جمع فيه كل اسماء
 الرجال الذين لم يستطع المعيني الوقوف عليهم ومعرفتهم وهذا بالطبع يوجب قصر باع
 المعيني في ذلك ، ويؤيد هذا أن المعيني نفسه كان يوصل الى ابن حجر يسأله عن
 أشياء في الرجال مرارا وتكرارا (١) وبالجملة فكتاب المعيني - على ما فيه من سرقات
 وأبهم في الرجال - كتاب عظيم فيه حسن عام وتنظيم شامل - ١٠ هـ



طبري الثالث مسألة الفرانقي ورأى ابن حجر فيها وما ورد عليه من طعون :
 روى في هذه القصة أحاديث كثيرة تختلف طرفها وتقبل من الفاضل لكنها تتفق
 جميعها في أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما بلغ منه اذى المشركين ما بلغ وأعرضوا
 عنه لعديه أصنامهم وزرايته بالهتهم ، أخذوا الحجر من أعراضهم ، ولحرمه على
 اسلامهم تمنى الا ينزل عليه ما ينفرهم عنه يجد في ذلك وسيلة الى استمالتهم ..
 واستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم اذا هـ وهو في نادي قومه وروى انه
 كان في الصلاة ولا يزال هذا التمنى آخذا بنفسه فطاف يقرأها فلما بلغ قوله " ومناة
 الثالثة الأخرى " ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناه بأن وسوس له فسبق لسانه على
 سبيل السهو والغلط فمدح تلك الأصنام فمنهم من قال انه عندما بلغ (ومناة الثالثة
 الأخرى) سها فقال تلك الفرانقي العلى وان شفاعتهن لترتجى ومنهم من روى (الفرانقي
 العلى ومنهم من روى ان شفاعتهن لترتجى ومنهم من قال انه قال وانها لعن الفرانقي .. الى
 غير ذلك من الروايات ، ففرح المشركون بذلك وعندما سجد في آخر السورة سجدوا معه
 جميعا وفي نهاية القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يهبط لسانا ورد على لسانه وأن

كيفية هذا العمل

جبريل جاءه بعد ذلك فمرض عليه السمرة فلما بلغ الكلمتين قال ما جئت بك بهاتين
 فحزن لذلك فأنزل الله عليه - تسليمة له وتعزيه - " وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا
 اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات " هذا ملخص قصة الفرائق .
 ويعقب ابن حجر على الروايات التي وردت في هذه القصة فيقول .. وكلها سوى طريق
 سعيد بن جبير اما ضعيف او منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة أصلا مع أن
 لها طريقين آخرين مرسلين . احدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد
 عن ابن شهاب - الثاني ما أخرجه الطبري أيضا من طريق المحمدر بن سليمان وحماد
 ابن سلمة عن داود بن هند وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج
 به لاعتضاد بعضها ببعض .. ثم استطرده فقال . واذا تقرر ذلك تعين تأويل
 ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الفرائق العلى .. وان
 شفاعهم لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم
 أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سموا اذا كان مخايلا لما جاء به من التوجيه
 لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك . فقول جرى ذلك على لسانه حينما
 أصابته سنة وهو لا يشعر فعلمنا علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري ورده عياض
 بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ولا لالة للشيطان عليه في النوم
 وقيل للشيطان الجاه الى أن قال ذلك بخير اختياره . ورد ابن العربي بقوله تعالى
 حكاية عن الشيطان : " وما كان لي عليكم من سلطان " الآية " قال فلو كان للشيطان
 قوة على ذلك لما بقى لاحد قوة في طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهمهم وصفوهم
 بذلك فعلق ذلك بحفظهم وقبل لحمله قالها توبيخا للكفار قال عياض وهذا جائز اذا كانت
 هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا والى
 ذلك نحا الباقلاني وقيل انه لما وصل الى قوله تعالى " ومناة الثالثة الاخرى " خشى
 المشركون أن يأتي بعدها بشئ يذم آلهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه على النبي
 صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون "

ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل على ذلك أو المراد بالشيطان شيطان الإنس • وقيل
كان على الله عليه وسلم يوتل القرآن ^{تأويله} في سكتة من السكتات ونطق بتلك
الكلمات محاكيا نخمته بحيث سمعها من دنا إليه فظن أنها من قوله وإذا أعياها وهذا أحسن
الوجوه ويؤيده ماورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا ولذا استحسن ابن العربي هذا
التأويل وقال ان هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما نسب
إليه قال ومعنى قوله في أميته أي في تلاوته فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنته في
رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاده في
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله من عند نفسه (١) •••••
هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر بصدده هذه القصة (٢) أما القسطلاني فيعقب على هذه
القصة بعد أن أظن في ذكر طرقها بقوله وقد طعن فيها غير واحد من الأئمة حتى قال
ابن اسحاق وقد سئل عنها هي من وضع الزنادقة •

وقال البيهقي غير ثابتة نقلاً ورواتها مطعونون وأطرب القاضي عياض في الشافعي
نوهين أصلها فشفى وكفى إذ سد هذا الباب هو الصواب • ثم استرسل فقال وإن كانت
كثرة الطرق تدل على أن لها أصلاً لا سيما وقد رواها الطبري من طريقين مرسلين ورجالها
على شرط الصحيح وسقط طريق سميد بن جبر وحديثه ^{جبر} فريده لا يمشى على القواعد
الحد يثيمة بل ينبغي أن يحتج بهذه الثلاثة من يحتج بالمرسل ومن لا يحتج به لا اعتضاد
بعضها ببعض كما قرره شيخ الصنعة وأما ما رواه الحافظ ابن حجر وإذا سلمنا أن لها أصلاً
وجب تأويلها وأحسن ما قيل في ذلك أن الشيطان نطق بتلك الكلمات أثناء قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم عند سكتة من السكتات محاكيا نخمته فسمعها القريب منه فلانها من قوله
وأشاعها وهناك آراء أخرى في تأويلها لا داعي لذكرها خشية التطويل وكلها تدور حول الجمع
بين صحة القصة وأن لها أصلاً وبين عصمة صلى الله عليه وسلم من أن يقول على الله كذبا (٣)

- (١) فتح البار ج ٨ كتاب التفسير
(٢) من تفسير سورة الحج
(٣) القسطلاني ج ٢ ص ٢٤٢ تفسير سورة الحج

على أن هناك رأياً للامام الشيخ محمد عبده ، وملخصه فساد هذه القصة ولا أساس لها ولا عبرة برأى يخالف ذلك ولا يعتد بوجودها في كتب التفسير أو الحديث وأن بلغ أربابها من الشهرة ما بلغوا . . . ويستدل على ما ذهب اليه بأدلة أقواها — أن القسطلاني قال في شرح البخاري وقد طعن في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها هي من وضع الزنادقة ويعلق الشيخ محمد عبده على ذلك فيقول وكفى في انكار حديث أن يقول فيها ابن اسحاق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحاق المعروفة عند المحدثين وأني لأتساءل لماذا ساق الامام هذا النص عن القسطلاني ولم يسق قوله بعد " وان كانت كثرة الطرق تدل على أن لها أصلاً لا سيما وقد رواها الطبري من طريقين " ثم قال بعد ذلك " وحينئذ فردها لا يتشبه مع القواعد الحدوثية بل كينبغي أن يحتج بهذه الثلاثة من يحتج بالمرسل ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض كما قرره شيخ الصنعة وإمامها الحافظ ابن حجر " ثم قال أيضاً اذا سلمنا أن لها أصلاً وجب تأويلها كعمل الشيخ محمد عبده اقتصر في نقله عن القسطلاني فيما ينفعه للاستدلال على ما ذهب اليه وترك الباقي لأنه حجة عليه وقال الامام بعد ذلك " ان ما ذكره ابن حجر بأن القصة رويت بواسطة ثلث ثلاث طرق على شرط الصحيح وأنه يحتج بها إلى آخره فقد ذهب عليه أن القصة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرقها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء " وقال بعد ذلك انما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال ^{وخرجه} الأحكام لا في أصول العقائد ومعاقد الايمان وهي هفوة من ابن حجر يفخرها الله له والواقع الذي يفهم من كلام ابن حجر أنه ما ذهب عليه — كما يقول الامام محمد عبده (١) ان القصة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فقد لاحظ ذلك تمام الملاحظة يدلنا على ذلك أنه بعد أن تكلم عن طرق هذه القصة وأنها مراسيل يمكن الاحتجاج بها لاعتضاد بعضها ببعض قال " واذا تقرروا ذلك تعين

(١) دروس في القرآن الكريم ص ١٥٧ ٥ ٥٨ ٥ ٥٩ ٥ ٦٠

تأويل ما وقع فيها مما يستكر وهو قوله * ألقى الشيطان على لسانه تلك القرآنيق الحلي
 وأن شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ^{نظره} لأنه يستحيل عليه صلى الله
 عليه وسلم أن يزيد في القرآن ^{عليه} ما ليس منه وكذا أسهوا إذا كان منابوا لما جاء به
 من التوحيد لمكان عصمته صلى الله عليه وسلم فهل بعد هذا يصح أن يقال ان ابن حجر
 ذهب عليه أن العصمة من الحقائق التي يطلب فيها اليقين وهل يليق بالامام أن يقول
 عن ابن حجر وقد ثبت ^{صريح} عنده ~~وغيره~~ طرق هذه القصة حسب قواعد المحدثين أن يعتبر
 ذلك منه هفوة ويدعوله بالغفوان ماذا كان يطلب الامام من ابن حجر اترك صنعة التي
 اشتهر بها كحدث حتى لا يزل في نظره وهل كان الامام من الحفاظ العظمين العارفين
 حتى يخطئ ابن حجر شيخ الصنعة وامامها كما يقول القسطلاني ؟

“ ”

وأخيرا أود أن أقول ان ابن حجر جمع بين ثبوت القصة وصحة طريقتها من
 جهة وتأويل فيها بما يتفق وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جهة أخرى ولا غبار
 عليه في ذلك لأنه راعى ولا حظ كلا الأمرين ١٠ هـ .



استقلاله الفكري وأدلاؤه برأيه

عندما يطالع القارى - فتح البارى - بن عندما يقرأ صفحات قليلة منه ، يشعر
انه امام موسوعة علمية عظيمة جمعت فى طياتها وحوت بين دفتيها كثيرا من المصنفات
والعلوم مثل الفقه الحديث والتاريخ والتفسير واللغة والنحو والبلاغة والمواعظ والآداب
الى غير ذلك . ولا شك أن ابن حجر قد أفاد كثيرا من مؤلفات السابقين فى مختلف
مناحى العلم والمعرفة حتى استطاع ان يخرج كتابه على هذه الصورة الرائعة الباهرة .

غير انه بلا حظ انه أثناء نقله عن سبقه كان تارة يكتفى بعرض آرائهم وأحياناً أخرى
بتمقيبها ويود عليها ويناقشها ومن هذا ^{هنا} يظهر استقلاله الفكري وتبلور رأيه واتضح
شخصيته فى - فتح البارى - وأود أن أنبه الى أن ما وافقهم فيه فيما ذهبوا اليه من
آراء وأفكار ليس لذكر نماذج منه هنا عنايم فائدة ولا لتسجيله والتصريح به كغيره
فالذى يهمنا فى هذا المبحث هو أن نورد طرفاً من تعقباته لمن سبقه ومناقشته لآرائهم .
فان ذلك هو الذى يظهر شخصيته واستقلاله الفكري وعدم تقليده لمن سبقه
واليك نماذج من ذلك فيما يلى :

النموذج الاول :

ترجم البخارى " باب من الايمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال ابن حجر :
" قوله باب من الايمان قال الكرمانى قدم لفظ الايمان بخلاف أخواته - ما قبله - حيث
قال اطعام الطعام من الايمان " اما للاهتمام بذكره واما للحصر كأنه قال المحبة
المذكورة ليست الا من الايمان قال ابن حجر معقبا على ما ذكر الكرمانى وهو توجيه حسن
الا أنه يود عليه ان الذى بعده الابق بالاهتمام والحصر معا وهو قوله - باب حب الرسول
من الايمان - فالظاهر انه أراد التنويع فى العبارة . (١) هـ

(١) كتاب الايمان - باب من الايمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

النموذج الثاني:

روى البخارى حديث ابي هريرة ولفظه " كان النبي صلى الله عليه وسلم " بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الايمان فبينه له النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا الى آخره - ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - الحديث - قال الحافظ بن حجر قوله " ان تعبد الله " قال النووي يحتمل ان يكون المراد بالعبادة معرفة الله فيكون عطف الصلاة وغيرها عليها لادخالها في الاسلام ويحتمل ان يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقا فيدخل فيها جميع الواجبات فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص على العام قال ابن حجر تحقيقا على ما ذكره النووي اما الاحتمال الأول فبعبارة لأن المعروف من متعلقات الايمان واما الاسلام فاعمال قولية وبدنية وقد عبر في حديث عمر الذي سطر مسلم - هنا بقوله ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فدل على ان العبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين وبهذا يتبين رفع الاحتمال الثاني ولما عبر الراوى بالعبادة احتاج ان يوضحها بقوله ولا تشرك به شيئا ولم يحتج اليها في رواية عمر لأنها تستلزم ذلك وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فأنه يراك) ساق ابن حجر آراء العلماء في فهم هذا وهو ان العبد يواظب ربه حتى تغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه فان لم يصل الى هذه الدرجة فليستحضر ان الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل فليحسن عمله ويتقنه ثم استطرد فقال واقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بنحو علم فقال فيه إشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن اى فان لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فأنك حينئذ تراه . قال ابن حجر تحقيقا على ذلك وغفلهم قال هذا للجهم بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف لانه يصير مجزوماً لكونه على زعمه جواب الشرط ولم يود فسى شئ من طرق هذا الحديث بحذف الألف ومن ادعى ان اثباتها في النقل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار اليه اذ لا ضرورة هنا وايضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله فأنه يراك ضائعا لانه لا ارتباط له بما قبله ومما يفسد تأويله رواية - كهـس . - عند مسلم - فان

لفظها فانك ان لاتراه فانه يراك فسلط النفي على الرؤية لاعلى السكون الذي حصل على ارتكاب التأويل المذكور وفي رواية ابي قزوة عند ابي داود والنسائي فان لم تره فانه يراك وكل هذا يبطل التأويل المتقدم ١٠ هـ (١)

النموذج الثالث :

روى البخارى حديث عروة عن المسور ومروان خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمين الحد بيعة فذكر الحد يث وما تنخم الرسون صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ..
قال الحافظ ابن حجر " قوله فذكر الحد يث " يعنى وفيه وما تنخم ثم قال بمصد ذلك وغفل الكرمانى فظن قوله وما تنخم الى الخ حديث آخر فجوز ان يكون الراوى ساق الحد يثين سوفا واحدا او يكون امر التنخم وقع بالحد بيعة ١٠ هـ . قال ابن حجر تعليقا على ما ذكره الكرمانى ولو راجع الموضع الذى ساقه فيه المصنف تاما لتظهر له الصواب وقد ساقه المصنف فى الشروط من طريق الزهرى عن عروة بتمامه ١٠ هـ (٢)

النموذج الرابع :

ترجم البخارى باب الاستنجاء بالماء ثم قال حدثنا ابو الوليد عطاء بن عبد الملك قال حدثنا شعبة عن ابي معاذ واسمه عطاء ^{عنه} اخطه ابي ميمونه قال سمعت انس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اخرجى انا وغلالم معنا اداة ماء يعنى يستنجى به - قال الحافظ ابن حجر قصد البخارى بهذه الترجمة الرد على من كرهه ونفى وقوعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم استرس فقال ولمسلم عن طريق خالد الحذاء عن انس فخرج علينا وقد استنجى بالماء وقد بان من هذه الرواية ان حكاية الاستنجاء من

(١) كتاب الايمان - باب سو ان جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والا سلام والاحسان .

(٢) كتاب الوضوء - باب البزاق والمخاط ونحوه فى الثوب .

قول انس راوى الحديث ففهم الرد على الاسعيلي حيث تحقق على البخارى استدلاله بهذا الحديث على الاستتجاء بالما قال لأن قوله يستنجى به ليس من قول انس انما هو من قول ابى الوليد احدى الرواة عن شعبه قال وقد رواه سليمان بن حرب عن شعبه فلم يذكرها قال فيحتمل ان يكون الماء لوضوئه قال ابن حجر محقبا على ما ذهب اليه الأصيلي وقد انتفى هذا الاحتمال بالرواية التى ذكرناها اي رواية مسلم — ثم استطرد بن حجر وقال وقع هنا فى نكت البدر الزركشى تصديف فانه نسب التعقب المذكور (الى الاسعيلي وانما هو للأصيلي وأقره فكانه ارتضاه وليس بمرض كما أوضحناه وكذا نسبه الكرمانى الى ابن بطلان وأقره عليه وابن بطلان انما اخذه من الأصيلي ١٠٠ هـ (١)

النموذج الخامس :

روى البخارى حديث سهيل بن سعد وثقلته " كان الناس يوم هرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه قال ابو حازم راوى الحديث عن سهل — لا أعلمه إلا ينسب ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اسماعيل ينسب ذلك ولم يقل ينسب " قال الحافظ ابن حجر واسماعيل هذا هو ابن ابي اويس شيخ البخارى كما جزم به الحميد في الجمع — اى الجمع بين الصحيحين ثم استرسل فقال وقرأت بخط مغلطاي، هو اسماعيل بن اسحاق القاضى قال ابن حجر تعقبا عليه ما ذكره مغلطاي وكأنه رأى الحديث عند الجوزقى والبيهقى وغيرهما من روايته عن القمى ^{القمي} فظن أنه المراد وليس كذلك لأن رواية اسماعيل بن اسحاق موافقة لرواية البخارى ولم يذكر أحد أن البخارى روى عنه وهو اصغر سنا من البخارى وأحدث سمعا وقد شاركه فى كثير من مشايخه البصريين القدماء (٢)

(١) كتاب الوضوء — باب الاستتجاء بالماء •

(٢) كتاب الصلاة — باب وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة •

النموذج السادس :

ترجم البخاري - باب من أخطأ الفزو بعد البناء - وسأني فيه حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ بن حجر ويشير إلى حديثه الآتي فليس من طريق همام عنه فقال غزالي من الأنبياء فقال لا يتبعن رجل ملك يبيع أمراه ولما بين بها الحديث - ثم استدرس فقال قال الكرمانى كأنه اكتفى بالإشارة إلى هذا الحديث لأنه لم يكن على شوطه قال الحافظ بن حجر معقبا على قول الكرمانى ولم يستحضر أنه أورده موصولا في مكان آخر كما سيأتى قريبا والجواب الصحيح أنه جرى على عادته الغالبه في أنه لا يغير الحديث الواحد إذا اتحد مخرجه في مكانين بصورته غالبا بل يتصرف فيه بالاختصار ونحوه في أحد الموضعين (١)

النموذج السابع :

روى البخاري حديث جبريل قال قلت لعائشة (رضي الله عنها) يا أمته هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد عرفته شعري ما قلت ابن أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا على الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية ومن حدثك أنه يعلم ما في الغد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين اهـ قال الحافظ بن حجر " قوله يا أمته " اعلمه يا أمه والهاء للسكت فأضيف اليها الف الاستغانة فأبدلت "ئا" وزيدت "ها" والسكت بعد الألف ثم استدرس فقال وقع في كلام الخطابي إذا نادوا قالوا يا أمه عند السكت وعند الوصل يا أمت يا أمته فإذا فتحوا ^{للنبرة} ~~الصوره~~ قالوا يا أمته والهاء للسكت وتعقبه الكرمانى بأن قول

(١) كتاب الجهاد باب من أخطأ الفزو بعد البناء -

للنبيه

مسروق بأثناء ليس للنبوة إذ ليس هو تفجعا عليها وهو كما قال ثم تابع ابن حجر كلامه فقال
" قوله ثم قرأت لاتدرکه الابصار " قال النووي تبعاً لغيره لم تنف عايشة ^{في} وروح الرؤية
بحدوث موفوق ولو كان معها لذكرته وإنما اعتدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر
الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابة إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك
القول حجة اتفاقاً والمراد بالادراك في الآية الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية ١٠ هـ .

قال ابن حجر محققاً على ما ذكره النووي وجزمه بأن عايشة لم تنف الرؤية ^{بحدوث} بحدوث
موفوق ^{بفتح} تنفي فيه ابن خزيمة فإنه قال في كتاب التوحيد في صحبه النفي لا يوجب علماً ولم
تحك عايشة ^{بفتح} إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها أنه لم يمس ^{بفتح} ربه وإنما تأولت الآية ١٠ هـ .
وهو عجيب فقد ثبت عنها ذلك في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود
ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكئاً فجلست
فقلت ألم يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول ^{بفتح} من سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال إنما هو جبريل وأخرجه بن مردويه عن طريق أخرى عن داود بهذا
الإسناد فقالت أنا أول من سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذا فقلت يا رسول
الله هل رأيت ربك فقال لا إنما رأيت جبريل ^{بفتح} منهبطاً ١٠ هـ . (١)

النموذج الثاني :

له ورد

قال البخاري " وعادت أم الورد رجلاً من أهل المسجد من الأنصار) قال الحافظ
ابن حجر " قوله عادت أم الورد رجلاً ٠ الخ ٠ (٠٠) قال الكرمانى زوجتان كل منهما أم الورد
فالكبرى اسمها خيرة صحابة والصغرى اسمها هجرية تابعة والظاهر أن المراد هنا
الكبرى قال ابن حجر محققاً على ما ذهب إليه الكرمانى وما ادعى أنه الظاهر ليس كذلك بل هي
الصغرى لأن الأثر المذكور أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق الحارث بن عبيد
وهو شاذ تابعي صغير لم يلحق أم الورد الكبرى فإنها ماتت في خلافة عثمان قبل موت

أبي الورد * وقد تقدم في الصلاة أن أم الورد كانت تجلس في الصلاة بلسة الرجل وكانت فقيهة وبينت هناك أنها الصغرى والصغرى عاشت إلى خلافة عبد الملك ابن مروان وماتت في إحدى وثمانين بعد الكبرى بنحو خمسين سنة * (١)

.. ..

ولعله قد وضع ما قدما من النماذج سعة علم ابن حجر واستقلا له في السراى ومناقشته لآراء من سبقه من العلماء كما نلج أيضا أنه كان في مناقشته لهم مؤدبا مريضا لا يتطاول عليهم بعلمه * وقد اشار إلى ذلك تلميذه ومريده السخاوى حيث قال : " وأما كثرة أدبه من العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين ، فمشهور بحيث كان إذا تعقب النوى بشئ يقول وعجبت للشيخ من سعة علمه كيف قال كذا وما أشبه ذلك من المبارات * * (٢)

.. ..

حرص ابن حجر على جمع طرق الحديث عند شرحه

طريق الحديث
عنه

ينبغي لنا قبل كل شئ أن نعرف ماهو طريق الحديث ، فنقول - طريق الحديث هو الرواة الذين تتوصل بهم وعن طريقهم إلى الحديث (٣) * وقد حرص ابن حجر أشد الحرص عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح أن يذكر عند شرحه كل حديث طريقه المختلف ويجمعها من سائر كتب السنة ومستخرجاتها ومسانيدها ومنفاتها إلى غير ذلك * وقد أشار إلى ذلك ابن حجر حيث قال " وعادة الفتح أن يجمع الطرق في الموضع الذي يشرحه فيه " (٤) كما اشار إلى ذلك السخاوى - تلميذ ابن حجر - حيث

(١) كتاب المرضى - باب عبادة النساء الرجال

(٢) الجواهر والدرر ص ١٤٢٢٥

(٣) مقدمة المطلاني ص ١٣

(٤) ابن حجر - انتقاص الاعتراض ص ٢٠٦

قال في معرض الحديث عن فتح الباري * امتاز فتح الباري بجميع طرق الحديث التي ربما يثبتهن من بعضها ترجيح احد الاحتمالات شرحا واعرابا (١) ولا يلحق بعالم منصف أن يقلل من قيمة هذا العمل العلمي الضخم الذي بذله ابن حجر في هذا السبيل ويؤمن ان لفائدة من وراء هذا ولا طائل تحتها لأننا نقول ان جميع طرق الحديث يترتب عليه فوائد جمة وعظيمة لا يستغنى عنها أي مشتغل بعلم الحديث - منها معرفة العمل الخفية التي فيها غموض فان هذه العمل تظهر عند جميع الروايات ومقارنتها ببعضها ببعض ومنها انه يتضح عند جميع طرق الحديث ارساها ما يكون متصلا أو وقف ما يكون مرفوعا ومنها معرفة المهمات في الحديث فانه لا يتوصل الى معرفتها الا بجميع طرق الحديث غالبا سواء كانت في السند أو في المتن .

ومنها ان الحديث تارة يكون بلفظ التحديث وفي الرواية الاخرى بلفظ السماع أو المعينة فيجمع بين صيغ التحسين للحديث فضلا عن ان في الروايات ما يفسر ويوضح بعضه بعضا يضاف الى ذلك ان بعض الروايات قد يكون متصلا ومتما لما ليس مذكورا في الرواية الاخرى (٢) اما وقد اتضحت قيمة عمل ابن حجر في جمعه لطرق الحديث وظهور فضله وفائدته وثبت انه رائد شرح البخاري في هذا الباب ، فلنأت بأمثلة ونسائج تطبيقية لذلك فنقول :

النموذج الأول :

روى البخاري حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحبانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قال ابن حجر في شرح الحديث وجميع طرقه " قوله أحبانا " حين يطلق على كثير الوقت وقليله والمراد هنا مجرد الوقت ثم

(١) الجواهر ص ٩١

استرسد فقال وللمصنف من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال كل ذلك يأتي الملك
أي كل ذلك حالتان فذكرهما وروى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون أنه بلغه
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبري
فيلقيه على كما يلقي الرجل على الرجل فذاك ينفلت مني ويأتيني في بيتي مثل صوت
الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا ينفلت مني وهذا مرس مع ثقة رجاله فإن
صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى " لا تحرك به لسانك " كما سيأتي فإن
الملك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة ولم ينفلت منه ما أتاه به كما في قصة مجيئه في صورة
وحيه الكلي وفي صورة أعرابي وكلها في الصحيح " قوله مثل صلصلة الجرس " في رواية مسلم
في مثل صلصلة الجرس " قوله فيكلمني ووقع في رواية البيهقي من طريق القمطي عن مالك
فيكلمني بالمدين بدن الكاف وانظر أنه تصحيف فقد وقع في الموطأ رواية القمطي وكذا
للدار فظن في حديث مالك من طريق القمطي وغيره " قوله فأني ما يقول " زاد أبو عوانة
أنه في صحيحه وهو أهونه عليه . (١)

النموذج الثاني :

روى البخاري حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر ولفظه " قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوق الناس
في شجر البوادي - قال عبد الله - ووقع في نفسي أنها النخلة فاستجيبت ثم قالوا حدثنا
ما هي يا رسول الله قال النخلة " قال ابن حجر في شرح الحديث وجمع طرقه " قوله إن
من الشجر شجرة " زاد في رواية مجاهد عند المصنف في باب الفهم في العلم قال
صحب ابن عمر إلى المدينة فقال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال
إن من الشجر * الخ وله عنده في البيوع كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جماراً
" قوله لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم "

(١) من كتاب بدء الوحي *

ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث بن اسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من المسلم كمن شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هي قالوا لا . قال النخلة لا تسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال حدثني مجاهد عن ابن عمر قال بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجمار فقال ان من الشجر لما بوكته كبركة المسلم ووقع عند المصنف في التفسير من طريق نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتخات ورقها ولا كذا ولا كذا ذكر النفس ثلاث مرات " قوله ووقع في نفسي " بين أبو عوانه في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتى به " قوله فاستحييت " زاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم وله في الأطعمة فإذا أنا عاشر عشرة أنا احدهم وفي رواية نافع ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهتا أن أتكلم وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار عن المؤلف في باب الحياء في العلم قال عبد الله فحدثت أبي عما وقع في نفسي فقال لأن تكون قلتيها أحب إلي أن يكون لي كذا وكذا زاد ابن حبان في صحيحه أحسبه قال جمر النعم (١)

النموذج الثالث :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة قال قرأت على مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر الصلاة يوما وهو بالعراق فدخل عليه غزوة بن الزبير فاخبره ان المفسية بن شعبه آخر الصلاة يوما وهو بالعراق فدخل عليه ابو مسعود الانصاري . فقال : ما هذا يا مفسية اليس قد علمت ان جبرين علوات الله وسلامه عليه نزل فصلى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها خمس مرات ثم قال بهذا امرت فقال عمر لمرؤة اعلم ما تحدث به اذ ان جبرين اقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كتاب العلم - باب قون المحدث حدثنا واخبرنا .

وقوت الصلاة قال عروة كذلك كان مشهوراً بن مسعود يحدث عن أبيه قال عروة ولقد حدثني عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل ان تظهر الشمس . قال ابن حجر في شرح الحديث وجميع طرقه " قوله آخر الصلاة يوماً " . وللمصنف في بدء الخلق من طريق الليث عن ابن شهاب بيان الصلاة المذكورة ولفظه آخر العصر شيئاً وفي رواية عبد الرزاق عن معمر بن ابن شهاب آخر الصلاة مرة يعني العصر وللطبراني من طريق أبي بكر بن حزم ان عروة حدث عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير المدينة في زمان الوليد بن عبد الملك وكان ذلك زمان يؤخرون فيه الصلاة ويعني بنسب (أبو) " قوله ان المغيرة بن شعبة آخر الصلاة يوماً " بين عبد الرزاق في روايته عن ابن جريج عن ابن شهاب ان الصلاة المذكورة العصر ايضاً ولفظه أمم المغيرة بن شعبة صلاة العصر " قوله وهو بالمعراق " في الموطأ رواية القماني عن مالك وهو بالكوفة وكذا أخرجه الاسدي عن أبي خليفه عن القماني - والكوفة من جملة العراق - " قوله ان جبريل نزل " قوله ان جبريل نزل " بين ابن اسحق في التمام ان ذلك كان عبيدة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الأسراء قال ابن اسحاق حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن حبيب وقال عبد الرزاق عن ابن جريج قال نافع بن جبير وغيره لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسرت به لم يوحه الا جبريل . نزل حين زافت الشمس ولذلك سميت الاولى فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعاً فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالتام فذكر الحديث ١٠ هـ (١)

النموذج الرابع :

روى البخاري حديث سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها " قال ابن حجر في شرح الحديث وجميع طرقه " قوله الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل " في رواية مسلم بن طريق وكيع عن سفيان غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا ، في الطبراني من طريق أبي غسان عن أبي حازم

(١) كتاب مواقيت الصلاة وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً .

لروحته بزيادة لام القسم ١٠ هـ (١)

النموذج الخامس :

روى البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يهرج الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله " قال ابن جرير في شرح الحديث وجميع طرقه " قوله لن يهرج الناس يتساءلون " وعند مسلم في رواية عمروة عن أبي هريرة لا يزال الناس يتساءلون " قوله هذا الله خالق كل شيء " في رواية عمروة هذا خلق الله الخلق ولمسلم أيضا وهو في رواية البخاري في بدء الخلق من رواية عمروة أيضا يأتي الشيطان المصد أو أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك وفي لفظ مسلم من خلق السماء من خلق الأرض فيقول الله ولأحمد والطبراني من حديث خزيمية بن ثابت مثله ولمسلم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه / يقولوا حتى هذا الله خلقنا وله في رواية يزيد بن الأصم حتى يقولوا الله خلق كل شيء وفي رواية المختار بن فلفل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان امتك لا تزال تقول كذا وكذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق وللبخاري من وجه آخر عن أبي هريرة لا يزال الناس يقولون كان الله قبل كل شيء فمن كان قبله " قوله فمن خلق الله " في رواية بدء الخلق من خلق ربك وزاد فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وفي لفظ لمسلم فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله وزاد في أخرى ورسله ولأبي داود والنسائي من أن زيادة فقولوا الله أحد الله الصمد (السورة) ثم ليتقل عن يساره ثم ليستعذ ولأحمد من حديث عائشة : فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك بذمب عنه ولمسلم في رواية أبي سلمة عن أبي هريرة نحو الأول وزاد فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فذكروا سوء الهيم عن ذلك وأنه رماهم بالحصى وقال صدق خليلي * وفي رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة صدق الله ورسوله وقد ورد بزيادة من حديث أبي هريرة

(١) كتاب الجهاد باب الغدوة والروحة في سبيل الله *

بلفظ لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله • فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله • وفي رواية ذاك صريح الإيمان • ولعل هذا هو الذي أراد الصحابي فيما أخرجه أبو داود من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال جاءنا من النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه فقالوا يا رسول الله انا نجد في أنفسنا الشيء نعظم أن نتكلم به ما نحب أن لنا الدنيا ولأننا نكلمنا به فقال أوقد وجدتموه ذاك صريح الإيمان • ولأبن أبي شيبة من حديث بن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أحدث نفسي بالأمر لأن أكون ^{حجة} أحب إلى من أن أتكلم به قال الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة أهـ (١)

••

وبعد ••• فهذا قليل من كثير ، والا فمن طالع فتح الباري يجد أن ابن حجر قد سار على هذا النهج ولم يحد عنه في جميع أجزاء كتابه ، على أنني اقتصر عند شرح الحديث على الجزئيات التي رأيت ابن حجر قد جمع فيها طرق الحديث ولم استوعبه بتمامه خشية التطويل ، ولأنه لا يتعلق بهذا البحث من جهة أخرى ••••• أهـ •

••

وبعد ••••

فهذا هو " فتح الباري " شكلا وموضوعا بماله وما عليه •• فما قيمته العلمية اذن ؟ ••• وهذا ما سنذكره في البحث القادم •••

لمحب الباري قيمة فتح الباري ومكانته العلمية

لعله قد تبين - من أسهاب الكتب ، ومن كثرة المصادر التي نقل عنها ابن حجر ، ومن منهجه - أنه سجن جامع - أمين - لكل ما روى من آراء وأقوال في شرح صحيح البخاري ومناقشتها وهو إلى جانب ذلك حافس بآراء في اللغة والفقه والتاريخ والنحو والتوحيد والبلاغة والأصول والحديث والتفسير والمواعظ والآداب . . . ينهض باسماف الباحثين يودون حياضه ويتزودون من أزواده إذا ارادوا التعرف إلى رأى أو الوقوف على حقيقة . لهذا عرف العلماء قدره وعلموا مكانته ، وقد انتشر شرقا وغربا وقراه كل من كان في عصره من العلماء وتمأقنوا عليه . . . والكل فضله وقدمه وأثنوا عليه خيرا . . قال العلامة " شرف الدين يعقوب بن جلال الحنفى عن فتح الباري " وأما : " شرحه على الجامع الصحيح فمن أحسن الشرح وصفيا وأكثرها جمعا . . ولقد طالعت فظفرت منه بفوائد حسنة ووجدته أحسن في ترتيبه وأجاد في تهذيبه وأبرز فيه معاني لطيفة وفوائد حديثة شريفة ، جميع فيسه فأوعى ودعى المعاني الأبية فقالت بسم وطوعا . . فغدوت أسير في رباعى موقته وأغصان مورقة . . ولا ينكر ذلك عليه (١) .

وقال العلامة المحب أبو الفضل ابن الشحنة الحنفى عن شرح ابن حجر " ألف فى فنون الحديث كتبها عجيبة اعظمها شرح البخارى وعدى أنه لم يشرح البخارى أحد قبله فانه اتى فيه بالمجائب والغرائب وأوضح حجة الايضاح واجاب عن غالب الاعتراضات ووجه كثيرا ما عجز غيره عن توجيهه (٢) .

وقال المناوى عن فتح الباري " انه لم يصف مثله ولا على منواله " (٣) ولما نقل عن ابن خلدون قوله : " شرح البخارى دين على هذه الأمة " قال بعض العلماء ذلك الدين أدنى بشرح الحافظ بن حجر (٤) وقبى لمحمد بن على الشوكانى

(٢) الجواهر ص ٣٦٢
(٣) قهر النهارى ج ٢ ص ٢٣٨

(١) الجواهر ص ٣١٦
(٢) بهجة الناظرين ص ٤٦٥

حدث اليمن أما تشرح الجامع الصحيح للبخارى قال " لاهجرة بعد الفتح " (١) .
وقال الشيخ القصار، في فتح الباري " ما ألف في ملة الاسلام شرح على جميع
المصنفات في علم مثل هذا الشرح " (٢) . وقال السيوطي " لم يألّف أحد في
الأولين ولا في الآخرين مثله " . . .

ومع هذا التقدير والمدح والتناء من العلماء على فتح الباري ، فقد كان ابن حجر
متواضعا يرى انه لم يقدم شيئا يستحق هذا الذكر والتناء يشهد بذلك أن
أحد الطلبة قال له ياسيدي " ان لك بفتح الباري المنحة على البخارى " فقال
له " قصمت ظهري " (٣) وانما قلنا ان ذلك منه كان على سبيل التواضع لأنه
نسب اليه أنه قال في معرض المفاخرة والمباهاة :

شرح الذي سار في الآفاق سائرته ونان من ورده الداني مع القاصي
وانت شريك في البيت اختليبت به مثل الذنوب التي تحلو ايها العاصي (٤)

وهكذا يشهد الباري كس من أرخوا لابن حجر من تلا ميذه ومن غيرهم على
تعاقب الاعصار وتباعد الأزمان وتعدد الأمصار



-
- (١) المصدر السابق نفس الصحيفة .
(٢) المصدر السابق نفس الصحيفة .
(٣) الجواهر ١٣٨٢
(٤) الجواهر ص ٩٢٢ يحرش في ذلك بمعاصره بدر الدين السيوطي وشرحه عمدة القاري .

الخاتمة

لقد عاشت ابن حجر ورافقه بضع سنين طوقت اثنائهما في جميع جوانب بيئته وحياته وما يتصل بها من نشأته وتربيته وطلبه العلم ورحلاته الى غير ذلك . . . وتعرفت خلالها على ما بذله من جهود علمية ضخمة كللت بنتيجتها ومثمرتها تلك المؤلفات العلمية التي قل أن يوجد الزمان بمثلها والتي تركب معظمها حول السنة شرحا ورجالا ومصطلحا مما كان له أكبر الأثر في الحياة العلمية عموما والسنة خصوصا . ووقفت خلالها ايضا على جهودها التي بذلها في توضيح مزايا الجامع الصحيح والدفاع عنه وعلى كتابه " فتح الباري بشرح البخاري " وشهجه فيه وكان من نتيجة هذه المعايشة وتلك الموافقة وهذه الدراسة التي استغرقت امدا بعيدا وطويلا ، أن توصلت الى النتائج التالية :-

ان موطن اسرة ابن حجر عسقلان وان الاسرة رجلت عنها فيما بين سنتي ٥٧٣ هـ ، ٥٨٢ هـ تقريبا وناقشت الرأي القائل بأن موطن الاسرة على حدود بلاد الجريد بين تونس والجزائر ، أثبت أن صاحب هذا الرأي قد اشتبع عليه الأمر فخلط بين قبيلة حجر - حجر - وحجر - وحجر - وأن قبيلة حجر - هي التي كانت تعيش في هذه البلاد .

وأوضحت ايضا ان اصل ابن حجر كناني عربي وأثبت ذلك بالأدلة وناقشت الرأي القائل بأنه ينتسب الى اصل كردى وفندت أدلته التي من بينها ان لفظه " كنانى " لم ترد في كلام ابن حجر الا مرتين وأثبت أنها وردت في كلامه أربع مرات فأكثر ما يبين أن صاحب هذا الرأي لم يكن دقيقا حينما قال ذلك . وكذلك فندت قوله أن كلمة

— احمد بن حنبل — التي استند اليها واستدل بها على انه كروى وردت بخط ابن حجر
في كتابه " صفة النبي " فأثبت خطأه في هذه القضية وأثبت أن ابن حجر لم يكن
له كتاب أصلاً بهذا الاسم وإنما الكتاب من تأليف أبي علي محمد بن هارون وقد اعترف
بذلك ابن حجر نفسه في كتابه المجمع المؤسس حينما ترجم لفاطمة بنت محمد بن
عبد الهادي ، فقال : " وقرأت عليها كتاب صفة النبي لأبي علي محمد بن هارون
ابن شعيب " .

وحاولت أيضاً أن أعطى صورة — ولو تقريبية — لأسرة ابن حجر خلال إقامتها
بمصر حيث أن المراجع لم تكن كافية ولا وافية في تصوير هذه الحياة ولذا فقد اعتمدت
على ما كتب عنها من نثف وشذرات مبعثرة في ثنايا الكتب وضمت بعضها إلى بعض
حتى كونت هذه الصورة التقريبية ..

وأوضحت كذلك اختلاف المؤرخين في تحديد اليوم الذي ولد فيه ابن حجر
ورجحت أحد الرأيين — بعد أن برهنت على ما ذهبت إليه بالأدلة — وكذلك
أثبت أن أمه قد ماتت وهو لا يزال في سن مبكر وأقامت الدليل على ما ذهبت إليه .
كما أوضحت أن وصية الخروبي الذي عهد إليه والده به قد أحسن تربيته ولم يأل جهداً
في ذلك وأن تربيته كان لها أكبر الأثر في تقويم أخلاقه وفي حياته العلمية
بعد ذلك ..

وتحدثت أيضاً عن وصي ابن حجر الثاني الشيخ شمس الدين بن القطان
وأظهرت أنه كان عنده شيء من الأهمال والتقصير في الإشراف عليه على الرغم من أنه
قد أضحى استأذه في المستقبل . وخلال الحديث على اشتغال ابن حجر بفن
الأدب ضعفت الرأي القائل بأنه حيث نشأ على معاناة الشعر والاسترسال في

المديح والهجاء ، كان يتطلب مواضع العلل من الرجال ويحط من اقدارهم متى اراد ذلك واقمت الحجج الدامغة والبراهين الساطعة على ما ذهبت اليه .

وحيثما تحدثت عن رحلاته اوضحت انه قد رحل الى بلاد متعددة ، وكان من نتيجة هذه الرحلات ان انتهت اليه معرفة فن الحديث وصار امام الناس فيه بعد وفاة العراقي وابان الحديث على توليته منصب القضاء ناقشت الراى الذى يشتم بهذل المال من اجل البقاء فى المنصب ، واقمت البراهين على بعد هذا الراى عن الحقيقة ومجافاته للصواب ** واثبت ان الرجل كان منزها عن ذلك تماما ، وخلال الحديث عن مهاراته اثبت ان من بينها سرعة القراءة ** وناقشت الراى القائل بان هذا يؤدى به الى الغلط ويقوت عليه الضبط ويوقعه فى الخلط واثبت بعد هذا الراى عن الصواب بالادلة والبراهين ** ووضحت ايضا ان من بينها سرعة الكتابة وضعفت الراى القائل بانه كان ردى الخط واقمت الدليل على خلافه وابان الحديث على موقفه من الصوفية ناقشت الحادثة التى وقعت بينه وبين سبدي احمد بن فرغل واقمت من البراهين والادلة ما يجعلنا نشك فيها ولا نجزم بصحتها والى ان نقول انها مدسوسة على اصحاب الطبقات ** وعند الحديث على عقيدته ناقشت الراى القائل بانه كان من اتباع بن تميم ** واقمت الدليل على ما ذهبت اليه **

وحيثما تعرضت لجهود ابن حجر فى صحيح البخارى ، اثبت ان ابن حجر فاته قليل من وصل تعاليق البخارى وذكرت نماذج لذلك ثم اوضحت ان ابن حجر لم يدع الاستيعاب لكن المعلقة :

وخلال الحديث على تحرير ابن حجر لعدد احاديث الجامع الصحيح ، اثبت
 ان الخلاف بينه وبين الملمة قبله في عدد احاديث الجامع ، انما هو خلاف ^{العلمي} ~~العلمي~~
 ولو نظر كل منهم الى ما نظر اليه الآخر لم يكن بينهما خلاف اصلا .

وحينما تحدثت عن فتح الباري من الناحية الشكلية ، حاولت ان اثبت ان هذه
 التسمية - " فتح الباري " - من مبتكرات ابن حجر وليس مسبوقة اليها ولا مقلدا
 فيها لاحد . كما اثبت ان المسجع الواضح في هذا الاسم ، انما هو تمشيا مع
 الاسلوب الادبي الذي كان يحرض عليه مؤلفوا ذلك العصر .

وعند الحديث على المسلك الذي كان يسير عليه ابن حجر في شرح الاحاديث
 المكررة ، بينت انه كان يترك هذا المسلك احيانا ويحيد عنه . وضربت لذلك
 نمودجا .

وخلال الحديث على الحوالات ، حاولت جهدي ان اعثر على حوالة واحدة
 وهم فيها ابن حجر فلم يتيسر لي ذلك .

وحينما تحدثت عن منهج ابن حجر في كتابه " فتح الباري " ، تبين لي
 عند الكلام على مناسبة الحديث للترجمة ان ابن حجر لم يكن منظما ولا منسقا في
 الحديث عنها : فتارة يذكرها أولا وتارة يذكرها آخرًا وحيثما يذكرها على صورة
 سؤال وجواب عنه . كما ان بعضها كان فيه غموض بالنسبة له وضربت لكل ذلك
 امثلة تطبيقية .

وانت كذلك ان ابن حجر لم يتوسع في الحديث ^{في} ~~في~~ الاستدلال ولطائفه بل اقتصر
 على ما يعتقد كافيا معتمدا على الكتب المؤلفة في ذلك . كما لم يتوسع في النحـو

والاعراب والاسرار والبلاغية .. بل اقتصر على ما يؤدي الغرض .. اما عند
الحديث على ذكر القواعد الأصولية ، فقد اثبت كذلك انه تعرض للكثير منها ،
مثل العام والخاص والمطلق والتقييد الى غير ذلك .. ولاحظت ايضا انه عند ذكر
الاحكام الفقهية قد توسع فيها وحينما تحدثت عن المتن بينت ان ابن
حجر اوضحه بما يؤدي المراد ... أما في معرض الحديث عن المعارض والآداب
فقد اوضحت ان ابن حجر اسهب في هذه الناحية بما لا مزيد وراءه وضربت لكل ما سبق
نماذج .. وخلال الحديث على مسألة الفرقان ناقشت الرأي المعارض لرأي ابن حجر
وانتبت انه رأي مرجح وان صاحبه يقول على ابن حجر الاقاويل بغير حق ..

وانتبت كذلك استقلال ابن حجر الفكري عن سبقه * وذكرت امثلة لمناقشاته لبعض
من سبقه من العلماء وانتبت ايضا ان شرح ابن حجر يمتاز عما عداه من الشرح بجمع
طرق الحديث ولا يلق بمالم ينصف ان يقلل من قيمة هذا العمل العلمي العظيم لأن
له فوائد جمة لا يستغنى عنها من اشتغل بعلم الحديث ...

واخيرا ختمت هذا البحث المتواضع بأن اثبت قيمة "فتح الباري" ومكانته
العلمية وأوردت طرفا من اقوال العلماء في هذا الصدد ...



وارجو من الله تبارك وتعالى ان ينال هذا البحث القبول .. وان ينفع به
انه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على سيدنا محمد اشرف
النبيين وخاتم المرسلين ..

جميل احمد الشوايفي

أما عن مصادر البحث فمنها المخطوط والمطبوع وسأفرد لكل نوع قائمة خاصة :
المصادر المخطوطة :

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف |
|-------|---|--|
| ١ | اتحاف الرواه بمسلسل القضاة | شهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بابن الشلبى |
| ٢ | انباء الغمر بأبناء السمر | ابن حجر العسقلانى |
| ٣ | انتقاض الاعتراض | ابن حجر العسقلانى |
| ٤ | الألقاب والكنى والنسبة | محمد عبد الرحمن السخاوى |
| ٥ | بهجة الناظرين الى تراجم التأخرين من الشافعية البارعين | المختصر |
| ٦ | تحفة المجتهدين فى أسماء المجددين | جلال الدين السيوطى |
| ٧ | تفليق التعليق | ابن حجر العسقلانى |
| ٨ | جمان الدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر | ابن خليل الدمشقى |
| ٩ | الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر | محمد عبد الرحمن السخاوى |
| ١٠ | ذيل رفع الأضر عن قضاة مصر | محمد عبد الرحمن السخاوى |
| ١١ | الذيل على التقييد لابن نقطة | التقى العسقلانى |
| ١٢ | طبقات الشافعية | أحمد بن محمد الأسدى |
| ١٣ | عنوان الزمان فى تراجم الشيخ والأقران | البرهان البقاعى |
| ١٤ | القلائد الجوهريّة فى تاريخ الصالحية | الشمس ابن طولون |
| ١٥ | الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية | عبد الرؤف المناوى |
| ١٦ | الكواكب السبع السيرة ديوان شعر | ابن حجر العسقلانى |
| ١٧ | المحصل فى الأصول | فخر الدين الرازى |
| ١٨ | المجمع الموسع بالمعجم المفهرس | ابن حجر |
| ١٩ | المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى | ابن تفرى بردى |
| ٢٠ | المواقيت والدرر فى شرح نخبة الفكر | المناوى |

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف | طبع |
|-------|------------------------------------|-----------------------------------|------------------------------|
| ١ | التبر المسبوك بذيال السلوك | السخاوى | مطبعة بولاق |
| ٢ | لحظ الألفاظ بذيال طبقات الحفاظ | ابن فهد المكي تحقيق زاهد الكوثرى | مطبعة القدس |
| ٣ | ذيل طبقات الحفاظ | جلال الدين السيوطى | مطبعة التوفيق بدمشق |
| ٤ | حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة | جلال الدين السيوطى | دار احياء الكتب العربية |
| ٥ | رفع الاصر عن قضاة مصر | ابن حجر تحقيق الدكتور حامد | الأميريه |
| ٦ | النور اللامع في أخبار القرن التاسع | عبد المجيد المستطوى | القدس |
| ٧ | مفتاح السعادة ومصباح السيادة | طاهر كبرى زاده تحقيق كامل | دار الكتب الحديثه |
| ٨ | المؤرخون في مصر | محمد مصطفى زياده | لجنة التأليف والترجمة والنشر |
| ٩ | كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون | حاجى خليفه | مطبعة وكالة المعارف |
| ١٠ | تقييد الحلم | الخطيب البغدادي تحقيق يوسف | مطبعة دمشق |
| ١١ | مقدمة علوم الحديث | المش ابن الصالح | المهند |
| ١٢ | شروط الأئمة الخمسة | أبو بكر الخازن تحقيق زاهد الكوثرى | السترقى |
| ١٣ | الأوب المفرد | البخارى | استنبول |
| ١٤ | طبقات الشافعية الكبرى | الحلبى | الحلبى |
| ١٥ | تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي | السعادة |
| ١٦ | شذرات الذهب | ابن الصمد الحنبلى | القدس |
| ١٧ | تهذيب التهذيب | ابن حجر | مجلس دائرة المعارف |
| ١٨ | التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح | بدر الدين الزركشى | النظاميين الهند |
| ١٩ | برائع الزهور في وقائع الدهور | ابن أياس | المطبعة المصرية |
| ٢٠ | السلوك في معرفة دول الملوك | المقريزى تحقيق محمد مصطفى زياده | الأميريه |

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف | طبع |
|-------|--|----------------------------------|-------------------------|
| ٢١ | تاريخ الاسلام السياسى والدينى | حسن ابراهيم حسن | مطبعة النهضة المصرية |
| ٢٢ | الأدب العامى فى عصر المملوكى | أحمد صادق الجمال | مطبعة دار القومية |
| ٢٣ | تاريخ المماليك البحرية | على ابراهيم حسن | • النهضة المصرية |
| ٢٤ | تاريخ دولة المماليك فى مصر | سيرى سليم محمد ترميز محمد عابدين | • المعارف |
| ٢٥ | صور ومآل من عصر المماليك | نظير حسان البغدادى | • النهضة المصرية |
| ٢٦ | صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى | عبد الوهاب حموده | • دار المصرية |
| ٢٧ | عصر بلاطين المماليك ونتايجها العلمى | محمود رزق سليم | للتأليف والترجمة والنشر |
| ٢٨ | تاريخ مصر الاجتماعى | أحمد زكى بدوى | مطبعة التوكل |
| ٢٩ | البدايه والنهائيه | ابن كثير | • صلاح الدين |
| ٣٠ | المجتمع المصرى | سعيد عاشور | الكبرى |
| ٣١ | الحديث والمحدثون | محمد محمد أبو زهو | مطبعة السعادة |
| ٣٢ | التقريب والتميز | النووى | • النهضة المصرية |
| ٣٣ | رسالة شرح تراجم أبواب البخارى | شاه الدهلوى | • مصر شركة مساهمة |
| ٣٤ | هدى السارى مقدمة فتح البارى | ابن حجر | مصريه |
| ٣٥ | فتح البارى شرح صحيح البخارى | ابن حجر | المطبعة المصرية |
| ٣٦ | دروس فى القرآن الكريم | الشيخ محمد عبده | • دائرة المعارف |
| ٣٧ | المدخل الى الفقه الاسلامى | محمد سلام مذكور | النهائيه |
| ٣٨ | المواعظ والاعتبار بذكر الخطايا والآثار | المقريزى | مطبعة تصوير الأهرام |
| ٣٩ | صبح الأعشى | القلقشندي | المطبعى ، البهيه |
| | | | الخبريه |
| | | | مطبعة دار الهلال |
| | | | • النهضة المصرية |
| | | | • الشعب |
| | | | • دار الكتب المصرية |

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف | طبع |
|-------|---|--|--|
| ٤٠ | لواقح الأنوار في طبقات الأخيار | القصراني | مطبعة الشرقية |
| ٤١ | "الطبقات الكبرى" | | |
| ٤١ | مقدمة ابن خلدون | ابن خلدون | • الأزهرية • لجنة |
| ٤٢ | التحريف بابن خلدون | ابن خلدون | البيان العربي |
| ٤٣ | الناصر محمد بن قلاوون | محمد عبد القادر مرزوق | • الأزهرية • |
| ٤٤ | فوات الخفيات | ابن شاذان الكلبى | لجنة التأليف والترجمة والنشر الأزهرية |
| ٤٥ | الحركة الفكرية | عبد اللطيف حمزة | دار الفكر العربي |
| ٤٦ | النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة | ابن تشرى بردى | دار الكتب المصرية |
| ٤٧ | الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة | ابن حجر تحقيق محمد سيد | دار الكتب الحديثة |
| ٤٨ | تاريخ آداب اللغة العربية | جلد الحق جبري زيدان | دار الهلال |
| ٤٩ | هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث | محمد بن حبيب الله الشنقيطى | مطبعة حجازي |
| ٥٠ | فهرس الفهارس | الكتاني | المطبعة الجديدة بالحد |
| ٥١ | مختصر جامع بيان العلم وفضله | أحمد بن عمر البيروني | • الموسوعات القاهرة |
| ٥٢ | القرطبي ومنهجه في التفسير | رسالة الزميل القصبي زلي | |
| ٥٣ | الحافظ الذهبي المحدث | رسالة الزميل شوقي غنفر | |
| ٥٤ | سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب | السويدي | طبع ببويناى |
| ٥٥ | المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث | الأزدي | طبع المهند |
| ٥٦ | وفيات الأعيان | ابن خلكان تحقيق محمد محي | النهضة المصرية |
| ٥٧ | الطالع السعيد في أسماء نجباء الصعيد | الدوين عبد الحميد الأزدي تحقيق محمد محي | مطبعة الجباليه |
| ٥٨ | نزعة الألباء في طبقات اللغويين والأدباء | حسن ابن الأنباري | طبع سنة ١٢١٤ |
| ٥٩ | مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين | أبو الحسن الأشعري | مطبعة الاستانة |
| ٦٠ | صحيح البخاري | | مطبعة الذهب |

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف | الناشر |
|-------|---|------------------------------------|-----------------------------|
| ٦١ | الهدر الدالغ بمحاسن من بعد القرن السابع | الشوكاني | مطبعة السعاده |
| ٦٢ | تاريخ الرسل والملوك | محمد ابن جرير الطبري | • التقابليه الكبرى |
| ٦٣ | معجم البلدان | ياقوت الحموي | • دار بيروت |
| ٦٤ | تاريخ الاسلام | الذهبي | للطباعة والنشر |
| ٦٥ | نظم المقيان في أعيان الأعيان | جلال الدين السيوطي تحقيق فيليب حتى | مطبعة القدسي |
| ٦٦ | مصر في عصر دولة المماليك البحريه | سميد عاشر | المطبعة المصريه سنة ١٩٢٢ |
| ٦٧ | مصر في العصر الوسطى | على ابراهيم حسن | مطبعة النهضة المصريه |
| ٦٨ | الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عهده | محمد جمال الدين سرور | مطبعة دار الكتب المصريه |
| ٦٩ | تحفة الأحباب وخيمة الطلاب | محمود ابن خلف السقاوي | المطبعة الأزهرية |
| ٧٠ | التعريف بالمصطلح الشريف | ابن فضل الله العمري | • مطبعة الحاميه القاهرة |
| ٧١ | النوادر السلطانيه | ابن شداد تحقيق جمال الدين الفيصل | • مطبعة الشافعي |
| ٧٢ | دراسات في تاريخ المماليك البحريه | على ابراهيم حسن | • النهضة المصريه |
| ٧٣ | ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري | القسطلاني | • الأميريه |
| ٧٤ | عدة القاري شرح صحيح البخاري | المني | • المنيره القاهره |
| ٧٥ | نيل الأمانى بشرح مقدمة القسطلاني | ابراهيم الابياري | • المجتبه القاهره |
| ٧٦ | أصول الفقه | حسين حامد | • العالميه القاهره |
| ٧٧ | زبدة كشف الممالك | ابن شاهين | • الجمهوريه باريه |
| ٧٨ | حاشية البنا في على شرح جمع الجوامع | البناي | • الأزهره |
| ٧٩ | صحيح البخاري | الامام البخاري | • المنيره |

| الرقم | اسم الكتاب | اسم المؤلف | الرجح |
|-------|------------------------------------|---|------------------|
| ٨٠ | الكواكب الدارارى بشرح صحيح البخارى | الكرمانى | المراجعة المصرية |
| ٨١ | تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى | جلال الدين السيوطى تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف | مراجعة استاد |

المحتوى

((المحتوي))

الدافع إلى اختيار الموضوع

(١)

(١)

المقدمة

الباب الأول

عمر ابن حنبل

٣

الفصل الأول :

البيئة السياسية : قيام دولة المماليك وسياساتها الداخلية والخارجية ومركز مصر في عهد
وأسياب سقوطها .

١١

الفصل الثاني :

البيئة العقلية : مركز مصر الأدبي والعلمي أهم مراكز الثقافة في مصر تاريخ بعض المساهدين
والمدارس والمواثق . المؤلفات عمليا والاتباع التي مولها اللغة .

الباب الثاني

نشأة ابن حنبل وحياته

الفصل الأول : النواحي الأصلية لأسرة ابن حنبل

مركز الأسرة الاجتماعية والعلمية

رأي آخر حول النواحي الأصلية لأسرة ابن حنبل

محول أصل ابن حنبل

رأي آخر حول أصل ابن حنبل ونسبه

تتبع أصول بحولد ابن حنبل

مولد ابن حنبل

لقبه ونسبه وشهرته

نشأته وتربيته

رحله إلى البيت الحرام في صعدة وبه

التربية ومدى انتفاعه فيها

عودته إلى القاهرة وبدأ بهي طالب العلم

انصرافه عن العلم وتفرغ حتمه

تربية التلاميذ وأثرها في تكوين أفكاره

تربية التلاميذ وأثرها في حياته العلمية

عودته من بعيد إلى باب العلم

اهتمامه بفن الأدب

اهتمامه بفن الحديث

الفصل الثاني : رحلاته في طلب الحديث

| | |
|----|---------------------------------|
| ٦١ | تمهيد |
| ٦٢ | رحلته الى بلاد الصعيد |
| ٦٣ | رحلته الى الاسكندرية |
| ٦٣ | رحلته الى الحجاز |
| ٦٤ | رحلته الى بلاد اليمن |
| ٦٦ | رحلته الى البلاد الشامية |
| ٦٨ | رحلته الثانية الى بلاد اليمن |
| ٦٨ | رحلته الى البلاد البلاد العلبيه |

الفصل الثالث : مناصبه التي تولاها

| | |
|----|--------------------------------|
| ٧٢ | توليته منصب القضاء |
| ٨٠ | توليته منصب التدريس |
| ٨٤ | توليته منصب الافتاء |
| ٨٦ | توليته مشيخة الائمة البهريه |
| ٨٧ | قيامه بأمانة المكتبة المصموديه |
| ٨٧ | اشتغاله بوظيفة الخطابه |
| ٨٩ | مجالس الاملاء |

الفصل الرابع :

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٩٢ | صفاته الخلقية |
| ٩٦ | أخلاقه |
| ٩٣ | خبراته وسفاراته |
| ٩٥ | عاداته الاجتماعيه والدينيه |
| ٩٦ | موقفه من الصوفيه |
| ٩٨ | منزلته عند السلاطين وموقفه منهم |
| ٩٨ | قيمة الوقت في نشره وكيف كان يقنيه |
| ١٠١ | عقيدة ابن حجر |
| ١٠٢ | القائمة العلبيه |
| ١٠٣ | تقدير علماء عصره له |
| ١٠٤ | مرضه ووفاته |
| ١٠٥ | وصية ابن حجر |
| ١٠٦ | رثاء ابن حجر |

| | |
|--------------|----------------------------|
| ١٠٨ | شيوخه |
| ١٠٩ | التحري |
| ١١٠ | الصراقي |
| ١١١ | ابن الشيخ |
| ١١١ | الهيثمى |
| ١١٢ | البلقينسى |
| ١١٢ | ابن الملقن |
| ١١٣ | أقرانه وتلامذته |
| ١١٤ | أقرانه ورفاقه في طلب العلم |
| ١١٤ | المنتدائي |
| ١١٤ | ابن البلقينى |
| ١١٤ | تلامذته ومريدوه |
| ١١٥ | ابن حنبل |
| ١١٦ | البرهان البقاعي |
| ١١٦ | أبو النعيم رزوان |
| ١١٧ | السرخس |
| ١١٩ | مؤلفاته وموضوعاتها |
| الباب الثالث | |

١٢٤ ابن حجر ومجهوده في صحيح البخاري
الفصل الأول :

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٢٤ | التحري بالامام البخاري |
| ١٢٦ | كتاب الجامع الصحيح |
| | البراهن على تأليفه وموضوعه |
| ١٣١ | نبذة حول جهود العلماء |
| | حول المسامع الصحيح |

الفصل الثاني :

١٣٣ تاليف الصحيح وموقف ابن حجر منها

البحث الثاني : وفيه عدة أمور

الأمر الأول : في بيان أسرار تكرار البخاري للعديد في عدة مواضع

الأمر الثاني : في بيان تقديسه للعديد وتزيينه على الأسلوب

١٥٠

١٥٤

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ١٥٨ | من تراجم أبواب البخاري وتوضيحها |
| ١٦١ | تحقيقه للأحاديث التي انتقدتها بعض |
| | المعفاظ في كتاب الجامع الصحيح |
| ١٧٥ | تحقيقه ورد على ما وجه من المصنفون |
| | إلى رجال صحيح البخاري |
| ١٨٤ | تحريره عدة أحاديث الجامع الصحيح |
| ١٨٧ | إيضاح ما في الصحيح من الألقاب |
| | الشريفة مع ضبطها |
| ١٨٩ | بيان المؤلف والمؤلف من أسماء الرواة |
| | وأنسابهم وألقابهم وتناهم |
| ١٩٣ | تقييد المجهول وتوضيحه |
| | تسمية الكنى والأنساب والألقاب |
| ١٩٧ | الكنى |
| ١٩٨ | الأنساب |
| ١٩٩ | الألقاب |
| ٢٠٠ | تبيين المتفق والمفترق وتسمية المبهمات |

الباب الرابع

| | |
|-----|------------------------------|
| ٢٠٤ | ابن حجر ومنهجه في فتح الباري |
| | الفصل الأول : |

| | |
|-----|----------------------|
| ٢٠٤ | أشهر شرح البخاري قبل |
| | فتح الباري |
| ٢٠٨ | لمحات من فتح الباري |
| | من الناحية الشكلية |

الفصل الثاني :

| | |
|-----|------------------------------------|
| | نماذج من شرح ابن حجر لصحيح البخاري |
| ٢١٩ | تعميد |
| ٢٢٠ | الترجمة ومناسبة الحديث لها |
| ٢٢٦ | معنى الحديث ومدى الاهتمام |
| | به في شرح ابن حجر |
| ٢٣٥ | الاستناد ولطائفه في شرح ابن |
| | حجر |

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٢٣٨ | العام والخاص في شرح ابن حجر |
| ٢٤١ | المطلب والمفيد في شرح ابن حجر |
| ٢٤٩ | الناسخ والمنسوخ في شرح ابن حجر |
| ٢٥٥ | النحو والأعراب في شرح ابن حجر |
| ٢٦١ | البلاغة والبيان في شرح ابن حجر |
| ٢٦٨ | الأحكام الفقهية في شرح ابن حجر |
| ٢٨١ | المواعظ والأدب في شرح ابن حجر |
| | الجمع بين ما ظاهره التعارض من |
| ٢٨٧ | الأحاديث في شرح ابن حجر |
| ٢٩٤ | الجعل والبيان في شرح ابن حجر |
| | أراء الفرق الإسلامية في شرح ابن |
| ٢٩٦ | حجر |

الفصل الرابع

ملحقات بفتح الباري

| | |
|-----|---------------------------------|
| ٣٠٣ | بين السني وابن حجر |
| | نصوص من فتح الباري في كتاب عدة |
| ٣١٠ | القاري |
| ٣١٦ | مسألة الشراعية رأي ابن حجر فيها |
| ٣٢١ | استقلاله الفكري وأدلاؤه برأيه |
| | حرص ابن حجر على جمع طرق الحديث |
| ٣٢٢ | عند شرحه |
| ٣٢٤ | قيمة فتح الباري ومكانته العلمية |
| ٣٢٦ | الهاتمه |

والله ولي المتقين